الدكتور سعد أبو الرضا

الأدب الإسلامي
قضيّة وبناء

الطبعة الأولى
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
حقوق الطبع والنشر جميعها محفوظة
لعالم المعرفة - جدة

جدة - المملكة العربية السعودية - ص.ب ٥٧٦ - برقياً : زادفكر .
تلكس ٤٠١٢٠٩ اس جي - تلفون : ٦٨٧٧٢٩٠(٠٢) - ٦٨٧٧٤٢٢(٠٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

الاهـــداء

إلى كل مخلص للاسلام قولا وعملا .
إلى هؤلاء الذين استشهدوا من أجل كلمة الحق .
إلى كل تواق لتوظيف الكلمة فى الدعوة إلى الله .
إلى من رفعوا لواء الإسلامية فى الأدب : درسا ومنهجا وسلوكا .
إلى هؤلاء جميعا أهدى هذه الدراسة .
والله أسأل أن يجعل عملنا خالصا لوجهه الكريم .
«إنه هو السميع العليم»

المقدمـــة

حمدا لك اللهم، وصلواتك وسلامك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد :

فإن البحث فى إشكـاليـة الـذات والمـوضوع فى الأدب الاسلامى جدير بأن يلفت أنظار المخلصين إلى أن يوجهوا عنايتهم إلى البناء فى هذا الأدب، لأن قيم الاسلام مشرقة إشراق الشمس فى رابعة النهار، أما كيف يجلى الأدب هذه القيم؟ وكيف تصبح قيم الاسلام وأعرافه مشكلة لهذا الأدب الـذى نتغيـاه؟ فقضيتـه تتسـع لدراسـات . . ودراسات، وهى بحاجة إلى جهود كل المخلصين فى هذا المجال.

ولا أتصور أن هذه القضية يكفيها لقاءات عالمية وإنما هى جديرة ـ مع ذلك بجهود متتابعة، صابرة مثابرة، دؤوبة ، مابقى المخلصون ، حتى تتحـرر الأجنـاس الأدبيـة الإسلامية من أسر الفكر الغربى منذ أرسطـو إلى اليـوم، فتتشكـل قيم الإسلام ومبادئه، تشكيلا إسلاميا نقيـا، يستهـدف الصيـاغـة الجميلة المعـبرة المـوحية ، التى تستوحى أولا : قرآننـا العظيم ، وتستلهم حديث رسـولنا الكريم عليه الصلاة والسـلام، وتجـد من أعـراف بلاغتنـا العـربيـة ومقوماتها ما يدعمها ، وثـانيـا : يمكنها أن تتزود من معين المعرفة ماتشاء حتى تصبح الكلمة الجميلة الـذاخـرة بعطـاء الإسلام سبيلا مناسبا للدعوة إلى الله . . . والهداية إلى الدين الحق . . .

وهـذا ماتحـاول هذه الـدراسـة أن تكشف عنه، من خلال تقديم تصـور للأدب الإسـلامى، وتتبـع لبعض قضاياه فى نماذج من الأدب الإسـلامى شعـرا وقصـة ومسرحية ومقالة، بحيث يمكن أن يكشف تحليلها عن جانب من قضايا هذا التصور.

وعلى الله التوكل، ومنه العون.

سعد أبو الرضـــا

القصيم فى غرة محرم ١٤٠٣

الموافق ١٨ من اكتوبر ١٩٨٢ م

حاجتنا إلى أدب إسلامى

برغم مايقال فى المقارنة بين الكلمة والعمل، والقول والفعل فسوف يظل دور الكلمة المؤمنة وهاجا يضىء الكون والحياة، لأنها تنطلق على هدى من نور الله ، تستشرف آياته سبحانه وتعالى فى الوجود، وترود للانسان ةمراقى الهدى والفلاح، حقا إنها الكلمة الطيبة . . «أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها».

ولقد اعتمد الرسل عليهم السلام ـ فيما اعتمدوا ـ على الكلمة كسبيل إلى هداية البشر، وكانت معجزة المصطفى عليه الصلاة والسلام القرآن الكريم ذا البيان المعجز.

كما أسهم الشعر الذى ارتوى برواء الاسلام فى هداية كثير من المشركين، فى صدر الاسلام، وكثيرا ما كانت الكلمة الصادقة تخرج من القلب إلى القلب، تبعث الحمية فى النفوس، وتلهب المشاعر، ذودا عن العقيدة، واستشهادا من أجل «لا إله إلا الله محمد رسول الله» . .

هذه الحقيقة أدركها أعداء الإسلام، وعرفوا الدور الكبير لسحر الكلمة الذى لا يقاوم، كما لمسوا القدرة الفعالة للأدب على التأثير فى العقول والنفوس، وتشكيل المشاعر، وتوجيه السلوك، وصياغة وجدانات الفرد والمجتمع ، فوجدنا كل الاتجاهات الفكرية فى الشرق والغرب ـ وهى من صنع الانسان ـ تتخذ من الأدب وصياغة الكلمة وسيلة فعالة للتبشير بهذه الاتجاهات، والدعوة إليها(١)، ومن خلال

---

(١) انظر د. عبدالرحمن رأفت الباشا مجلة البعث الاسلامى المجلد السادس والعشرون العددان الأول والثانى

قصة مؤثرة، أو مسرحية محبوكة، أو قصيدة شعرية، أو مقالة، تتغلغل هذه الأفكار في أعماق الفرد، وتتسلل إلى عقله وقلبه معا، وناهيك بإنسان يصبح أسير فكر معوج، أو مريد مبدأ غير مستقيم . . !

إن الرسول عليه الصلاة والسلام والصحابة رضوان الله عليهم من بعده، قد وظفوا الشعر والخطابة ـ وهما فنان أدبيان ـ خير توظيف فى الدعوة إلى الله، وهداية البشر إلى طريق الحق والخير، كما استخدم القرآن الكريم أسلوب القصة فى تحقيق أهدافه ومراميه أو فى استخدام، وكان يجب أن يكون فى ذلك أسوة حسنة للأدباء المسلمين كما سوف نوضح.

وفي اعتقادى لو أن المسرحية الجادة ـ وهى فن أدبى محدث ـ كانت معروفة، ما توانى السابقون الأولون عن توظيفها في خدمة العقيدة والدعوة إلى الله وهم من هم إخلاصا وتفانيا، في البحث عن كل سبيل لاعلاء راية الإسلام، وهو مايمكن أن يلتقى مع أمر الله تعالى لرسوله الكريم «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك»(١) والأمر هنا للوجوب والتنفيذ، وهو عام أيضا لكل من يستطيع أن يؤدى هذا البلاغ، بالطريقة التى لاتتجاوز عقيدة ولا تغفل سلوكا إسلاميا.

من هنا تصبح الحاجة ماسةً اليوم إلى أدب اسلامي صادق يمتاح من قيم الإسلام ومثله، ويوظف كل فنون الأدب، بل ويبتكر من الفنون الإسلامية مايحقق أهدافه السامية العليا، لاسيما وقد تعالت صيحات الشرك والجاهلية، تناوشنا ذات الشمال وذات اليمين تصد عن سبيل الله بالقصة المنحرفة، والمسرحية الهزيلة، والقصيدة المتسكعة المتخاذلة، ولايجد شبابنا ـ وهم عدتنا ـ الزاد الأدبى الذى يرتوى برواء الاسلام، ويستلهم سيرة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، وتاريخ صحابته رضوان الله عليهم، حتى تحيا أمتنا حياة لاينفصل فيها الماضى عن الحاضر، ولا الحاضر عن المستقبل، في

(١) سورة المائدة آية ٦٧

استمرارية واعية بقيم الإسلام، ليستضىء بها في حرية العقل وتجدد الحياة وإبداع الانسان.

وحياتنا اليوم بحاجة إلى دراسة تعرض لتطور هذا الاتجاه، كما تقدم تصورا لمفهوم الأدب الاسلامى تجلو بعض ملامحه، كما تحاول الكشف عن نظرة الإسلام إلى كثير من القضايا التى تشكل إطار تعامل الأديب مع معطيات الحياة، من خلال تقديم نماذج تتضح فيها وجهة النظر الاسلامية اعتمادا على التحليل البنائى لهذه النماذج، لاسيما وهناك عديد من الدواوين والقصص والمسرحيات ذات الصبغة الاسلامية، والتى يمكن أن تشكل لبنات في صرح هذا البناء، وهى بحاجة ماسة إلى من يقدمها للقارىء، من خلال نظرة تدرك علاقات العمل الأدبى، وتسبر أغواره كما تكشف عن كيفية توظيف الأدب فى خدمة الدعوة الاسلامية، ومواجهته لقضايا المسلم اليوم، وهو يتصدى لمتغيرات الحياة متمسكا بعقيدته، نائيا عن الانحراف، ساعيا نحو الخير والبناء . . من هنا كانت هذه الدراسة التى تتغيا محاولة الاحاطة بكل هذه الجوانب . .

وما أقدمه هنا ليس إلا محاولة لاستجلاء هذا الدرب، وهى محاولة تتكامل مع جهود مسلمين مخلصين في أنحاء العالم الاسلامي تجمعنا بهم وحدة العقيدة والاخلاص لها فاللهم اجعل عملنا هذا خالصا لوجهك الكريم، وتقبله منا، إنك أنت السميع العليم . .

مفهوم الأدب الاسلامى

عندما يتلقى الفنان الحياة من خلال التصور الاسلامي لها، وينفعل بها فى إطار قيم الاسلام ومبادئه ثم يصوغ هذه التجربة صياغة جميلة معبرة موحية، حينئذ يمكن أن يشكل هذا الجنس الأدبى بخصائصه ـ شعرا كان أو قصة أو مسرحية أو غيرها ـ شيئا من سمات الأدب الاسلامى.

وليس فى ذلك تقييد لحرية الأديب، وإنما تتطلب طبيعة وجوده فى الحياة كإنسان سوى أن يتعامل مع من فيها من الناس والموجودات وأن يتكيف معها، ثم يكون له موقف منها فى ضوء قيم الاسلام ومبادئه.

من ثم تصبح فاعلية الفنان عبادة «لأن كل فاعليات الانسان تبدو عبادة، ما دام ذلك الانسان قد وضع الله نصب عينيه، وحفظ اسمه العظيم فى فكره وقلبه وأعصابه ـ فهو يمارس العبادة الشاملة أنى كان فى البيت أم فى المسجد، فى المدرسة والجامعة أو فى السوق . . فى تنقله وأسفاره وكفاحه، أم فى عزلته وتأمله وهدوئه(١)». «الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك»(٢) . .

---

١ ـ د. عماد الدين خليل ـ الطبيعة فى الفن الغربى والاسلامى ص ٧٣ ـ مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة ١٣٩٧ هـ / سنة ١٩٧٧ م.

٢ ـ سورة آل عمران آية ٣

وأخص مايتضح فى هذا النتاج الأدبى أنه هادف بناء ، مغذ للعواطف الاسلامية ، يرقى بالانسان أيا كان هذا الانسان ، كما يدعو إلى الاعتزاز بالاسلام منهجا كاملا . ونظاما شاملا ، من خلال تناوله السوى لمعطيات الحياة ، وهو نتاج يعتز بلغة القرآن ، ويحاول أن يتمثل شيئا من خصائص صياغته ، كما يستفيد من سمات الأسلوب النبوى الكريم ، وهو أدب يصد عن الفكر الاسلامى وعن اللغة العربية أعتى التيارات التى واجهها دين ، أو ثبتت أمامها لغة على مدى قرون كثيرة من الزمان ، إنها التيارات التى تهدد الأمة الاسلامية فى أخلاقها وآدابها ، ولسانها العربى(١) .

فهو إذن أدب لحمته وسداه العاطفة الدينية ، وتتجلى فيه المعانى القرآنية وتصور الكون والحياة والناس من خلال قيم القرآن ومثله ، حيث إنه وليد لحظات يسمو فيها المبدع على نفسه ، وقد أشرقت فى صدره روح الايمان(٢) . فتجاوز الأهداف الدنيا إلى المعانى العليا ، واتصلت روحه بجوهر الكون والحياة ، حتى إنه يحاول التسامى ليشمل الحياة العليا ، واتصلت روحه بجوهر الكون والحياة ، حتى انه يحاول التسامى ليشمل الحياة والأحياء ، ويتصل بالأرض والسماء ، متطلعا إلى الحق والخير والجمال ، فكل ما حول الأديب وما يصادفه يصلح موضوعات له لأن الأصل في الأشياء الاباحة كما تقول القاعدة الأصولية ، المهم أن هذا النتاج الأدبى لايصادم الفطرة ، ولايعتدى على العقيدة .

---

١ ـ انظر : د . عبدالله عبدالمحسن التركى ـ مقدمة نحو أدب اسلامى معاصر تأليف الدكتور على عبدالحليم محمود ، ط . جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، قسم البحوث والدراسات ص ٦ .

٢ ـ د . عبدالرحمن الباشا ، شعر الدعوة الاسلامية فى العصر الأموى ١٣٩٢ هـ/١٩٧٢ م ـ مقدمة لموسوعة أدب الدعوة الاسلامية ، طبع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية .

ومن ثم فهو أدب أصيل ملتزم ، حيث يلتزم الأديب الاسلامى خصائص أمته الاسلامية، وبذلك يفترق التزام الأديب المسلم عن غيره، فالالتزام الماركسى التزام بقضايا الصراع الطبقى، وحتميته تحكمه من خارجه، وهى حتمية مادية لا مجال فيها للانسانيات والروحانيات، ومن ثم فإن قيم هذا الالتزام قد تقضى على الفرد وتطلعاته كإنسان، حيث لاقيمة مطلقا إلا للمجتمع أيا كانت قيم هذا المجتمع.

كما يباين الالتزام الاسلامى الالتزام الوجودى، حيث يلتزم الأخير بحرية الفرد ووجوده مطلقا مما قد يسىء إلى حرية المجتمع، وتطلعاته الانسانية المشروعة.

من هنا يتجلى التزام الأديب الاسلامى بقيم دينه ومثله كأمثل مايكون الالتزام رعاية للفرد وتقديرا للمجتمع ، لاتحكمه حتمية خارجية، وإنما تحكمه عدالة السماء وشرع السماء ورحمته سبحانه وتعالى التى وسعت كل شىء، ولا يحد التزام المسلم سوى التصور الاسلامى للحياة، ومن هنا فالمساحة التى يجول فيها الأديب المسلم واسعة سعة الحياة والناس والأرض والسماء، والوجود كله (١).

ونعتقد أن مثل هذا النتاج الأدبى وإن امتاح من قيم الاسلام ومثله، فهو ليس خاصا بالمسلمين فحسب مبدعين ومتلقين، لأن دعوة الاسلام عامة لكل البشر، ورسالته خاتمة الرسلات.

كما نتصور أن أى نتاج أدبى يصدر عن هذه القيم الاسلامية، ويدور فى فلكها، إن هو إلا ممثل لهذا الاتجاه ونحن حينئذ إنما ننظر إلى ماقيل ، لا إلى من قال.

---

١ ـ د . عبدالباسط بدر ـ مجلة البعث الاسلامى ـ لكهنؤ الهند ـ المجلد السادس والعشرون، العددان الأول والثانى، رمضان شوال سنة ١٤٠١ هـ ويوليه وأغسطس سنة ١٩٨١ ص ١٠٧.

وكذلك انظر : الدكتور عبدالرحمن رأفت الباشا ـ المصدر نفسه ص ٦٣.

وتلك وجهة نظر يقابلها رأى من يرى أن الأدب الإسلامى هو ما أنتجته عقول الأدباء المسلمين الملتزمين فى فكرهم بالاسلام ومنهجه ونظرته إلى الحياة والأحياء (١). لكننا نعتقد أن فى هذا المنحى تضييقا لمجال يجب أن يتسع، فالنتاج الأدبى الذى يصدر عن الاسلام وقيمه أعم وأشمل من أن يختص بالكتاب المسلمين، فقد رأينا كتابا غير مسلمين، حاولوا تمثل هذه المبادىء فيما يبدعون، وربما كان ذلك سبيلا لهدايتهم، ونذكر هنا ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ كتاب «محمد الرسالة والرسول» للدكتور نظمى لوقا، ويمكن أن تلتقى مثل هذه الكتابات مع أدب المقالة الاسلامية، طالما كانت صياغتها جمالية، وليس فى ذلك خلط بين التاريخ كعلم والأدب كفن، لأن التعريف الذى قدمناه للأدب الاسلامى (٢) يمكن أن يكون فيصلا فى ذلك.

وإذا كان مفهوم الأدب الإسلامى بهذا الشمول والاتساع فهو من باب أولى يضم مع الأدب العربى الأدب الفارسى والأدب التركى وغيرها من الآداب الأخرى التى أدارتها جميعا وحدة العقيدة فى فلك الإسلام (٣)، من ثم فنحن نشجع وندعو إلى ترجمة هذه الآداب إلى اللغة العربية لغة القرآن الكريم، كى يسهم فى النهوض بدراستها علم «الأدب المقارن»، وهو أنسب مجال لدراسة هذه الآداب التى استوت برواء الاسلام، بعد أن نمت فى كنف سماحته، وترعرعت فى محراب قيمه، وإن اتخذت من غير العربية لغة لها، على أنه يجب أن نذكر بما بين هذه اللغات واللغة العربية ومن وشائج تاريخية، وصلات عرقية لغوية.

وسوف يظل الأدب الإسلامى إلى ما شاء الله عربى اللسان ربانى المضمون.

---

١ ـ نحو أدب اسلامى معاصر ص ٢١. ٢ ـ انظر ص ٧ من هذه الدراسة.

٣ ـ د. حسين مجيب المصرى ـ فى الأدب الاسلامى: فضولى البغدادى ـ دار الفكرة ـ القاهرة ص ٧.

لمحات من التصور الاسلامى للحياة

لمحات من التصور الإسلامى للكون والحياة

نستطيع الآن أن نتقدم لنلتمس بعض ملامح الإسلام في تصور الكون والحياة، وهو تصور نقدمه لمن أراد أن يكتب أدبا اسلاميا يصور أشواق المسلمين وهمومهم ، تلك الأشواق التى تتجدد بتجدد الحياة بحثا عن الخير فى كل فعل وقول، وتأكيدا لإنسانية الإنسان وكينونته كما أراد له خالقه سبحانه وتعالى أن يكون، فعالا، إيجابيا مسهما فى عمارة الكون ونضارة الحياة.

شمولية التصور :

إن التصور الإسلامي للحياة شامل كامل، يجمع بين الأرض والسماء حيث تتجلى آلاء الله ونعمه، وما يتصل بذلك من حكمة إلهية، وجمال يمتاح منه الذوق الإنساني « إن فى خلق السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار، والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس، وماأنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها، وبث فيها من كل دابة، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون» . (١)

ويقول تعالى : فى الأنعام «ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون»(٢) .

---

١ ـ سورة البقرية آية ـ ١٦٤ .

٢ ـ سورة النحل آية ـ ٦ .

كما يقول تعالى : «أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج، والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب»(١).

«ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين»(٢).

«ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين»(٣).

وهكذا تتجلى القيمة الجمالية للخلق وتأكيد الصنعة المبدعة، والحكمة البالغة، والشمول الذى تتميز به الصياغة القرآنية، التى لايعوزها بساطة العرض، ولا عمقه فى التوصل إلى عقل المتلقى وقلبه، كما تتجلى الوسائل اللغوية ـ بتوظيفها المثالي ـ وقد شكلت كل ـ هذه الجوانب.

النماذج البشرية:

وفى مجال تصوير النماذج البشرية فى الأدب، نجد أن التصور الاسلامى للحياة يحفل بالجمع بين النماذج المتقابلة ليؤكد من احتكاكها الوجه الأمثل للحياة، كما فى النموذج الأمثل للانسان، حيث يتجلى الطهر والعفة والجمال كقيم مطلقة لهذا الانسان ولتلك الحياة التى يرتضيها الاسلام للبشر.

وها هوذا إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام يسلم نفسه لأبيه لينفذ فيه رؤ ياه فى تسليم كامل، وطاعة خالصة، لأن رؤ يا النبيين صدق: ونجد القرآن الكريم يعرض لبعض جوانب هذا الموقف، فى أسلوب حوارى مفعم بحنان الأبوة وبر البنوة، بأوجز عبارة تحمل هذه المعانى وتجليها فى دقة وإحكام بالغين، وكشف وإيحاء ثريين حيث يقول «فلما بلغ معه السعى قال : يابنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك

---

١ ـ سورة ق آية ٦، ٧، ٨

٢ ـ سورة الملك آية ٥.

٣ ـ سورة الحجر آية ١٦.

فانظر ماذا ترى، قال : ياأبتِ افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين، فلما أسلما وتله للجبين، وناديناه أن ياإبراهيم قد صدقت الرؤ يا إنا كذلك نجزى المحسنين، إن هذا لهو البلاء المبين، وفديناه بذبح عظيم»(١).

يقابل ذلك تماما ويتصل به اتصال المفارقة موقف ابن آخر من أبيه، ذلك هو ابن نوح عليه السلام، عندما يرفض هذا الابن نصح أبيه برغم ما فيه من خير ونجاة له، وبنفس الأسلوب الحوارى الذى يتسم بالايجاز والشمول لكل جوانب الموقف المنطقية حيث يحكى القرآن الكريم قائلا :

«وهى تجرى بهم فى موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان فى معزل يابنى اركب معنا ولاتكن مع الكافرين، قال : سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء قال لاعاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين»(٢).

وكلا الموقفين يتسم بالدقة والاعجاز البالغين، فمن حركة ونماء يجليهما اتصال الأفعال وتراسل ماهياتها، إلى حشد ردود الأفعال فى ترابط وتصاعد ، يؤذن بنهاية تحسم الموقف لصالح الخير والخيرين، فسبحان الله «الذى أحسن كل شىء خلقه»(٣).

وهذا ما يجب أن يتسامى إليه كل نتاج أدبى ، هذا فضلا عن الأسلوب القصصي الذى يسرى فى هذه الآيات ويجذب إليه عقل المتلقى ووجدانه معا.

ولافرق فى ذلك بين أن يكون النموذج ذكرا أم أنثى، من هنا يتسق مع ماسبق تدنى امرأة العزيز، وسمو إبنة شعيب عليه السلام وخفرها فى تطلعها للزواج من موسى عليه السلام، فبينما تقول امرأة العزيز عن يوسف عليه السلام :

---

١ ـ سورة الصافات آية ١٠٢ : ١٠٧

٢ ـ سورة هود آية ٤٢ ، ٤٣.

٣ ـ السجدة آية ٧.

«ولقد راودته عن نفسه فاستعصم، ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن، وليكونا من الصاغرين»(١) . . نجد ابنه شعيب عليه السلام تقول:

«. . . . يأبت استأجره إن خير من استأجرت القويُّ الأمين»(٢).

ويلاحظ ماتجليه عبارة الآية الأولى من مباشرة تتساوق مع دناءة هدف امرأة العزيز، لتعميق إحساس المتلقى بأبعاد النموذج الانسانى، وفى نفس الوقت يتجلى ما فى آية ابنة ـ شعيب عليه السلام من إيحاء خصب وتلميح ثرى للكشف عن بغية النموذج الانسانى، ومن التقابل بين هذين النموذجين يتجلى عظمة أسلوب القرآن فى عرض النماذج البشرية، وجلاء أبعادها فى تطلعها نحو كل ما هو خير.

وتتباين النماذج الانسانية وتتعدد حتى إنها لتتجاور، ويقترن بعضها ببعض فى السورة القرآنية، كامرأة نوح وامرأة لوط، يقابلهما صلاح امرأة فرعون ومريم ابنة عمران، ويلاحظ مافى النماذج من ثراء يجليه تعدد العلاقات، حيث إن الأوليين كانتا زوجتين لرجلين صالحين بينما كانت الثالثة زوجة لرجل مشرك، يحكى القرآن الكريم هذا التقابل فيقول:

---

١ ـ سورة يوسف آية ٣٢ .

٢ ـ سورة القصص آية ٢٥ .

«ضـرب الله مثـلا للذين كفـروا امـرأة نوح وامـرأة لوط كانتا تحت عبـدين من عبـادنـا صالحين فخانتاهما، فلم يغنيا عنهما من الله شيئا، وقيـل ادخـلا النـار مع الـداخلين، وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعـون إذ قالت رب ابن لى عنـدك بيتـا فى الجنة، ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القـوم الظـالمين، ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجهـا فنفخنـا فيـه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين». (سورة التحريم: آخر السورة).

وهكـذا يتضـح اتجـاه النماذج الانسانية فى محاولتها التطلع نحو كل ماهـو حق وخـير، من خلال الجمـع بين مختلف الجـوانب لتتكـامـل الصورة العامة الفضلى، التى تجلى رقى الانسان وتكريم الله سبحانه وتعالى له.

التواصل بين الكائنات :

وتـتـردد فى مجال الأدب اليوم فكرة التراسل بين الحواس المختلفة، وبـين المـوجودات، وقد حفل القرآن الكريم بكثير من صور التراسل التى يمكن أن يستفيد منها الأدباء والنقاد.

فالتصور الاسلامى للحياة والوجود فضلا عن شموله لهما، يحرص على الـتـراسـل والتـواصـل بين مكـونـات الحيـاة، مافيه حياة ظاهرة كالانسان والحيوان. والطير، وما يبدو أنه خال منها كالجمادات، وهنا تتجلى عظمـة الخـالق فيما أبدع، وروعة المخلوقات المبدعة فيما بينها من تناسق، وتآزر، وانتظام، تستمر به الحياة فى سيرانها شاهدة على عظمـة هذا الخـالق المنعم جل وعـلا، كما تحقق هذه الكائنات ذواتها على اختـلاف أشكـالها وألوانها وأنواعها، ودون انفصال بينها، وذلك بإخلاصها العبادة لله، وتكيفها مع المهام التى من أجلها خلقت.

كما تتجلى قوة الاتصال بين الأرض والسماء، وعمق الصلة بين الإنسان والطير والجماد، وكل مخلوقات المنعم سبحانه وتعالى، يقول القرآن الكريم بشأن داود عليه السلام: «ولقد آتينا داود منا فضلا، ياجبال أوبى معه والطير، وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر فى السرد»(١)

كما يشير إلى تقديس كل المخلوقات لله: «ألم تر أن الله يسبح له من فى السماوات والأرض، والطير صافات، كل قد علم صلاته وتسبيحه، والله عليم بما يفعلون»(٢) بل إن الرعد ليسبح بحمده: «ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته». (٣)

وهكذا تتوثق الصلات بين الانسان والطير والجماد عندما يصبح الايباب إلى الله وتسبيحه قاسما مشتركا بينها، بل إن هذه المخلوقات لتتآزر فى عمارة الكون، يتضح ذلك من تراسل ماهيات التراكيب التى وردت فيها ألفاظ الإنسان والطير والسماوات والأرض ومن فيهن فى القرآن الكريم، بل لو نظرنا إلى قوله تعالى «والله خلق كل دابة من ماء، فمنهم من يمشى على بطنه، ومنهم من يمشى على رجلين، ومنهم من يمشى على أربع، يخلق الله مايشاء إن الله على كل شىء قدير»(٤)، وتأملنا ما فى كلمتى (دابة، ماء) من تنكير دال على التعميم الذى يتأكد بلفظة «كل»، ثم مجىء (من) التى جرى العرف اللغوى على استخدامها للعاقل، فوظفت للدلالة على غير العاقل أيضا لتأكد لنا هذا التواصل بين كل مخلوقات الله سبحانه وتعالى.

---

١ ـ سورة سبأ الآيتان ١٠، ١١.

٢ ـ سورة النور آية ٤١.

٣ ـ سورة الرعد آية ١٣.

٤ ـ سورة النور آية ٤٥.

وفى إطار هذا التصور الاسلامي الشامل الذى يقوم على التراسل والتواصل بين الموجودات فى جانبيها المادى والروحى يمكن أن نفهم قول الرسول عليه الصلاة والسلام فى جبل أحد: «هذا جبل يحبنا ونحبه»، كما ندرك فى هذا المقام اتساع المشاعر الانسانية وشمولها والارتباط الحي بين الانسان والجماد وكلاهما من مخلوقات الله المبدع، «فتبارك الله أحسن الخالقين». (١)

الفن والطبيعة:

وفى ضوء ذلك يمكن أن نفهم العلاقة بين الفن والطبيعة، وهى علاقة انسجام وتوازن، الطبيعة جميلة ونافعة، وهى أستاذ الأساتذة كما يقولون، من ثم فهى مادة الفن، وإذا لم يستطع الفن أن يلمح مافيها من جمال وتساوق، وزينة، ونفع، فمرد ذلك إلى بصره وبصيرته ووسائله التى لم تستطع إدراك قيمة الطبيعة، وأهمية معطياتها.

ولن يكون الفن صورة للواقع، وإلا لأغنى الواقع عنه وإنما الفن رؤية للواقع تنبثق منه، وتصدر عنه، وترتد إليه، تتزود منه بما يحقق لها النفاذ للأعماق، والتأثير فى المتلقى، والطبيعة فى النهاية بمعطياتها من جمال ونفع سبيل إلى معرفة الحق تعالى، والاهتداء إلى ربوبيته وحكمة خلقه، وإبداعه: «الذى أحسن كل شىء خلقه، وبدأ خلق الانسان من طين»(٢)، «صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة، ونحن له عابدون»(٣).

من هنا فالطبيعة مصدر وحى للفنان، تجىء انعكاساتها في أعماله الفنية ومايقوم بين الفن والطبيعة من جدلية إنما هو لدفع الفنان كى يكون إيجابيا فعالا يمارس الأدب للكشف عن الحقائق الجمالية التى تتمنع الطبيعة فى الكشف عنها، ولن يكون الابداع فى الأدب الا بشحذ الفنان لحسه وفكره وحدسه بعد صقل وسائله.

---

١ ـ سورة المؤمنون آية ١٤. ٢ ـ سورة السجدة آية ٧. ٣ ـ سورة البقرة ١٣٨.

ولامجال هنا لأن يقال إن الفن يجمل الطبيعة أو يكمل الطبيعة، وإنما الفن بوسائله يركز على جانب أو أكثر من جوانب الطبيعة ويجليه لعين المتلقى بحيث تتركز الرؤية البصرية، أو الفكرية عليه، فلا يظهر غير هذا الجانب أو هذه الجوانب ونحن حينئذ لانكون قد عدلنا فى الطبيعة أو غيرنا فيها، لأنها كما أبدعها الخالق تعالى، وإنما فقط لفت الفن النظر بوسائله إلى هذه الناحية أو لتلك، من جوانب الطبيعة التى لايحصيها عقل.

وإذا ما صور الفنان الانحراف أو الشر أو الفساد بهدف التنفير منه، وتبغيض المتلقى فيه، ووظف من الوسائل الفنية مايحقق له ذلك فبها ونعم، أما أن يكون تصوير الشر من أجل الترغيب فيه، أو إثارة المشاعر، إثارة ضارة، أو غير ذلك فلا: «ماأصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك . .»(١)

الانسان . . البطل

وبينما نجد بعض المذاهب يعلى من قيمة الانسان كغاية فى حد ذاته، حتى ليتضاءل جانب المجتمع أمام ذلك كالوجودية مثلا، أو العكس عندما تعلى بعض المذاهب الاشتراكية من قيمة المجتمع حتى لتلغى الفرد فى سبيل ذلك، يأتى تكريم الاسلام للانسان بصفة عامة فى جانبيه الفردى والاجتماعى معا: «ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا»(٢). وكما يقول تعالى: «لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم»(٣).

---

١ ـ سورة النساء آية ٧٩

٢ ـ سورة الاسراء آية ٧٠.

٣ ـ سورة التين آية ٤.

وإذا كان الرسول ﷺ يقرر: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه فهو ﷺ يرى أن المسلمين جميعًا في نفس الوقت «كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى». وكل هذا في إطار الكرامة التي أكدها القرآن الكريم لبني آدم فيما سبق.

ويرتبط بهذا التصور الإسلامي مفهوم البطولة في الأدب فهو ليس مفهوما خرافيا أسطوريا ميتافيزيقيا، ولكنه مجال للتنافس الانساني في فعل الخير والخشية من الله ورعايته كأنه يراك إن لم تكن تراه، وأعدل مقياس لها قوله تعالى : «إن أكرمكم عند الله أتقاكم»(١)، والتقوى مجال مطلق يمكن أن يشمل ماصغر من الأمور، وماعظم منها في نفس الوقت.

والشيء اللافت للنظر أن أجناس الأدب الموضوعية كالمسرحية والقصة منذ أرسطو إلى اليوم وهي تولي اهتماما كبيرا لسقوط هذا البطل، وانكساره فيما يسمى بالخطأ المأساوي، وهو خطأ في السلوك تخالف نتيجته مايستحقه هذا البطل لقاء بطولته، وهذا خطأ وليس خطيئة ، حيث إن الأخيرة أخلاقية بينما الخطأ قد يكون منشؤه سوء ترتيب المقدمات، أو عدم تنظيم الأفعال التي يقوم بها هذا البطل، أو أن هذه الأفعال برغم سلامتها يعوزها بعد النظر، ومحاولة استبصار النتائج مما يؤدي إلى التحول في مصير هذا البطل، فيفشل أو يسقط.

وبرغم إنسانية هذه اللحظة، أو هذا المنعطف فهو لا يتناسب مع الانسان الذي كرمه الله على كثير من خلقه، فليس السقوط أو الفشل هو فقط الذي يشكل حياة الانسان، وإنما الحياة السوية مزيج من النجاح والفشل، واستبصار واعتبار ينتقل به الانسان من

---

١ ـ سورة الحجرات آية ١٣.

الفشل إلى النجاح، فلا بأس من الجمع بينهما، ولكن على أساس نقلة الانسان إلى مايليق به(١)، فليست الحياة الكريمة السوية فشلا خالصا، وإنما البطل هو الذى يستطيع محاولة احتواء كل جوانب الموقف، وترتيبها، ومحاولة الوصول بها إلى النتائج المرجوة من منطلق قوله تعالى: «فاعتبروا يأولى الأبصار»(٢).

بل إن القرآن الكريم كما سبق أن أشرنا عندما يجمع بين النماذج الانسانية المتقابلة، وعرضها فإنه لابد أن ينتهى إلى الوجه الخير الصحيح الذى يتلاءم مع الحياة السوية، والذى به تستقيم هذه الحياة، لأن ذلك البطل هو خليفة الله فى أرضه.

وأليس فى الحياة فشل، كما أن فيها نجاحا؟ بلى، ولكن ليس هذا الفشل هو مقياس الحياة السوية، كما أنه ليس هو مقياس الانسان السوى القيم على عمارة الكون، فالفشل مهما تكن قيمته لايبنى الحياة، والسقوط مهما كانت درجته لايسهم فى عمارة الكون بقدر مايحقق النجاح هذه العمارة، ويشيد هذا البناء، وحياة الانسان من غاياتها التى أرادها لها الله هو هذا البناء وعمارة الكون، يقول تعالى: «أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لاترجعون»(٣). ومن ثم يكون الحساب والثواب والعقاب، فليس هناك فعل دون غاية، وليس هناك خلق دون هدف، «هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها، فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربى قريب مجيب»(٤). وانظر كيف تجمع الآية الكريمة بين النشأة والأرض وطلب العمران، مما يوحى بأهمية عمارة الانسان لهذا الكون.

---

١ ـ محمد قطب ـ منهج الفن الاسلامي، ص ٥٣ ومابعدها، ط. دار الشروق، ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م.

٢ ـ سورة الحشر آية ٢

٣ ـ سورة المؤمنون آية ١١٥.

٤ ـ سورة هود آية ٦١.

القـدر :

من هنـا فقـدر الانسـان لاتحكمـه حتميـة تاريخية أو اقتصادية ، أو تعقـد العـلاقـات الاجتـماعية . أو آلهة متعددة تتماثل أفعالها مع أفعال البشـر، بل قدر (١) الانسـان هو ما أراده الله لهذا الانسـان فى حدود مايفعـل ، ومـاينتهج من سلوك ، لاسيما وقد وضح أمامه طريق الخير وطريق الشر: «وهديناه النجدين»(٢) .

ومـا يواجهـه هذا الانسـان من صراع ـ طالمـا أنـه صراع من أجل الحق، ومن أجل البناء والخير للحياة ـ لابد أن ينتهى إلى خير، وإلى حق «فمن يعمـل مثقـال ذرة خيرا يره، ومن يعمـل مثقـال ذرة شرا يره»(٣) هكـذا أراد إلـه الكون، ولن تخرج نتائج الأفعال عما أراده لها الخالق سبحانه وتعالى .

إذن مهـما يواجـه البطـل فى الأدب من صعـوبات وتحديات ، فإن مسلكـه يجب أن يصـل به إلى هذا المستـوى الخـير الذى يصارع من أجله، ويـركب الصعـاب فى سبيله، ألا وهو البناء والاسهام فى عمارة الكـون: «الـذين إن مكنـاهم فى الأرض أقـامـوا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور»(٤)

كما يقـول تعـالى : «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الـذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الـذى ارتضى له وليبـدلنهم من بعـد خوفهم أمنا، يعبدوننى لا يشركون بى شيئا، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون»(٥) .

---

١ ـ انظر : مفهوم القدر فى : تفسير القرآن العظيم لابن كثير، جـ ٤ ، ص ٦٧ وكذلك التفسير الكبير للامام الفخر الرازى، ص ٧٣ ، جـ ٢٩ ، ط ٢، نشر دار الكتب العلمية، طهران.

٢ ـ سورة البلد آية ١٠ .

٣ ـ سورة الزلزلة آخرها.

٤ ـ سورة الحج آية ٤١ .

٥ ـ سورة النور آية ٥٥ .

وتؤكد هذه الآيات السابقة بنسقها الربط الوثيق بين الجانب التعبدى الذى ترمز له الصلاة والعمل الصالح، وبين خلافة الله فى الأرض وعمران الحياة، وهى الجانب الاجتماعى الذى ترمز له الزكاة والتمكين فى الأرض.

وهكذا إذا كنا نتغيا فى الأدب أن يكون وسيلة لرقى الانسان، وتبصيره بالحق والخير والجمال، وتحقيق المتعة الفنية، فلابد أن يكون القرآن الكريم فى مقدمة مايجب أن يراجعه الفنان وهويتعامل مع الحياة ومعطياتها بفنه، وأن يجعله من أهم مصادر وسائله وغاياته.

وإنها لدعوة أكررها من هذا المكان الطيب لمن أراد أن يتذكر، وأراد خدمة دينه ودنياه موظفا للكلمة فى هذا المجال، أن يعود إلى كتاب الله، الذى ماجاء إلا لهداية البشر، وقد خاطب فيهم كينونتهم، يقنع عقولهم، ويستثير قلوبهم، ويرقى بإحساساتهم، ويسمو بوجداناتهم، ويستوفز كل طاقاتهم للخير والبناء، كما يريح أعصابهم، من هنا فقد خرّجت مدرسة القرآن الكريم آلافا من الخريجين كانوا ذواقين: أدباء ونقادا، قادوا ورادوا، لأن أى دعوة لن تؤتى ثمارها إلا إذا صيغت صياغة رائعة جميلة. هكذا علمنا الله الذى لايخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء.. فما أروع مدرسة القرآن الكريم ... (١).

---

١ ـ انظر د. عماد الدين خليل فى النقد الاسلامى المعاصر ص ١٠، ١١

تاريخية الاتجاه

تاريخية الاتجـــاه

- ١ -

بهذا المفهوم السابق برز الأدب الاسلامى على امتداد تاريخه، كما بينت عربى اللسان، ربانى المضمون.

ولقد تباينت بيئات هذا الأدب كصدى للتمركز الدينى والسياسى لعـاصمـة الدولة، من ثم برزت المدينة فى عهد الرسول ﷺ وصحابته ممثلة للشعر الإسلامى، وهو شعر الأنصار والمهاجرين، وقد كان هذا الشعـر أكثـر تمثيـلا لآداب الـدين ومثله وقيمـه، واحتل شعراء المدينة الثـلاثـة: حسـان بن ثابت، وكعب بن مالـك، وعبدالله بن رواحة ـ رضى الله عنهم ـ المكـانـة الكـبرى فى هذا المجـال، وهؤلاء الشعراء الثـلاثـة من الخـزرج، كانـوا هم الممثلين لوجهة النظر الإسلامية فى ذلـك الـوقت، هذا برغم أن المهـاجرين ظهر شعرهم منذ أول البعثة وبخـاصـة حين أذن رسـول الله ﷺ للمسلمين بالهجرة إلى الحبشة، وقـد طالعتنـا أسماء عدة منها عثمان بن مظعون، وعبدالله بن جحش، وصفية بنت عبدالمطلب وغيرهم(١)، رضى الله عنهم.

ولقـد كان القـرآن الكـريم يتلى عليهم صبـاح مساء، فيسرى فى قلوبهم وأسـماعهم، ومن هنـا كانت النقلة الفنيـة من الأدب الجاهلى إلى أدب الإسـلام، حيث تجلى ذلـك شكـلا ومضمـونا، فمن فخر بقـوة العـدد والعـدة، وكسب المغنم وسبى العـدو، إلى فخـر بنيـل

---

١ ـ د. يحيى جيورى. مجلة البعث الاسلامى (وقد سبقت الاشارة إليها) ص ١٨٧.

الشهادة فى سبيل الله، وانتصار جنده، والفوز برضوانه سبحانه وتعالى، وانتصار الحق، واندحار الباطل، كما بدأت كثير من المفردات والتعبيرات القرآنية تشيع فى هذا الأدب، كالمسلم والكافر، والجنة والنار، والرحمن، والصبر والبلاء، والذين نصروا الله، وغير ذلك، ورسوله الله ﷺ يوجه ويسدد ويقوم، ويشجع ويحث ويدفع، حتى تخلصت لغة الشعر من كثير من خشونتها.

وفى تصورى أن خلو شعر حسان من هذه الخشونة، هو ما جعل الأصمعى يقول عنه: «فلما جاء الإسلام سقط شعره»(١)، لأن هذا الشعر الإسلامى لو لم يكن جيدا ما أدى دوره فى نشر الاسلام وإخضاع المشركين، فى مجتمع تحتل الكلمة الجيدة فيه الصدارة، فيكفى أن يتفوق حسان بن ثابت على شاعر تميم ليدخل ذلك الوفد فى الإسلام، بل إن من أسباب إسلام دوس أبياتا قالها كعب بن مالك(٢).

ولقد حفل فن الرثاء فى هذا العصر بصور الدعوة إلى الدين، والولاء الكامل لقيمه ومبادئه، فهفا المسلمون إلى الشهادة فى سبيل الله، وزكى من هذا الهدف روح معنوية عالية، حيث قد وجد المسلمون أنفسهم وشخصيتهم فى الولاء والاخلاص للدين الاسلامى، فى الوقت الذى لم يجد شعراء المشركين غاية عليا يرتبطون بها، أو هدفا ساميا يقتنعون به، ومالبث الإسلام أن عم نوره مختلف الأرجاء، فتهاوت معاقل شعراء المشركين فى مكة والطائف والقرى اليهودية وغيرها.

---

١ ـ ابن قتيبة الشعر والشعراء ـ تحقيق محمد أحمد شاكر، جـ ٣، ١٩٧٧، ص ٦١.

وانظر مناقشتنا التفصيلية لرأى الأصمعى وغيره فى هذه القضية بكتابنا «الاتجاه النفسى فى نقد الشعر العربى» ط مكتبة المعارف الرياض، ١٩٨١، ص ٦١ ومابعدها.

٢ ـ مجلة البعث الاسلامى ص ١٨٨.

ولو نظرنا إلى شعر الفتوحات الإسلامية فى هذه الفترة لوجدناه يزخر بأسمى المشاعر الروحية الاسلامية، كما يتجلى فيه أثر الإسلام عقيدة وفكرة فى نفوس المسلمين، وفى حملهم على البذل والتضحية والفداء، فقد ارتقى الإسلام بنوازع العرب الوجدانية، القبلية والفردية الضيقة الحدود، إلى وجدان متوحد، من أجل هدف واحد نبيل(١): «يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون»(٢).

وبرغم وضوح موقف الاسلام من الشعر وتأييد الرسول ﷺ للخير منه، وحثه عليه الصلاة والسلام لحسان بن ثابت، فإن هذا الموقف اكتنفه شىء من اللبس - بقصد وبدون قصد؛ ولو عدنا إلى القرآن الكريم لوجدناه قد حدد الموقف بجلاء، تحديدا تاما خلال بضع آيات منها: قوله تعالى «والشعراء يتبعهم الغاوون ألم ترأنهم فى كل واد يهيمون، وأنهم يقولون مالا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا، وانتصروا من بعد ما ظلموا، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون»(٣).

وهذه الآيات الكريمة إنما تحدد أبعاد حرية الشعراء، فهم أصحاب خيال واسع، ثم يأتى الاستثناء ليخصص المؤمنين الصالحين منهم، الذين ينتصرون للحق بالبعد عن الغواية

---

١ - د. النعمان القاضى - شعر الفتوحات فى صدر الاسلام. نشر الدار القومية للطباعة، القاهرة، سنة ١٩٦٥ م - ١٣٨٥ هـ، ص ٩

٢ - سورة آل عمران آية ١٠٢، ١٠٣

٣ - سورة الشعراء الآية ٢٢٤، ٢٢٧.

والضلال، وفى ذلك ما فيه من حث على توظيف شعرهم فى الدعوة إلى الخير والحق ، بل لقد كان المسلمون الأولون يدرأون عن الشاعر الحد إذا نسب نفسه فى الشعر إلى مايوجب حدا مستدلين بقوله تعالى : «وأنهم يقولون مالايفعلون» . (١)

وربما كان المقصود بالشعراء الذين أدانتهم الآية ، فئة معينة من شعراء المشركين الذين تناولوا الرسول ﷺ بالهجاء ومسوه بالأذى(٢)

وأما قوله تعالى : « وما علمناه الشعر وماينبغى له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين (٣)» ، «وماهو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون (٤)» . فقد وردت فى معرض دحض دعاوى المشركين وافتراءاتهم ووصفهم القرآن بأنه كلام شاعر (٥)» ليؤكد ما سبق بصورة قاطعة نهائية ، وليتجلى من وراء هذه الآيات مجتمعة موقف الاسلام الحاث على الشعر الملتزم بمبادىء الدعوة ، الذائد عن الحق ، والذى يقطع كل شبهة بين القرآن والشعر ، وبين الرسول عليه الصلاة والسلام وأن يكون شاعرا ، حتى لايختلط هذا بذاك ، وحتى تنأى الدعوة والداعية عما تعارف عليه مجتمع الجاهلية من صلة موهومة بين الشعر والشعراء والشياطين ، وحتى لاتمس شخصية الرسول الكريم ﷺ بما عرف عن بعض الشعراء من انحراف .

وقول بعض النقاد بضعف الشعر فى صدر الإسلام إنما هو حكم نسبى ، أى بالمقارنة بين عصر صدر الإسلام والعصر الجاهلى ، أو عصر بنى أمية مثلا ، وهذا مايذكرنا برأى الأصمعى الذى أشرنا إليه سابقا ، وربما لأن أكثر الشعر لم يستطع استيعاب المضمونات الجديدة

---

١ ـ انظر : د . عبدالله الحامد . مجلة البعث الاسلامى ، ص ٨٧

٢ ـ د . محمد إبراهيم نصر ـ النقد الأدبى فى العصر الجاهلى وصدر الاسلام ط ١٣٩٨ هـ ، نشر دار الفكر العربى .

٣ ـ سورة يس آية ٦٩ .

٤ ـ تفسير النسفى ـ ض جـ ٤ ، ص ١٢ .

٥ ـ سورة الحاقة آية ٤١ .

التى حفـل بها الاسـلام، حيث إن هذا الشعـر قد استـوعب الحيـاة الجـاهليـة فى أكثـر من قرن ونصف ، ولم يكن من السهـل على شاعر قضى الشطـر الأكـبر من حيـاته فى الجاهلية ـ كحسان بن ثابت مثلا ـ أن يجد لنفسـه أسلوبـا جديدا من الشعر يحسن التعبير عن تلك القيم والقضـايـا الجـديدة، ويحتفظ فى الوقت نفسه بتلك الخصائص الفنية التى نمت وتطـورت فى ظل مجتمـع مختلف فى قيمـه وقضـايـاه(١) ، وتغـيـر الآداب والفنـون كتغـير الحضـارات والثقـافـات لايتم إلا فى سنـوات وسنـوات، وخـلال أجيـال وأجيال(٢) ، لاسيما وقد أذهلت الشعـراء بلاغـة القـرآن الكـريم، فانصرف كثيرون منهم إلى حفظه ودرسه ومحاولة الاستفادة من صياغته وفكره.

هذا بالاضـافـة إلى مايغفله كثـير من الـدارسـين من أن الضعف الـذى لوحـظ على الشعـر الاسـلامى كان قد بدأ قبيـل الإسـلام لا بعده، إذ انقضى عصر الفحول ولم يبق منهم إلا الأعشى الذى مات وهـوفى طريقـه إلى النبى ﷺ ، ليمدحه ويعلن إسلامه، ولبيد الذى بلغ الستـين، وأوشـك أن يكف عن قول الشعـر ، ولم يبق عند ظهور الإسـلام إلا شعـراء مقلون، بعضهم مجيـد فى قصائد مفردة، ولكنهم لايبلغون شأو هؤلاء الفحول(٣).

وقبـل كل هذه التأويلات والتخريجات إنما إرادة الله المستلهمة من قولـه تعـالى : «إنـا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون»(٤). هى التى أرادت لهذا الـذكـر الالهى أن يخلد، وللبشرية أن تظل فى محاولة تطلع دائم إلى هذا الإعجاز تلتمس فيه القدوة، وتتلمذ فى مدرسته التى لن تغلق أبوابها ـ أبدا على مر العصور ، وتوالى الأزمان . .

---

١ ـ د . عبدالقادر القط ـ فى الشعر الاسلامى والأموى ـ دار النهضة العربية، بيروت ، سنة ١٩٧٩ م. ص ١٢ ، ١٣.

٢ ـ د . عبدالله الحامد ـ مجلة البعث الاسلامى (سبقت الاشارة اليها) ـ ص ٨٩.

٣ ـ د . عبدالقادر القط ـ فى الشعر الاسلامى والأموى ـ ص ١٣.

٤ ـ سورة الحجر آية ٩.

وعلى هذا الدرب سار صحابة رسول الله ﷺ ، وعليهم رضوان الله ، يقبلون ماقبل ، ويرفضون مارفض ، وتاريخ الأدب الإسلامى يسجل بحروف من نور مواقف الصحابة الكرام ، شكلا ومضمونا ، فأبوبكر رضى الله عنه يلقى رجلا بالسوق يحمل ثوبا ، فيقول له : أتبيع هذا الثوب؟ فيقول له الرجل : لا ، عافاك الله ، فلاترضى هذه الاجابة ذوق أبى بكر الفنى ، لما يوهمه ظاهر اللفظ ، إذ قد يظن أن النفى منصب على الدعاء ، من ثم يرشده أبوبكر رضى الله عنه إلى مايسميه البلاغيون فيما بعد الفصل بين جملة النفى وجملة الدعاء ، حتى يتجرد الكلام لهذا الدعاء ويقول له : «علمتم لو كنتم تعلمون ، قل : «لا وعافاك الله»(١) .

ومن مواقف الصحابة أيضا فى هذا المجال ، مسلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه من الحطيئة عندما سجنه ، وقد أقذع فى هجاء الزبرقان بن بدر ، ثم عاهده أن يكف عن هذا الزيغ والانحراف ، حتى ليقال إن عمر رضى الله عنه قد اشترى من الحطيئة أعراض المسلمين ، فانصرف عن الهجاء ، وسلم المجتمع آنذاك من شره .

- ٣ -

ولقد ارتبط الأدب الاسلامى فى كل زمن بقضايا عصره ، وتلاحم معها واتصل بها أوثق اتصال ، يساند الحق ، ويكشف الزيغ ويستشرف أمثل سبل التقدم والازدهار ، والعفة والصون ، من خلال صياغته لهموم المسلمين وأشواقهم ، وهو فى كل ذلك يستمد المدد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ففى عصر بنى أمية تحول مركز الخلافة الى دمشق ، واشتدت النقائض بين جرير والفرزدق .

---

١ - الجاحظ البيان والتبيين ط ٤ الخانجى القاهرة ج ١ ص ٢٦١

وبرغم ما فيها من مزايا أثْرت الأدب لغويا وفنيا فى هذه الفترة، فإن ماتتضمنه بعض هذه النقائض من بعد عن أهداف الأدب الاسلامى ومراميه، يجعلنا نتجاوزها لننظر إلى الفكر الإسلامى، بما له من مقدرة على تصحيح مساره(١)، وحيث يمكن أن يبرز فى خط آخر قد يكون موازيا لاتجاه النقائض وإن اختلفت عنه فى المضمون، ذلك هو شعر ونثر الفرق الاسلامية، وهو يعد من أهم ظواهر الأدب الاسلامي(٢) فى هذه الفترة، لاسيما وقد كانت العقيدة هى محور الخصومات السياسية بين هذه الأحزاب المختلفة، حيث يلتمس كل حزب فيها مايدعم وجهة نظره، ويبين حقه، حتى إن مبدأ الحرص على «العدالة والتقوى» يكاد أن يكون قاسما مشتركا بين الأحزاب جميعها، ويستطيع الباحث فى الأدب الاسلامى وظواهره أن يجد خلال نتاج هذه الأحزاب مايجلى الظاهرة التى يبحث عنها، بل ويؤكدها، ونحن هنا نتجاوز أى أدب يخرج عن المفهوم الذى طرحناه فى مطالع هذه الدراسة.

ونؤكد على أن «تاريخ الاصلاح والتجديد متصل فى الإسلام، والمتقصى لهذا التاريخ لايرى ثغرة ولاثلمة فى جهود الاصلاح والتجديد، ولافترة لم يظهر فيها من يعارض التيار، ويكافح الفساد الشامل، ويرفع صوت الحق ويتحدى القوى الظالمة.. حتى لقد ترافق الاصلاح والكفاح»(٣).

---

١ ـ انظر: أنور الجندى ـ إطار إسلامى للفكر المعاصر ـ مطبوعات المكتب الاسلامي، بيروت ودمشق ص ٧٥.

٢ ـ انظر: د. النعمان القاضى ـ الفرق الاسلامية فى الشعر الأموى، دار المعارف، مصر سنة ١٩٧٠ ص ٧.

٣ ـ أبو الحسن الندوى ـ رجال الفكر والدعوة فى الاسلام، ط ٥ ـ دار القلم الكويت، سنة ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧ م ص ٢٦ : ٢٨.

ولقد ازدهر الغزل العذرى فى العصر الأموى أيضا، وبرغم أنه قد تعاونت أسباب عدة فى جعل هذا الغزل يتخذ شكل الظاهرة الفريدة فى هذا العصر، فقد كان للإسلام أثره فيه، حيث إنه قد كانت هناك أسباب دينية وخلقية مردها إلى الإسلام طبعت البيئة جميعها على اختلاف بين الأفراد والطبقات بطابع عام من التوقى إذا قيست بالبيئة الجاهلية، ووجهت بعض الشعراء - بحكم مزاجهم النفسى أو مجتمعاتهم المحلية - إلى التعبير عن معانى الزهد والتقوى والتعفف فى أشعارهم(١)، هذا بجانب الأسباب السياسية والاجتماعية والنقلة الحضارية وما أتبعها من تغير(٢)، وغير ذلك من الأسباب التى أدت إلى هذه الظاهرة.

ولقد كان الإسلام من أبرز العوامل التى أثرت فى ازدهارفن الخطابة، وإكسابها طوابع فنية خاصة تتضح بجلاء إذا قورنت الخطابة الاسلامية بما كان عليه هذا اللون فى العصر الجاهلى، ذلك لأن الخطابة هى من خير مايستعين به الدعاة والأنبياء والمصلحون، فى الدعوة إلى الله، فهى من أمثل الوسائل للاتصال بالجماعات والتأثير فيها واستمالتها(٣)، من هنا فقد نشأت ألوان عدة كخطب الجهاد، والجمع والعيدين، وغيرها من المناسبات الدينية، فضلا عن تمايز بنائها ذاته.

فإذا ما جاء عصر بنى أميه، بلغت الخطابة أوج ازدهارها الفنى، وقد كان من العوامل الدافعة إلى ذلك عدم توافر الاستقرار السياسى، وكثرة الفتوح والمغازى، والانتقال إلى مرحلة الحياة المتحضرة، واتخاذ دعاة الأحزاب السياسية من الخطابة أداة لنشر دعوتهم، واستمالة الأنصار إليهم، لكن المحرك الأول هو الإسلام، حيث إنه قد ملأ جانبا هاما فى هذا المجال - بالنسبة للعصر الجاهلى -

---

١ - د. عبدالقادر القط فى الشعر الاسلامى والأموى ص ١٣٠ - ١٣١.

٢ - السابق والصفحة نفسها.

٣ - د. إحسان - النص الخطابة العربية فى عصرها الذهبى، دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٩، ص ٣٠

يتمثل فى الأفكار الجديدة التى ملأت حياة العرب بفضله، وكانت الانطلاقة الاسلامية عاملا مهما أيضا فى فتح نوافذ جديدة على الفكر الأجنبى، مما أثرى الحياة الفنية (١) فى هذا المجال، فكانت هناك الخطب السياسية الخالصة، والمناظرات السياسية، والخطب الحربية، والدينية التى ازدهرت أكثر من غيرها، والاجتماعية إلى غير هذه الألوان.

- ٤ -

ومهما قيل فى العصر العباسى، بل فى القرن الثانى الهجرى، وأنه كان عصر مجون(٢)، لاسيما وقد شهد أبا نواس وحماد عجرد وغيرهما، كما شهد اضطرابات وفتن سياسية، فقد كانت الظاهرة الاسلامية جلية مشرقة، كما كان الفكر الاسلامى فى أوج ازدهاره، ليس فقط لأن الفقهاء الأربعة شهدوا هذا العصر، بل لأن هناك من النماذج الأدبية الاسلامية مايفوق كل الظواهر المضادة للاتجاه الاسلامى، فعلى سبيل المثال لا الحصر استطاع عبدالله عبدالرحمن الجعيثن أن يحقق أكثر من مائة مقطوعة شعرية فى شعراء الدعوة الاسلامية فى العصر العباسى الأول (٣)، هذا فضلا عما نجده فى أدب كثير من الشعراء والكتاب فى هذا العصر من عزوف عما فى مجتمعاتهم من انحراف، ومحاولتهم التصدى الفكرى لمثل هذه التيارات المضادة كما ظهر فى شعر الزهد.

بل إن هناك من الشعراء من عبر وا عن الحماسة والفتوة الاسلامية؛ منهم أبو تمام فى قصيدته «فتح عمورية»، وقد صور انتصار الخليفة المعتصم وفرحة المسلمين بهذا النصر، ومافيه من إعزاز لدين الله، كذلك المتنبى، وهو يصف حروب سيف الدولة ضد

---

١ - السابق نفسه. ص ١٤٧ : ص ١٥٣.

٢ - د. طه حسين - حديث الأربعاء، ج ٢، ص ٨٨.

٣ - عبدالله عبدالرحمن الجعيثن شعر الدعوة الاسلامية فى العصر العباسى الأول، ط. جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤.

الـروم، وانتصـار التوحيد على الشرك. وابن هانىء الأندلسى عندما يصف أسطول المعز وانتصاره، وتأييد الله للمسلمين بالملائكة.

ويمكننـا أن نلتمس فى شعـر الطبيعـة العبـاسى ، اتجاها فنيا هاما وهو يحاول أن يستجلى مظاهر الإبداع والجمال فى الكون، والتى هى من صنع الخالق جل وعلا، ومحاولة الشعراء الربط بين وجدان المتلقى وآلاء صنعـة الخـالق سبحـانـه وتعـالى، باستخدام ألوان من الصور البـلاغيـة، والوسائل اللغوية المختلفة، وهو اتجاه قد نجد نظيرا له فى شعر الطبيعة الأندلسى.

- ٥ -

ولقـد غزا الصليبيـون فى موجـات عارمـة شرسـة ديار المسلمين فى أواخـر القـرن الخـامس الهجرى ، وكان ذلك بعدما واجهه المسلمون من انقسـام أبطأ حركتهم التاريخية، وتطورهم الحضارى. ومهما يكن من أمـر هذه الحمـلات الصليبيـة على دول الاسلام، وما اتخذته من ذرائـع كحمـايـة قبر المسيـح، وفتـح الطريق لزيارة المسيحيين لكنيسة القيامة، فإن ذلك لم يكن ليخفى أهدافهم الصليبية فى القضاء على الإسلام، والطمع فى حضارته، ونهب ثروات العرب.

وبـرغم نجاحهم فى إنشاء إمارات صليبية فى قلب العالم العربى؛ مثـل الـرها وطرابلس ، وبيت المقدس ، فقد تمكن زعماء المسلمين فى مواجهتهم والتصـدى لهم، وكـانت حملات صلاح الـدين الأيوبى ، وانتصـاره العظيم فى حطـين إيـذانـا بالخـلاص منهم، لاسيـما عندما واصل ـ خلفاء هذا القائد العظيم من ملوك الدولة الأيوبية، فى مصر والشام سياسته حتى تم النصر على آخر حملاتهم سنة ٦٤٨ هـ بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا الذى أسر وأودع سجنا يعرف بدار ابن لقمان بالمنصـورة. وقـد اقـتـرن صراع المسلمـين ضد الصليبيـين بدور بارز للأدب الإســلامى فى إيـقــاظ الهمم ، وبعث الحميــة فى نفــوس

المسلمين، ليستردوا مقدساتهم، وقد سجل هذا الأدب فى ذلك الوقت وقائع هذه الحرب الصليبية، كما مدح القادة المجاهدين الذين أبلوا أحسن البلاء، ورثا الشهداء، وهنأ بالنصر، وخفف من وقع الهزيمة ودعا إلى مواصلة الكفاح وحث عليه، واستلهم انتصارات المسلمين الأوائل فى بدر وغيرها.

هذا بالنسبة لمن وقف موقف الجهاد والدفاع وتشجيع المسلمين والتهكم بالصليبيين، كابن سناء الملك، وابن مطروح والبهاء زهير، بينما كان هناك فريق آخر كابن الفارض صاحب الشعر الصوفى، والبوصيرى صاحب المدائح النبوية، وهو فريق «لجأ إلى الدين التماسا للطمأنينة ـ، وطلبا للغفران والنجاة، كأنما رأى فى ذلك الوسيلة لتجنب ويلات الحروب والخلاص من نكباتها»(١).

ومما يذكر للأدب الإسلامي فى هذه الفترة ابتعاده عن استعمال العامية برغم أن كثيرا من الشعراء فى هذا العصر غلبت عليهم العامية بسبب البعد عن مواطن العروبة، ونقص الثقافة وغلبة الأعاجم. (٢)

---

١ ـ د. ماهر حسن فهمى شوقى وشعره الاسلامى ـ ط. دار المعارف القاهرة ص ٢٨ : ٣٠

٢ ـ د. محمد على الهرفي ـ شعر الجهاد فى الحروب الصليبية، ط. دار الاعتصام، ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م ص ١٩٦.

وفى العصر الحديث، مع المتغيرات الحضارية الجديدة سياسيا واجتماعايا واقتصاديا ، وظهور نزعات متطرفة هنا وهناك، تتأكد أهمية الإسلام وأدبه كمرفأ يأوى إليه الباحثون عن ذواتهم وكينونتهم . يسترحون فى ظلال قيم الدين ومثله نسائم الأمن والأمان، وينهلون من المورد العذب، ما يروى ظمأ الحيارى فى مجتمعات رانت عليها المادية بأثقالها، وفقد الانسان ظلا يأوى إليه، وعاصما يهديه، من هنا فقد أصبحت الحاجة ماسة لأن تتعدد أغراض الأدب الاسلامى حتى تشمل الحياة كلها كما أوضحت فى بداية تعريفى ، فتضاء دروب الحياة فى المنزل والشارع والمعهد ، ويحتل الأدب الاسلامى المعاصر مكانته اللائقة به شعرا وقصة ومسرحية ومقالة وغيرها .

ولقد تعددت الدراسات التى تتناول الأدب الاسلامى حديثا ، وربما كان من الرواد فى هذا الصدد الشيخ أبوالحسن الندوى رئيس ندوة العلماء بلكهنؤ فى الهند . الذى كتب بحثا يحث فيه على هذا الاتجاه عندما اختير عضوا فى المجمع العلمى العربى بدمشق ، ثم كان له فضل رعاية وعقد الندوة العالمية الأولى للأدب الاسلامى بالهند ورئاستها فى شهر جمادى الآخرة من سنة ١٤٠١ هـ.

وسيد قطب وله فى هذا المجال عدة مقالات منها مانشر فى كتابيه «التاريخ فكرة ومنهاج» ، و«دراسات إسلامية» وكتابه «التصوير الفنى فى القرآن»، وملاحظاته التى تتصل بذلك فى كتابه «النقد الأدبى»، حيث يتجه فى كل ماسبق ، وجهة فنية جمالية فى ظل ولائه للنص القرآنى، وعمق فهمه للأدب ، وصفاء ذوقه وحسه الاسلامى المتوقد، وإن لم يقدم وجهة نظر متكاملة حول تصوره للأدب الاسلامى، ومن هنا كانت استجابة الأستاذ محمد قطب جادة وخصبة، وتمثلت فى كتابه «منهج الفن الاسلامى» حيث حاول أن يطوف بأبعاد هذا التصور. كما قدم نماذج لبعض الأدباء يمكن أن

تتضح فيها بعض سمات تصوره وإن كان يعوزها التحليل الكاشف عن وجهة النظر الاسلامية.

وبرغم سيطرة الروح الإسلامية الخالصة على المؤلفات السابقة، فإن محاولات الدكتور عماد الدين خليل قد امتزجت فيها بجلاء وجهة النظر الإسلامية بوجهة النظر الأدبية، وقد أعانه على ذلك حس إسلامى صادق، ونظرة علمية مثقفة تشفعها مقدرة على التدليل على وجهة نظره بنماذج أدبية، كما اتضح من كتاباته وأهمها «فى النقد الاسلامى المعاصر» و«فوضى العالم فى المسرح الغربى المعاصر» و «الطبيعة فى الفن الغربى والإسلامى» «بالاضافة إلى نماذجه الشعرية والمسرحية وغيرها من المحاولات النقدية.

وفى هذا المجال لايمكن أن تنسى جهود الدكتور عبدالرحمن رأفت الباشا وأنور الجندى والدكتور نجيب الكيلانى التى تشمل ريادة واضحة ومعلما بارزا فى هذا الاتجاه.

هذا فى مجال الأفراد ، أما فى مجال الهيئات فإن لجامعة الامام محمد ابن سعود الإسلامية فضل السبق فى هذا المجال ، وذلك بفضل رعاية مديرها الدكتور عبدالله التركى الذى تعهد هذا الاتجاه منذ كان عميدا لكلية اللغة العربية بالرياض فأصدرت هذه الكلية موسوعة الأدب الإسلامى فى عصر صدر الاسلام ثم العصر الأموى، ثم العصر العباسى ، حيث يجد الباحث جهودا لطلاب نجباء وأساتذة فضلاء استطاعوا أن يقوموا بهذا الجهد المشكور ، وأن يقدموا للباحثين فى الأدب الاسلامى معظم الشعر الذى يمثل هذا الاتجاه قبل العصر الحديث مطبوعا ومحققا إلى حد كبير ، وبلغ من عناية مدير هذه الجامعة بهذا الأمر أن أصبح هناك قسم «خاص يسمى قسم البلاغة والنقد ومنهج : الأدب الإسلامى»، وقد سجلت فيه عدة موضوعات فى قسم الدراسات العليا . . .

* * *

ونستطيع الآن أن ننتقل إلى تحليل لبعض نماذج من الأدب التى يمكن أن تمثل هذا الاتجاه، ويمكن من خلال ذلك أن نثير قضية أثر الأدب الإسلامى فى الصياغة ، فهل الالتزام بالقضايا الإسلامية وتوظيف معطيات الفكر الإسلامى يصيب الصياغة بالتسطيح والخطابية؟ أم أن هناك من الوسائل مايوظفه الأديب ليتجاوز هذا الزعم؟

* * *

معطيات الفكر الاسلامي

ولقد آثرت استخدام تعبير «معطيات الفكر الاسلامي» لما قد تلقيه كلمة «تراث» من ظلال لاتتناسب وجلال هذا الفكر، برغم وجاهة الفكرة التى تفرق بين مفهومات ثلاثة ـ لابأس من أن نشير إليها ـ هى التراث والأصالة والمعاصرة، فالمقصود بالتراث هو هذا الماضى الذى يؤول إلينا عن السابقين، أما ما فيه من جوانب يمكن الاستفادة منها فى إضاءة الحاضر وتطويره فيطلق على ذلك الجانب «الأصالة»، فإذا ما وظفت هذه الجوانب التراثية الأصيلة فى ضوء منجزات البحث العلمى الحديث لتؤدى دورها فى خدمة الحياة والانسان فتلك هى «المعاصرة»(١).

وقد يتصور بعض الناس أن كلمة «تراث إسلامي» تعنى فكرا باليا قد انتهى أثره، وأنا أقول لهم لا . . ليس هذا هو التراث الإسلامي، وقد يراه بعض الناس معرفة قديمة لا تسهم فى إضاءة الحياة قد انتهى وقتها، وأنا أقول لهؤلاء أيضا لا . . إنما التراث الإسلامي هو كل فكر يحمل طابع الاسلام، ويتأسى بقيمة المثلى، وهو كل تاريخ يصور انتصار هذا الحق الذى جاء به الاسلام، فأزهق الباطل، إنه كل أدب يصور اللحظات المشرقة فى حياة المسلمين، وهم يقاومون الانحراف والفساد والتحلل وينتصرون عليه، إنه كل

---

١ ـ د. عبدالباسط عبدالمعطى ـ اتجاهات نظرية فى علم الاجتماع ـ سلسلة عالم المعرفة التى يصدرها شهريا المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت، العدد ٤٤ ص ٢٩٤.

فكر يثبت عقيدة الاسلام ويحارب زيغ الكفر، إنه كل فكر يمجد بطولة الاسلام والمسلمين ، ويرد على أعدائه الضالين، إنه كل فكر خصب معطاء يتغيا إذكاء الحمية الاسلامية وبعثها فى النفوس، ويدحض كل شبهة يثيرها أعداء الاسلام، والمسلمين.

إنه كما يقول الشيخ أبوالحسن الندوى . . تراث العلم الواسع ، والعقيدة المحفوظة، والايمان القوى ، والسنة الخالصة، والأخلاق المستقيمة، وثروة الفقه والتشريع الزاخرة ، والأدب الاسلامى الرائع. (١)

استلهام معطيات الفكر الاسلامي

إن انبعاث الايمان بالله فى النفس ، يجدد الروح الانسانية، ويسمو بها إلى عالم المثل، ويعد استلهام الأدب الاسلامي لقيم الاسلام ومعطيات فكره من أهم الوسائل لتحقيق هذا الانبعاث ، لأن الفكر الاسلامي إنساني ضخم ، فلقد أثرى الاسلام التراث الانسانى العام وأخصبه أيما إخصاب ، وتقدم بالعالم خطوات سريعة راسخة وعظيمة على طريق التقدم والتحضر ، ولاشك أن النزوع الانسانى فى الفكر الاسلامى عظيم مشرق إشراق الشمس فى رابعة النهار: (٢).

---

١ ـ أبوالحسن الندوى ـ رجال الفكر والدعوة فى الاسلام ـ ط ٥ دار القلم الكوين ص ٣٠

٢ ـ على جبر ـ المعرفة ـ مجلة ثقافية شهرية تصدرها وزارة الثقافة والارشاد القومى فى الجمهورية العربية السورية . العدد ٢٢٤ تشرين أول اكتوبر سنة ١٩٨٠، ص ٦٢.

أولا : فى الشعر

أ ـ سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام :

مهما تكن درجة استلهام الأدب لمعطيات السيرة النبوية، وكيفية توظيف هذه المعطيات، فإن الأديب المعاصر يجب أن يتغيا من وراء ذلك وصل الحاضر بالماضى لاستشراف مستقبل أفضل، من خلال الارهاص بتغيير الواقع المعيش. هذا برغم وجاهة الرأى القائل بأن هذه العملية تخضع لنهجين: أحدهما تسجيلى، يقوم على تسجيل معطيات التراث، كما هى، دون توظيفها رمزيا لحمل دلالات معاصرة، حتى لو صور الأديب عواطفه حيال هذا المعطى التراثي، حيث إن هذا التصوير لايضيف شيئا وراء ذلك. أما ثاني المنهجين فهو توظيف معطيات التراث الاسلامي بصفة عامة توظيفا رمزيا ليوحى بدلالات معاصرة(١).

ولكننى أعتقد أن لكل أديب وسائله فى النفاذ إلى أعماق الواقع، والارهاص بتغييره نحو الأفضل انطلاقا من معطيات فكرنا الاسلامى الزاهر المشرق، حتى ولو لم يتخذ من الرمز وسيلة إلى غايته، فليس الرمز هو الوسيلة الفنية الوحيدة اللغوية التى تمكن الأديب من معالجة واقعه بواسطة التعامل مع معطيات الفكر الاسلامى، فهناك وسائل متعددة يمكن أن نجليها من خلال تحليلنا لبعض نماذج الأدب الاسلامى شعرا وقصة ومسرحية.

ولقد استقطبت سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام كثيرا من الشعراء منذ صاغ البوصيرى بردته حتى اليوم، وكلهم يحاول إبراز خلق الرسول الكريم الذى أدبه ربه سبحانه وتعالى فأحسن تأديبه،

---

١ ـ د. على عشرى زايد ـ مجلة «المسلمون» العدد الثانى «محرم سنة ١٤٠٢، ٦ نوفمبر سنة ١٩٨١ مقال استلهام شخصية الرسول فى الشعر المعاصر، ص ٤٢.

كما يحاولون إبراز مثاليته عليه الصلاة والسلام كنموذج لكل خلق إسلامي، وقد يشيرون إلى بعض المعجزات التى ارتبطت به عليه الصلاة والسلام، كاشفين عن أثر مولده فى البرية، وبرغم ما يلاحظ من بروز الجانب التسجيلى لأحداث السيرة النبوية الكريمة، فإن الوسيلة الفنية التى تتصل بذلك أوثق اتصال هى تأكيد تفرده عليه الصلاة والسلام ليتأسى به المسلمون ومحاولة تركيز وتكثيف صفاته الكريمة المثالية، التى يتغيا الشاعر الايحاء بها مجالا للاقتداء، من هنا قد يكثر الشاعر من الألفاظ التى تحمل الصفة إلى أبعد الحدود.

ونلاحظ ذلك منذ مطالع العصر الحديث حيث نجد الشاعر ابن مشرف (١) يصوغ هذه التجربة فى قصيدة يمدح فيها الرسول عليه الصلاة والسلام (٢). ويمكن أن تعد من القصائد الجيدة بالنسبة لهذه الفترة، وفيها يوظف ابن مشرف «التقابل» كسبيل للكشف عن تمجيده للرسول عليه الصلاة والسلام، ويقرن ذلك «التقابل» ببعض الألوان البديعية الأخرى كالتقسيم، ومراعاة النظير، وغيرها من ألوان البديع التى شاعت فى أدب هذه الفترة، وبرغم أنه يحاول مجاراة عصره فى هذه الناحية، لكن القارىء لهذه القصيدة يمكن أن يلمح صدق وقوة عاطفة الشاعر الدينية، من خلال توظيف هذا التقابل بين

---

١ ـ هو أحمد بن على بن حسين بن مشرف الوهيبى التميمي، ولد بالأحساء بالمملكة العربية السعودية فى أوائل القرن الثانى عشر الهجرى، وقد كانت وفاته ١٣٨٥ هـ ١٨٦٨ م تقريبا، وقد عاصر الشاعر فترة من قيام دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وساهم فى تأييدها بشعره وكتاباته، كما اتصل ببعض علماء عصره مثل حسين بن غنام المالكي وغيره، ولابن مشرف مختصر صحيح مسلم، كما نظم رسالة أبى زيد القيروانى فى العقيدة.

وقد طبع ديوانه عدة طبعات، كما حاول فيه نظم كثير من أمور العقيدة، وهو ذو اتجاه محافظ فى شعره.

انظر: د. عبدالله الحامد، الشعر فى ظلال حركة الامام محمد بن عبدالوهاب، صفحات (١٥، ٢٢، ٦٥، ٧٥) وكذلك ديوان ابن مشرف، ط. مؤسسة مكتبة الفلاح ـ الأحساء ـ الهفوف.

٢ ـ الديوان ص ٤٦.

الدين الحنيف والشرك، والهدى والردى، وأسد الاسلام وكلاب الشرك، والنور والدجى ، والمدح والقدح، عندما يصبح الجانب الأول الخير لصيقا بالرسول عليه الصلاة و السلام وما أرسل به من هدى ، والجانب الثانى لصيقا بالشرك والمشركين ، كما نلمح كثيرا من المفردات المستمدةمن القرآن الكريم مثل : تبّ ، الحق ، الفتح ، الخ . يقول فى هذه القصيدة : ـ

أحمد الهادى إلى سبل الهدى ... كم بدا منه لأهل الأرض نصح
هاشمى قرشى طاهر ... حسن الأخلاق زكى الأصل سمح
جاء بالدين الحنيفى وقد ... طبق الأرض من الاشراك جنح
فأرى الناس الهدى بعد الردى ... فإذا الحق تجلى منه صبح
فأبى منهم كلاب كيدهم ... حين خافوا أسد الاسلام نبح
ثم لما رام تمزيق الدجا ... جاءه من فجر نور الله رمح
فانجلى الشرك وولى دبره ... وعلت للدين آطام وصرح
وبدت أعلام إسلام بها ... صار للأصنام تكسير وطرح
وبه الرحمن قد أنقذنا ... من لظى نار لأهل الكفر تلح
تب من يعدل عن مدحته ... كل مدح لم يكن فيه فقدح
هو خير الخلق طرا وبه ... للنبيين جرى ختم وفتح (١)

وابن مشرف يكثر فى شعره من الصلاة على النبى ، حتى ليعد ذلك ظاهرة فى شعره (٢) . وربما كان ذلك صدى لهذه العاطفة الدينية التى تتراءى من خلال هذه الشكل ، وهو يحاول الإيحاء بالتمثل والاقتداء كسبيل لإصلاح الحياة .

---

١ ـ السابق والصفحة نفسها.

٢ ـ د . عبدالله الحامد : الشعر فى ظلال حركة الامام محمد بن عبدالوهاب . ص ٧٤

وسوف تظل محاولة استلهام السيرة النبوية الكريمة تستقطب الأدباء المسلمين ، يدفعهم إلى ذلك ولاء العقيدة، وحمية الوفاء للرسول عليه الصلاة والسلام، والاخلاص له، والملاحظ أن الشكل المحافظ يغلب على معظم قصائد هذا الاستلهام، وإن تعددت الوسائل المستخدمة فى داخل هذا الاطار.

وحيث إن وسائل الشعر تتطور كلما تطورت الحياة ، والأدب الاسلامي فى ذلك لايختلف عن غيره من مظاهر الحياة الفكرية، عندما تتهيأ لها أسباب النماء والتطور ، بل ربما وجدنا الأدب الاسلامي يستجيب للفطرة أكثر من غيره من مظاهر الحياة الفكرية، لأن الاسلام يحث على التطور والتقدم الحقيقى الذى لايخالف فطرة، ولايغفل سلوكا اسلاميا، لذلك وجدنا الشعر مثلا يتخلص رويدا رويدا من الصنعة البديعة مؤثرا الطبع والتدفق ، وتلمس مظاهر الابداع الفنى التى تتيحه إمكانات اللغة العربية للمقتدرين، على أن ذلك لن يكون دفعة واحدة، وإنما التدرج سنة الله فى خلقه.

من هنا فقد يتخذ الشاعر من أسلوب الشرط ـ مثلا ـ وسيلة لابراز هذه الصفة، التى يصف بها الرسول ﷺ كفعل عظيم يكون هو فعل الشرط ، ويصبح جواب الشرط، هو رد الفعل الذى يكشف عن تركيز الصفات وتكثيفها ـ دون تداخل ـ كما يحقق هذه المثالية والتفرد فى تلك الصفات، ويكون التكرار هنا وسيلة فنية تتآزر مع غيرها من الوسائل لتحقيق بغية الشاعر التى تعد صدى لقوله تعالى فى الرسول عليه الصلاة والسلام . . «وإنك لعلى خلق عظيم»، كما فى الهمزية للشاعر أحمد شوقى حيث يقول:

فإذا سخوت بلغت بالجود المدى ... وفعلت مالا تفعل الأنواء(١)
وإذا عفوت فقادرا، ومقدرا ... لايستهين بعفوك الجهلاء
وإذا رحمت فأنت أم ، أو أب ... هذان فى الدنيا هما الرحماء
وإذا غضبت فإنما هى غضبة ... فى الحق، لاضغن ولابغضاء(٢)
وإذا رضيت فذاك فى مرضاته ... ورضى الكثير تحلم ورياء(٣)
وإذا خطبت فللمنابر هزة، ... تعرو الندى، وللقلوب بكاء(٤)
وإذا قضيت فلا ارتياب، كأنما ... جاء الخصوم من السماء قضاء
وإذا حميت الماء لم يورد، ولو ... أن القياصر والملوك ظماء
وإذا أجرت فأنت بيت الله لم ... يدخل عليه المستجير عداء
وإذا ملكت النفس قمت ببرها ... ولو أن ما ملكت يداك الشاء
وإذا بنيت فخير زوج عشرة ... واذا ابتنيت فدونك الآباء(٥)
وإذا صحبت رأى الوفاء مجسما ... فى بردك الأصحاب والخلطاء
وإذا اخذت العهد، أو أعطيته ... فجميع عهدك ذمة ووفاء(*)

ولعلنا نلاحظ شيوع استخدام صيغة الفعل فى مثل هذه القصائد، وربما كان هذا من الأسباب التى جعلت بعض الدارسين يقف بمثل هذا الشعر عند حدود التسجيل لأحداث السيرة دون محاولة البحث عن الربط بينه وبين الواقع المعيش، لكن هذا الربط وارد لدى الشعراء لاسيما عندما يتخذ الشاعر مدحته وسيلة دعاء إلى الله، ورجاء وتضرع، آملا فى التغيير، ومتطلعا إلى أن تصبح الشريعة كما كانت وسيلة هداية وإرشاد، وسبيل تقدم وبناء، عندما يقارن الشاعر بين الماضى الزاهر، والحاضر الواهى المفكك، يقول شوقى فى نهاية قصيدته السابقة:

---

١ ـ النوء : المطر.
٢ ـ الضغن : الحقد.
٣ ـ التحلم : تكلف الحلم.
٤ ـ الندى : النادى
٥ ـ بنى بأهله : زف إليهم . وابتنى : صار له بنون.
(*) الشوقيات : طبعة المكتبة التجارية الكبرى ـ دار الكتاب العربى، بيروت ص ٣٥ ، ص ٣٦ ، الجزء الأول.

ماجئت بابك مادحا ، بل داعيا ... ومن المديح تضرع ودعاء
أدعوك عن قومى الضعاف لأزمة ... فى مثلها يلقى عليك رجاء
أدرى رسول الله أن نفوسهم ... ركبت هواها ، والقلوب هواء؟
متفككون ، فما تضم نفوسهم ... ثقة ، ولاجمع القلوب صفاء
رقدوا ، وغرهم نعيم باطل ... ونعيم قوم فى القيود بلاء
ظلموا شريعتك التى نلنا بها ... ما لم ينل فى رومة الفقهاء
مشت الحضارة فى سناها ، واهتدى ... فى الدين والدنيا بها السعداء
صلى عليك الله ماصحب الدجى ... حاد ، وحنت بالفلا وجناء (١)
واستقبل الرضوان فى غرفاتهم ... بجنان عدن آلك السمحاء
خير الوسائل ، من يقع منهم على ... سبب إليك فحسبى (الزهراء)(*)

وما أظن مديح شوقى ـ وأمثاله ـ لآل رسول الله ﷺ في نهاية قصيدته إلا لونا من ألوان الاستجابة لقوله تعالى : «ما أسألكم عليه من أجر إلا المودة فى القربى» . .

. . . . . .

ومهما يكن من أمر هذا الشعر الذى تشيع فيه الروح الإسلامية ، عند شوقى وابن مشرف وغيرهما ، فإنما هى نماذج يمكن أن تعد معالم على الطريق ، لأنها تمثل عصرها فنيا .

---

١ ـ الوجناء : الناقة الشديدة

(*) الشوقيات ص ٤١ الجزء الأول

ومـايـزال يعـوزنـا النمـوذج الـذى يحاول الاستلهـام الفنى لسيرة الـرسـول ﷺ عنـدما يوظف الشاعر معطياتها فى إضاءة الحاضر، والنفـاذ إلى رؤ يـة مستقبليـة من خلال ذلك، مستخدما من الوسائل الفنيـة مايحقق للقـارىء ثراء الـوجـدان، ومتعـة الفكـر، وخصـوبة الاحساس الدينى فى تجاوب روحى عميق، يرقى بمشاعر الانسان فى سماوات الايمان، دون أن يفقده إضاءة حاضره.

ويتعاظم دور الاتجاه الدينى عندما يأخذ دوره القيادى اللائق به، مع ازديـاد درجـة تطـور الحيـاة واحتكـاكنا القوى بالمتغيرات واتصالنا بفكـرنا الإسلامى المعطاء، ويتعاظم إحساسنا بحاجتنا إلى نور الله، ليهـدى هذى القلوب الهـواء، ويأخـذ بيـد هدايته هذه النفوس التى تقف على شفا جرف هار، فترقى وسائل الشعراء، وتتعدد أساليب صياغتهم.

وربما وجدنا شيئا من ذلك ـ برغم قلته ـ عند الشاعر العراقى وليد الأعظمى، وهـو يصـوغ مشـاعـره فى نفس هذا الاطار المحافظ الذى سلكـه ابن مشـرف وشـوقى، لكنـه لايتحدث عن مولد الرسول ﷺ وصفـاتـه الـذاتيـة بصورة مباشرة، بل يحاول الكشف عن أثره ﷺ فى الـبر يـة، من خلال استعـادة ذكـراه الكـريمة، ووقعها على الشاعر خلال صورة ثرة بالمشـاعـر الـدينيـة، تجمـع بين قدسية الايحاء وإثراء الواقع، وبرغم أنها صور جزئية متفرقة لكن محورها الرسول ﷺ وأثره فى هداية البشر، وهنا تتراءى صورته ﷺ هاديا مرشدا، ونموذجا لكل خلق فاضـــل، وعنـــد هذا النمـوذج يلتقى هؤلاء الشعـراء الثـلاثـة وغيرهم، على اختلاف فى وسائلهم، التى أبرزت أبعاد هذا النموذج الكريم يقول: الشاعر وليد الأعظمى من قصيدة له بعنوان «ربيـع الـنبى».

ربيعك للروح كالبسلم بهيج الضحى رائق المبسم
يحرك فى النفس وجدانها ويطلقها من إسار الدم

ويبعثها حرة لاتضيق بكيد العواذل واللوم
ويرفعها من حضيض التراب إلى الأفق الأرحب الأكرم
ويغمرها بحنان السما ء ويمنحها هيبة المسلم
فتشرق فى القلب أنواره وينبض بالحمد للمنعم
ويمشى سويا على منهج سليم يؤدى إلى أسلم
ويعبق فيه أريج الهدى زكيا يطول على الموسم
أرق وأندى من الياسمين وأبهى جمالا من البرعم

ربيعك ياسيد الكائنا ت سناه ينير القلوب العمى
ويروى غليل العطاش الذين يرون السراب كسيل ظمى
نبى الهدى هزنى ذكركم فرحت أغنى بشوق ظمى (١)

. . . . . .

وتتضح قيمة هذه المحاولة فى توظيفها لكلمة «ربيع النبى» فيوحى بكل معانى النضارة والحياة، والتلقى الوجدانى الروحى لقيم الدعوة الاسلامية، فتستشعر نفس المؤمن الصمود والتصدى لانحرافات الحياة، وتتجلى هيبة المسلم وقد اتصلت فى قلبه أنوار الايمان بحمد المنعم، وتمثل ذلك فى نهج سوى، والملاحظ أن منطلق الشاعر وهو «ربيع النبى» ﷺ قد هيأ له معطيات الطبيعة المرتبطة بالربيع، فأخذ يشكل منها صوره للكشف عن عاطفته، لاسيما عندما تتآزر هذه الصور أحيانا فيصبح ربيع الرسول عليه الصلاة والسلام بلسما للروح، وهو رائق المبسم، يحرك الوجدان، والايمان مشرق، والهدى

---

١ ـ وليد الأعظمى ـ ديوان أغانى المعركة ـ نشر مؤسسة الزعبى للطباعة والنشر لبنان ـ سوريا ـ ص ١٧.

ذو أريج زكى ندى، أبهى من البرعم، ولعلنا ندرك المسحة الايمانية القرآنية لكثير من ألفاظ الشاعر التى استخدمها مثل: الروح ـ السماء ـ الحمد ـ المنعم ـ القلوب العمى . . . . الخ.

فإذا ما كرر الشاعر منطلقة وهو «ربيع النبى» ﷺ نجده قد جعله سنا يكشف العمى، وريا يروى العطاش . . وهكذا فإن ذكرى الرسول ﷺ لدى هذا الشاعر ـ وغيره ـ تصبح منبعا للاسترشاد ومصدرا للهداية والاقتداء، وإرهاصا بتغيير واقع معيش، لكن ذلك لا يتم عند وليد الأعظمى فى مباشرة، بقدر مايتجلى من خلال مزج معطيات الطبيعة بمعطيات النفس المؤمنة الوامقة، التى لمس الايمان كينونتها، فأحالها فيضا من الحنان والحب، وقبسا من مشكاة الدعوة لايخبو، وقد حاولت صور الشاعر وألفاظه أن تكشف عن ذلك.

ب ـ توظيف غزوة بدر :

إن التاريخ الإسلامى حافل بمواقف التحول الانسانية، وتعتبر غزوة بدر من أبرز نقاط هذا التحول العظيم، التى وجد فيها كثير من الشعراء مصدرا خصبا لاستثارة مشاعر المتلقى، وكسبه إلى جانب القضية المعاصرة، التى يعالجونها نظرا لما يزخر به شعور ولا شعور الانسان من مشاعر وخواطر ممزوجة بالتقديس والاجلال، لانتصار الحق على الباطل، وعلو القلة المؤمنة على الكثرة المشركة، وصلابة

أصحاب المبادىء السامية واستعصامهم بها، أمام إغراء المادة، ومتناقضات مجتمع الجاهلية، الذى كان يعوزه هذا النور الذى أخذ يسرى فى كل البقاع ويلمس كل النفوس، هذه المشاعر المقدسة، المفعمة بالبطولة، واللصيقة بهذا النور، يحاول الشاعر استدعاءها عندما يعقد اتصالا بين هذا الجو المرتبط بغزوة بدر وبين الموقف المعاصر، الذى يلتمس فيه من الجوانب مايمكن أن يوحى ببعض لمحات من غزوة بدر، فإذا ما وظف الشاعر وسائله الفنية اللغوية فى عقد هذا الاتصال، أمكنه أن يحقق استمرارية التواصل، بين قيم الماضى ومتغيرات الحاضر، إضاءة للمستقبل، وفى نفس الوقت، يسهم مثل هذا الأدب الإسلامى فى ترقية فكر المتلقى، ومتعة وجدانه، دون أن يهبط به إلى حضيض التسطيح والمباشرة.

وللشاعر أحمد شوقى قصيدة طويلة تبلغ ثمانية وثمانين بيتا بعنوان «انتصار الأتراك فى الحرب والسياسة»(١) يهنىء فيها مصطفى كمال أتاتورك بانتصاره على اليونان وطردهم من البلاد فى عام ١٩٢٢ م، حاول شوقى فى هذه القصيدة أن يتخذ من جو البطولة، والمواقع الإسلامية ـ لاسيما غزوة بدر ـ مهادا نفسيا ولغويا لعرض الحاضر، فوجدناه يبدأ قصيدته متصورا شخصية خالد بن الوليد فى شخصية مصطفى كمال بل وشخصية صلاح الدين الأيوبى أيضا، وقد كان ذلك قبل أن تنكشف وجهة مصطفى كمال الحقيقية، وتنكره للخلافة الاسلامية كما سوف نوضح، . . ومهما يكن من فروق بين مصطفى كمال فى ناحية وخالد بن الوليد وصلاح الدين فى ناحية أخرى، فقد

---

١ ـ الشوقيات ح ١ ص ٥٩ ومطلع القصيدة

الله أكبركم فى الفتح من عجب . . ياخالد الترك جدد خالد العرب

كان شوقى يتغيا تصوير ممدوحه فى أعظم صورة مثالية، حتى لو كلفه ذلك عقد هذا الاتصال، بين ممدوحه ونماذج من الأبطال قلما يجود التاريخ بأمثالهم، لكن هذا البدء فى نفس الوقت يكشف عن قوة الرابطة الإسلامية، ومدى تمثل الشعراء المسلمين لأمجادهم، وهم يحاولون أن يجعلوا الحاضر امتدادا لهذه الأمجاد وتلك البطولات، ويصبح «الاستدعاء» من الوسائل الفنية الأثيرة لدى الشعراء فى هذا المجال.

فكيف وظف شوقى غزوة بدر؟
يقول شوقى فى هذه القصيدة :

يوم كبدر فخيل الحق راقصة ... على الصعيد، وخيل الله فى السحب
غر تظللها غراء، ورافة ... بدرية العود والديباج والعذب
نشوى من الظفر العالى مرنحة ... من سكرة النصر، لا من سكرة النصب
تذكر الأرض ما لم تنس من زبد ... كالمسك من جنبات (السكب) منسكب
حتى تعالى أذان الفتح فاتأدت ... مشى المجلى إذا استولى على القصب(١).

وبرغم ما رآه الدكتور طه حسين فى هذه القصيدة من حيث محافظتها وتقليديتها، وأن القديم ـ على حد تعبيره ـ قد ضاق عن أن يكون لباسا يتجلى فيه الجمال الفنى الحديث(٢)، فإن لهذه الأبيات مذاقا خاصا هو ماحاول شوقى أن يستلهمه من غزوة بدر، ويوظفه فى

---

١ ـ السابق ص ٦٢، ص ٦٣ العذب : خرق الألوية، السكب : فرس

٢ ـ د. طه حسين حافظ وشوقى ـ منشورات الخانجى وحمدان [القاهرة وبيروت] ص ٣١.

قصيدته، لتحقيق بغيته، حقيقة لم يتعرض شوقى لوسائل الحرب الحديثة، وإنما اكتفى بالخيل والسيف والرمح والدرع، وأيضا شتان بين خالد بن الوليد ومصطفى كمال، بل وشتان بين هزيمة المسلمين للمشركين فى بدر، وهزيمة الترك لليونان، وكل ذلك حق، لكنه يجب ألا يجعلنا نغفل قيمة محاولة شوقى فى استلهامه روح انتصار بدر العظيم، وقدسية لقائها الرائع، المتمثل فى عون الله لأوليائه على أرضه، وجعل الصياغة الشعرية تجلى شيئا من ذلك.

ولقد كان من وسائل شوقى هنا إلى توظيف «بدر» فى هذه الصورة عقد الاتصال بين الماضى والحاضر، من خلال صورة جزئية هى التشبيه الموحى الموجز فى «يوم كبدر»، برغم تقليديته، لكن الشاعر ما لبث أن ضاعف من تأثير هذه الصورة فى وجدان المتلقى عندما أكسبها امتدادا خصبا، فأثراها بهذه الظلال الروحية والايحاءات المقدسة، التى تصدر عن «التقابل» بين خيل الحق الراقصة على الأرض فرحا بالنصر، وخيل الله المؤازرة الراقصة طربا فى السماء، كما يزداد الاتصال بين الماضى والحاضر توثيقا بجعل هذه المشاهد كلها على مابينها من اتصال فى ظل راية الحق المنتصر المستلهم من راية بدر، وهنا كانت هذه الصياغة فى (بدرية العود والديباج والعذب) لمضاعفة تأثير كل جوانب الصورة فى وجدان المتلقى، بحيث لم تصبح غزوة بدر مجرد استلهام خيالى فحسب، بل استلهام لغوى؛ عندما جعل راية الترك بعودها وديباجها وقماشها قطعة من بدر، عن طريق نسبتها إليها فى لفظة (بدرية)، بل تتأكد قدسية اللقاء عندما يستمر الشاعر فى حديثه عن الخيل بوسيلة جمالية أخرى، هى هذا الجناس بين «النصر والنصب»، الذى كشف عن طبيعة تمايل الخيل فرحا بهذا النصر المقدس، ويستمر هذا الاتصال بين الماضى والحاضر فى الرقى صعدا، عندما تصبح فرحة الخيل بالنصر اليوم مذكرة بالعرق الذى كان يتصبب من فرس رسول ﷺ . . . وهكذا حتى تعتدل الخيل فى سيرها بعد تمايلها، وقد اكتمل تحقق النصر، وعلا أذان الفتح . . .

ولايمكن لقارىء هذه الأبيات أن يتجاهل قيمة اختيار شوقى لكلماته، التى تحقق باتصالها خلال هذا السياق إيقاعا خاصاً يتجاوز الوزن والقافية ـ وإن كان يؤازرهما ـ فى تأكيد إيحاءات الصورة العامة بجلال الموقف وعظمته، بل وقدسيته، ومرد ذلك إلى دراية شوقى ومعرفته «كيف يستخرج من ألفاظ اللغة كل ماتملك من رنين وجرس. أو بعبارة أدق كل ممكناتها الموسيقية»(١). وهى قضية تحتاج لدراسة خاصة عمادها الإستقراء الذى سوف يؤكد هذه الملاحظة.

ويمكننا أن ننظر نظرة كلية سريعة إلى القصيدة كلها، متسائلين عن قيمة هذه الأبيات السابقة فى بناء القصيدة من حيث إبراز توظيف «غزوة بدر» فى صيغة شعرية تستلهم عظمة هذا اليوم، ونحب أن نشير هنا إلى أن القصيدة كلها إشادة بموقف انتصار الإسلام اليوم المتمثل فى انتصار الترك على اليونان، ورغبة الشاعر فى جعل هذا الإنتصار امتدادا لانتصار المسلمين فى الماضى، ليتم التواصل الروحى بين هذا الماضى الزاهر والحاضر المعيش، فتتواصل قلوب مؤمنة تعايش هذا الحاضر، بأريج انتصارات مقدسة أسهمت فى انتشار الإسلام، وارتفاع راية الحق، ولتطرد كل هذه الجوانب المشرقة فى واقعنا اليوم. وليست هذه الأبيات التى تحدثنا عنها إلا خطا من خطوط قصيدة شوقى فى هذه المناسبة، تلك القصيدة التى تتآزر كلها بغية تحقق هذا الهدف السامى.

******

ونجد تناولا «لغزوة بدر» عند الشاعر محمد الحسناوى في قصيدة له بعنوان «يوم بدر»(٢)، حيث حصر نفسه فى حدود تسجيل بعض

---

١ ـ د. شوقى ضيف. شوقى شاعر العصر الحديث. مكتبة الدراسات الأدبية دار المعارف، القاهرة سنة ١٩٧٧، ص ٤٤.

٢ ـ محمد الحسناوى ديوان ملحمة النور دار القلم دمشق ـ بيروت سنة ١٣٩٤ هـ، ١٩٧٤ ص ٤٩

جوانب غزوة بدر، بحيث يمكن أن يكـون منطقيـا مع هدفـه وهـو تسجيـل بعض بطـولات الاسـلام وأيـامـه المنتصره، وهومايمكن أن يفهم من عنوان ديوانه «ملحمة النور»، لكنه يختار جوانب تبرز موقف المسلمين وهم قلة متلهفة إلى نصر الله، معتصمة بدينها، مستبسلة فى الـدفـاع عنـه، واثقـة من نصر الله ووعده، ولاينسى أن يشير في نهاية قصيدته إلى العبرة العامة التى يستقيها من استقراء أحدث التاريخ، وهى أن الظلم زائـل والحق منتصـر، وكلمـة الله هى العليـا وكلمـة الذين كفروا السفلى ولن تجد لسنة الله تبديلا.

يقول في مطلع القصيدة :

لاهـم جيش المـشـركـين تحدرا
بالـعـدوة الـقـصـوى، ونـحـن كما ترى
ما بين معـتـقـب برتـه يد الـسـرى
أو راجـل ، درس الـدروب وغـبرا
لاهـم جاؤ وا يخطـرون الـبـخـترى
فأدر عليـهـم بأسـك المـتـجـبرا(٢)

ثم يقول فى آخر مقطع من هذه القصيدة الطويلة مخاطبا أبا جهل:

فرعـون قبلك لم يدافـع موجـه عصفت به ، وبقـومه، لما سرى
الله أهـلكـه، وأهـلك قبـله أمما عصت وبغت، فكانت أقبرا(٣)

وبرغم الجانب التسجيلى عند الحسناوى ، لكنه استطاع أن يقدم صورة اللقاء المقدس ناجزة حية باعتماده على توظيف دلالات الأفعال

---

٢ ـ السابق والصفحة نفسها.

٣ ـ السابق نفسه ص ٥٦.

التى توحى بالحـدوث والتجـدد، حتى إن المـاضى ليكتسب دلالـة الحـاضـر، من خلال ما يقيمه الشاعر من علاقات داخل هذا السياق الحى، بحيث تبـدو مشـاهد المعركة متتابعة، فها هم أولئك المشركون الكثـر يتخـذون مكـانهم بالعدوة القصوى أمام القلة المؤمنة التى نال منهـا السـير ليـلا، وغـبرتهـا الـدروب، ولكنهم أقـويـاء بعقيدتهم، واعتصامهم بها، من هنا يصبح اللجوء إلى الله، لإنجاز وعده بنصرة دينـه وأحبـابـه المنفـذ الإلهى إلى الخلاص وانتصار الحق. . وتتعاون الأسـاليب الطلبيـة ـ كالنـداء المتضـرع، والـدعـاء المبتهـل، والأمـر الخـاضـع لجلال الله على تشكيـل هذه الرؤ ية المؤمنة. . التى تستمر متـدفقـة خلال القصيـدة كلهـا، حتى تنتهى بتحقيق نصر الله، وعلو رايته، وهنا يؤكد الشاعر التصاقه بواقعه من خلال إنسانية الرؤ ية، حيث يسـوق عبرة التـاريخ الناطقة بزوال الباطل واندحاره، وانتصار الحق وعلوه من لدن وجـد الانسـان، وهى رؤ يـة مطلقة تحتوى الزمن كله بأبعـاده، المـاضى والحـاضر إلى الواقع المعيش، بل ويبشر الذين آمنوا بإرها صات التغيير من خلال استشرافه للمستقبل.

ويمكننـا أن نلاحـظ شيئـا من التـمـاثـل بين الشـاعرين، فكلاهما يعتمـد على الـرؤ يـة الانسـانيـة المطلقـة كسبيل لتحقيق استمرارية الاتصال بين الماضى والحاضر والمستقبل، وكلاهما يتخذ من التسجيل لبعض جوانب غزوة بدر ومحـاولة استدعائها سبيلا لصياغته، وكلاهما محافـظ فى وسـائله الفنيـة وإن حاول شوقى المزج بين الماضى والحاضر من خلال الصـورة الممتـدة التى قدمهـا، كما حاول إثـراءهـا باختياره ألفـاظـا ذات إيقـاع خاص، تحدث تناغما يسرى فى الأبيات لمضاعفة التأثـير فى فكـر المتلقى ووجدانه، بينما كان الحسناوى يراوح بين قصر السطـر الشعـرى وطـولـه، وتبـاين دلالات الأفعال لينقـل للمتلقى حركـة المعـركـة ناجزة حية؛ كما يلتزم الشكل المحافظ للبيت الشعرى عندما ينتقل إلى العبرة واستقراء أحداث التاريخ. . .

جـ أحمد شوقى والخلافة الاسلامية

«من مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»

شوقى والخلافة العثمانية

كانت مقولة جمال الدين الأفغانى «لاجنسية للمسلمين إلا فى دينهم»(١) في نهاية القرن التاسع عشر معبرة عن إحساس عام بين التابعين للدولة العثمانية يقتضى منهم التوحد لمواجهة أعداء الإسلام، وأعداء الدولة العثمانية، التى هي فى نظر معظم المسلمين حينئذ، حامية حمى الدين، والمنوط بها الدفاع عنه، حتى إن الشيخ محمد عبده كان يرى «أن المحافظة على الدولة العلية العثمانية ثالثة العقائد بعد الإيمان بالله ورسوله، فإنها الحافظة لسلطان الدين الكافلة لبقاء حوزته، وليس للدين سلطان في سواها»(٢)

ولقد كانت الدول الأوروبية وبدافع من عصبيتها الدينية، تحاول ابتلاع هذه الدولة العثمانية، بغية القضاء على الإسلام واستذلال المسلمين، والتمتع بخيرات بلادهم والاستفادة من موقعها

---

١ ـ تاريخ الأستاذ الامام جـ ٢ ـ ص ٢٤٩ ـ ٢٥٨

وانظر د. محمد حسين ـ الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ـ جـ ١ ص ٢١

٢ ـ تاريخ الأستاذ الامام جـ ١ ـ ص ٩٠٩

الجغرافى . . بل إن مصطفى كامل الزعيم الوطنى المصـــــرى، كان يرى في بقـاء الـدولـة العليـة ضرورة للنـوع البشـرى وسلامة العالم، «فهـدم هذه المملكـة القائمة بأمر الاسلام يكون داعية لثورة عامة بين المسلمين وحرب دموية لاتعد بعدها الحروب الصليبية إلا معارك صبيانية»(١).

ولقـد أصبـح كثـير من المصلحـين المسلمـين يرون أن فى مؤازرة الدولة العثمانية أقوم السبل للحفاظ على دينهم ووطنهم، ومن ثم فقد ناهضوا المستعمرين(٢)، كما أيدوا الخليفة العثمانى لأنه ـ في نظرهم ـ الجـامـع لشمـل المسلمـين، وهـو في سعيـه وحـربـه، إنما يدافع عن الاســلام ويحــافـظ على حقـوق المسلمـين، ومن هنـا كان التفـاف المسلمـين حول الـدولـة العثـمانيـة وتأييدهم لخلفائها، يمكن أن يعد استجابة لهذا الحديث الشريف الذى اتخذناه عنوانا لهذه المقالة.

وقـد اتضـح هذا الاتجـاه الاسلامي ـ على اختـلاف درجتـه ـ بين كثيرين من كتاب العصر ومفكريه وقادته المسلمين.

ولم تكن دعوى حماية الأقليات التى يتذرع بها الاستعمار الأوروبى إلا سبيلا ليفتوا بها في عضد الدولة العثمانية، ومدعاة لنشر بذور الفرقة بين أبناء الوطن الواحد، تمهيدا للاستيلاء عليه وتحقيق أطماعهم فيه.

هذه القـوى الخـارجيـة لم تكن وحـدهـا التى تتصـدى للخـلافـة العثـمانيـة، بل كان هنـاك الاتحـاديـون المتمركزون في الدولة العثمانية لاسيـما زعـماؤ هم في الجيش، الذين اقتحموا الآستانة وحاصروا قصر السلطان عبدالحميد (يلدز)، وقد انتهى الأمر بتسليمه والقبض على أنصـاره وإعـدام من أعـدموه منهم، ثم تجتمع الجمعية العمومية التى يسيطر عليها الاتحاديون، فيقررون عزل السلطان عبدالحميد، وتولية السلطان محمد رشاد في ٢٧ أبريل سنة ١٩٠٩ م

---

١ ـ مصطفى كامـل ـ المسألة الشرقية ـ ص ١٠ ـ ١٤

٢ ـ الاتجاهات الوطنية ـ جـ ٢ ص ٢٦.

وبـرغم أنـه ليست هناك شخصية فى تاريخ الاسلام الحديث، قد هوجمت بمثـل العنف الـذى هوجم به السلطـان عبـدالحميـد، فقـد كشفت أحـدث الدراسات التاريخية فى هذا الصدد عن سلامة موقف السلطـان عبـدالحميـد، فهو صاحب الصيحة المعروفة المشهورة التى هزت الغرب والعالم كله: يامسلمى العالم اتحدوا».

كما كشفت ترجمـة مذكـرات هرتـزل الصحفى اليهودى، صاحب كتـاب «الـدولـة اليهـودية»، ومؤسس الصهيونية الحديثة براءة موقف السلطان عبدالحميد التاريخى، من كثير مما ألصقه به أعداء المسلمين لاسيـما عنـدما عرض عليه هرتزل خمسين مليونا من الجنيهات الذهبية لخزانـة الـدولـة، وخمسـة ملايـين أخـرى لخزانـة السلطـان الخاصة، بالاضـافـة إلى بعض المشـروعـات لدعم الـدولة العثمانية اقتصاديا، مقابل السماح لليهود بإنشاء مستعمرة صغيرة لهم قرب القدس ينزلون بها، وكان مما رد به السلطان عبدالحميد، على هذا العرض:

«إن بيت المقدس قد افتتحه المسلمون أول مرة بخلافة سيدنا عمر بن الخطـاب رضى الله عنـه، ولست مستعـدا أن اتحمـل فى التـاريخ وصمة بيعها لليهود وخيانة الأمانة». (١)

ولقد امتدح جمال الدين الأفغانى يقظة السلطان عبدالحميد وشدة حذره من أعداء الاسلام، وإدراكه لأهدافهم.

أمـا من انتقـدوا السلطان عبدالحميد فقداتهموه بفساد الادارة(٢)

---

١ ـ أنور الجندى ـ تصحيح أكبر خطأ فى تاريخ الاسلام الحديث، دار الاعتصام القاهرة. وهناك عدة دراسات أخرى كشفت عن ذلك منها:

الاستاذ محمد فريد ـ تاريخ الدولة العلية العثمانية ـ دار الجيل، بيروت، ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧.

مذكـرات السـلطـان عبـدالحميد ـ ترجمة وتعليق محمد حرب عبدالحميد، دار الأنصار القاهرة سنة ١٩٧٨ م من ص ٤ : ص ١٦.

٢ ـ مصطفى طوران ـ أسرار الانقلاب العثمانى ـ ترجمة كمال خوجة ص ٢١، ٢٢، ط ١، نشر دار السلام، ١٣٧٧ هـ ١٩٧٧ م.

وهى دعوى غالبا ما أثارها الاتحاديون والماسون ومن لف لفهما ، وقد كشف التاريخ ما وراءها من هوى وانحراف .

ومن ثم فقد شهد الأدب موقفين : أحدهما موقف الأدباء الذين يؤيدون السلطان عبدالحميد لما له من أعمال خيره ، ويتأسفون على ما نزل به ، وقد يصل ذلك إلى حد الرثاء لحاله ، كما نجد فى شعر شوقي وحافظ وأحمد محرم ، وإن هاجمه حافظ بعد ذلك(٣) . . . وآخرون وهم قلة لايرون فى عهده إلاكل ظلم وقهر كولي الدين يكن ، وقد كان هذا الأخير اتحاديا يناصر الثورة على السلطان عبدالحميد ولم ينس مطاردته للاتحاديين .

وها هو ذا الشاعر أحمد شوقى يرثى السلطان عبدالحميد محاولا استنطاق قصره المسمى «يلدز» بعبرة التاريخ ـ وقد كان هذا القصر بالآستانة ، ونلاحظ أن شوقى يستخدم أسلوبا لايختلف كثيرا عما عرف فى الأدب الأندلسى برثاء الممالك الزائلة ، حيث يقرن موقف زوال سلطة ساكن قصر يلدز وهو السلطان عبدالحميدد ببعض المواقف التاريخية المماثلة كزوال سلطة ساكنى قصرى «الخورنق» و «السدير» من المناذرة بالعراق ، وكذلك زوال سلطة الخديوى اسماعيل فى مصر من قصره بالروضة ، ليؤكد من وراء ذلك أن هذه حال الدنيا . . . لاتدوم لأحد ، وأن الأمر كله بيد مدبر هذا الكون وهو الله سبحانه وتعالى ، ومن ثم فعلى الخليفة أن يصبر ويسلم أمره للمولى جل وعلا ، وكأنى به يستهدف من وراء هذه العبرة مواساة السلطان نفسه ، بدافع من ولائه له كخليفة للمسلمين ، وفى نفس الوقت يستثير مشاعر الحسرة والألم لدى المتلقى لما نزل بالسلطان ، من هنا كان استخدام شوقى للموروث التاريخى وربطه بالواقع من أولى وسائله فى استثارة مشاعر المتلقى حيث يقول :

---

٣ ـ الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ـ جـ ١ ص ٤٨

سل « يلدزا» ذات القصور هل جاءها نبأ البدور؟
لو تستطيع إجابة لبكتك بالدمع الغزير
أخنى عليها ما أنا خ على الخورنق والسدير

ودها الجزيرة بعد إسماعيل والملك الكبير

ذهب الجميع ، فلا القصو ر ترى ولا أهل القصور
فلك يدور سعوده ونحوسه بيد المدير (١)

وتستمر القصيدة على هذا النهج المزدوج الهدف من حيث مواساة السلطان، واستثارة مشاعر الحسرة والألم والاعتبار لدى المتلقى، حتى يعلن شوقى صراحة تعاطفه مع السلطات عبدالحميد فيقول:

شيخ الملوك وإن تضعضع فى الفؤاد وفى الضمير
نستغفر المولى له والله يعفو عن كثير
ونراه عند مصابه أولى بباك أو عذير
ونصونه ، ونجله بين الشماتة والنكير (٢)

وبرغم ما فى هذه الأبيات من بساطة فى التعبير، تدرك لأول وهلة، إلا أن القارىء واجد فيها مايدل على براعة شوقى فى الصياغة اللغوية، وأعنى بالتحديد اختياره لكلمات ذات إيقاع خاص تحدث بتواليها تناسقا وانسجاما آسرا، وعلى سبيل المثال؛ يمكن أن يكون لكلمة «تضعضع» ثقلا واضحا ، لكنها فى سياق شوقى موحية معبرة، كاشفة عما أصاب السلطان عبدالحميد من رزء، وباتصالها بما بعدها تبرز مدى ولاء الشاعر للسلطان، وليس يخفى على القارىء

---

(١) الشوقيات جـ ١ ، ص ١١٩

٢ ـ السابق نفسه ـ ص ١٢١

توزيع شوقى لحروف المد فى أبياته، ذلك التوزيع الذى يؤازر منه أحيانا استخدام أصوات ساكنة تعوض أذن القارىء عن هذا المد فى تشكيل التناسق والانسجام، وهذا التناسق والانسجام لايبرز إلا من خلال ألفاظ تلائم الغرض الذى سيقت من أجله القصيدة، وهو المواساة والمشاركة الوجدانية، من هنا يتصل فيها التضعضع بالتمكن فى الفؤاد والضمير، ويرتبط فيها الاستغفار بالعفو، كما يقترن كل ذلك بالبكاء والصون عن الشماتة والنكير، لذا فإن حب شوقى وولاءه للخليفة مكين متين راسخ، تشكله العاطفة الدينية التى يجليها ترك الأمر لله والإيمان بقضائه سبحانه وتعالى وقدره لاسيما عندما يصبح أمر الحساب لصاحب الحساب، فيقول له

عبدالحميد حساب مثلك فى يد الملك الغفور(١)

ثم يقول له :

قالوا : اعتزل . قلت : اعتزلت . الحكم لله القدير (٢)

ولايقلل من هذا الولاء مديح شوقى للجيش الذى قام بهذا الانقلاب ضد السلطان عبدالحميد، ولاحتى تهنئة شوقى لخلفه وهو السلطان محمد رشاد الخامس الذى ولى الأمر بعده، وكل هذا فى قصيدة واحدة، لأن النظرة العاقلة للأمور يجب أن تقبل هذا الواقع، ولاتعمق من شقة الخلافات بين القيادات لاسيما وأعداء الاسلام يتربصون بالمسلمين وخلافاتهم، وقد كشف التاريخ عن حرب هؤلاء الأعداء الضارية ضد المسلمين، من هنا فإن مديح القادة الجدد وتأييدهم قد يعين على تجاوز المسلمين وخلافتهم لهذه الأزمة، ليتفرغ المخلصون للتصدى للأعداء، وإن كانت الأمور سوف تدور على غير ما يحب شوقى والمسلمون كما سوف يتضح.

---

١ ـ السابق والصفحة نفسها.

٢ ـ السابق نفسه ص ١٢٢.

أما تهنئته للخليفة الجديد ـ برغم أنه على صلة طيبة بالخليفة السابق ـ فهو يمدحه لأنه خليفة المسلمين، ولأنه يرى فى طاعته طاعة لله، ويعلن بيعة المسلمين له، كما يرجو الخير على يديه، ويدعو لخلافة المسلمين بالخير. (١)

ولم تكن هذه النزعة الاسلامية لتخبو، فما أن تهاجم إيطاليا طرابلس سنة ١٣٣٦ هـ ـ ١٩١١ م، وتشتبك مع تركيا، حتى يلتف حولها الشعراء والأدباء والمفكرون انطلاقا من ولائهم لإسلامهم، وذودا عنه، لاسيما وهو يتهدد أرضا وعقيدة.

ثم ينتهز حزب الاتحاد موافقة الحكومة التركية على بعض مطالب دول البلقان ـ التى اضطربت أمورها ـ والتى رغبت في استقلالها بعد مؤتمر لندن في سنة ١٣٣٧ هـ الموافق ٢٣ يناير سنة ١٩١٢ ، ويثور هذا الحزب مسقطا للحكومة، ومواصلا للحرب ضد دول البلقان، تلك الحرب التى كانت قد توقفت بناء على مؤتمر لندن السابق.

وأنّى لهذا الاضطراب السياسى أن يحقق نصرا عسكريا، فبرغم بدايات الانتصارات إلا أن البلقان بدأت تنتصر فتسقط أدرنه تحت ضربات البلغار، وهي من أمهات المدن العثمانية في مقدونية، برغم استبسال حاميتها المسلمة، ثم تتقدم جيوش البلقان وينفتح الطريق أمامهم نحو الآستانة، ويرتكبون أبشع الجرائم ضد المسلمين، وقد ندد الشاعر أحمد شوقى بكل ذلك فى شعره.

من هنا كان التصاق أحمد شوقي ـ وغيره من الشعراء ـ بالدولة العثمانية، إنما هو في حقيقته ولاء للاسلام، هذا بصرف النظر عما يربط شوقي بالذات بالترك من أصول عرقية، لذلك ففخره بهم من هذه الناحية في حقيقته ولاء للدين ورابطته وإن اتخذ مظهرا عرقيا.

---

١ ـ د. ماهر حسن فهمى ـ شوقى وشعره الاسلامى ـ ط. دار المعارف سنة ١٩٥٩ م / ص ١٧٣

وامتـدادا لذلـك فإن قسما كبيرا من الشوقيات يمكن رده إلى هذا الولاء (١) . . ، وها هو ذا ينعى سقوط أدرنة الذى أشرت إليه فى الفقرة السابقة، كما يتحسر على تقلص ظل الاسلام عنها ، ويربط بين هذا المـوقف وانحسـار الاسـلام عن الأندلس حيث يقول فى قصيدته بهذه المناسبة وعنوانها: «الأندلس الجديدة» : ـ

ياأخـت أنـدلس عليـك سلام	هوت الخـلافـة عنـك والإسـلام
نزل الهـلال عن السـماء فليتهـا	طويـت وعـم الـعـالمـين ظلام
أزرى به ، وأزالـه عن أوجـه	قدر يحط الـبـدر وهـو تمام
جرحـان تمضى الأمتـان عليهـما	هذا يسـيـل وذاك لايـلتـام
بكـما أصيب المسلمـون ، وفيكـما	دفـن الـيراع وغـيـب الصمصـام
لم يطـو مأتمـه ، وهـذا مأتـم	لبسـوا السواد عليك فيه وقـامـوا
مابين مصرعها ومصرعك انقضت	فيـما نحـب ونـكـره الأيـام
خلت القرون كليلة، وتصرمت	دول الـفـتـوح كأنهـا أحـلام
والـدهـر لا يألـو المـمالـك منـذرا	فإذا غفـلن فما عليـه مـلام (٢)

ويكشف توقـد العـاطفـة الـدينيـة عند شوقى فى هذه الأبيات عن حرصة على الخلافة وقوتها، وهو من أجل ذلك يربط بين سقوط أدرنة اليـوم وسقـوط الأنـدلس بالأمس، كما يقـارن بين ماضى المسلمـين الـزاهـر، وحـاضرهم المؤلم بغية تغييره، وبرغم ما فى هذا الاستدعاء للماضى والـربـط بينه وبين الحاضر من تركيز ومضاعفة لمشاعر الحسرة والألم لما حل بالمسلمـين، فإنـه يدعم كل ذلك باستثمار دلالات ألفاظ مفعمـة بالاستثـارة تتغلغل فى أعماق المسلم فتوقظ وجدانه ، كما تفجر كامن مشاعره، وهو إذ ينعى انحسار الإسلام عن أدرنة، يوظف هذه الألفـاظ التى توحى بالـزوال والسقـوط، ومـا يرتبط بذلك من جراح ودماء وألم ومأتم ومصرع، فإذا ما شكلت هذه الألفاظ ومثيلاتها هيكل القصيدة، تجلى لنا مدى الفقد والضياع الذى أصاب المسلمين ونزل

---

١ ـ من الدراسات الجادة فى هذه الناحية دراسة الدكتور ماهر حسن فهمى السابقة ـ شوقى وشعره الاسلامى .

٢ ـ الشوقيات ـ ج ١ ، ص ٢٣٠ ، ص ٢٣١ .

بخلافتهم، من هنا يقابل الشاعر بين ماسبق وبين عصر الفتوحات الإسلامية الذى أصبح حلما ، ليضاعف من حالة الاستثارة فى نفس المتلقى ، التى تبلغ قمتها بعد هذا الاستدعاء والربط والمقارنة بالتماس شوقى عبرة التاريخ، التى يجب على المسلمين ورعاة خلافتهم أن يعوها ، وهى أن يتيقظوا ويدركوا مسئوليتهم ليعيدوا للاسلام وخلافته العزة والمنعة .

وخلال هذه القصيدة يلوم شوقى زعماء الاتحاديين الذين كانوا يرون فى البلقان عبئا على الخلافة ، مبينا لهم أن محاولة إصلاح أمور هذه البلاد خير من التخلى عنها ، والهروب من مسئوليتها ولاسيما وقد أصبحت فى حوزة المسلمين،كما يدين الشاعر موقف المتعصبين من المسيحيين ضد المسلمين ، مشيرا إلى ماعرف عن المسيح عليه السلام من سماحة وبعد عن التعصب ، ثم يشفع ذلك بصور من الجرائم التى ارتكبها هؤلاء المتعصبون ضد المسلمين ، وهو تعصب يبرأ منه كل دين ، وفى النهاية يؤكد كما أشار سابقا مسئولية الترك ـ وهم حماة المسلمين وخلافتهم ـ عن كل ذلك ، وشوقى فيما سبق يستثمر الألفاظ ذات الدلالات الدينية مثل حكم الله ـ الكتاب ـ الهلال ـ الصبر ـ الوحى ـ النبوة . . فى الحث على الحفاظ على الاسلام عقيدة وخلافة وأرضا .

كما يؤكد على المعانى الاسلامية ، وينعى تغير أمور الخلافة على غير ما يحب المسلمون .

هذا بالاضافة إلى وسائل شوقى الفنية الأخرى والتى فى مقدمتها التجسيم ؛ حيث يعقد به أخوة بين الأندلس وأدرنة وتتنامى هذه الوسيلة خلال القصيدة ، لكن أجزاءها متناثرة ، حيث نجد امتدادا لهذه الوسيلة فى البيتين الرابع والخامس عندما جعل تقلص ظل الإسلام عن الأندلس وأدرنه جرحين ، وفى ذلك مافيه من تآزر مع ماسبق من وسائل لإحداث أكبر تأثير فى المتلقى ، وإن كان استخدام لفظ «أمتان» قد يطامن من هذا التأثير ، وكان أولى به أن يستخدم كلمة تدل على التئام الشمل والتوحيد فيقول : جرحان يمضى

المسلمون عليها . . . . . .

لأن «أمتان» إن كان يعنى بها العرب والترك غير ملائمة، وربما كان شوقى يستشعر بوادر الاختلاف والتفرق بين الترك والمسلمين، وربما يشير إلى أن هذا الضياع لايليق حتى لو تفرق العرب والترك.

ومع ذلك، تبقى لشوقى وسائله التى حاول بها إثراء وجدان المسلم، واستثارته لتحقيق هدفه الذى يتمثل فى وجوب تعاون المسلمين وقادتهم، فى الحفاظ على الاسلام عقيدة وأرضا وخلافة.

وبرغم شدة قبضة الاستعمار على الدولة الاسلامية بعد الحرب العالمية الأولى، فقد ظل كثير من المسلمين على ولائهم للخلافة التى انسلخ الترك منها، بعد أن اتصلت حلقاتها خلال أكثر من ثلاثة عشر قرنا، كانت فيها رمزا للروابط التى تجمع المسلمين، ومناط الدفاع عنهم، والمكلفة فى نظرهم بحمايتهم دينا ودولة.

ويعد هذا الولاء من أهم العوامل التى جعلت كثيرا من دول الاسلام تثور ضد هؤلاء المستعمرين، ولا أدل على ذلك من أن المنشورات التى كانت تلقيها الطائرات التركية والألمانية على مصر كانت تغذى هذا الشعور، وتثير في المصريين الحمية الاسلامية وتذكرهم بعد وان الانجليز عليهم وعلى إخوانهم المسلمين(١).

وبرغم تكميم المستعمر للأفواه، فليست «العمرية» لحافظ ابراهيم سنة ١٣٣٦ هـ ـ ١٩١٨ م، و«العلوية» لمحمد عبدالمطلب سنة ١٣٣٧ هـ ـ ١٩١٩ م ـ الذى سمى نفسه شاعر الإسلام، إلا تأكيدا لهذه الرابطة الاسلامية، وعطفا على دولة الخلافة مهما كانت قوتها، ومهما كان شكلها، وتصديا في نفس الوقت لتلك الروح الصليبية التى ظهرت بوضوح في سلوك المستعمرين وقادتهم.

ومن هنا كانت مهاجمة بعض الشعراء، لحلفاء انجلترا التى كانت ممثلة لأوروبا، وكل المستعمرين في محاولاتهم القضاء على الخلافة،

---

١ ـ الاتجاهات الوطنية جـ ٢ ـ ص ١٢.

فهاجم أحمد محرم مثلا آل رومانوف بروسيا، وشمت بهم بعد الثورة البلشفية سنة ١٣٣٥ هـ - ١٩١٧ م، والتى انسحبت روسيا بعدها من القتال متخلية عن تحالفها مع انجلترا ، وكذلك مهاجمة نفس الشاعر للشريف حسين عندما أعلن الثورة على الترك، منضما للانجليز بعد أن استمالوه بوعودهم الكاذبة.

ويحتل الحلفاء - من انجليز وفرنسيين وإيطاليين - الآستانة، ويفقد الخليفة كل سلطة له، ولكن في نفس الوقت تظهر شخصية مصطفى كمال، الذى ينفصل عن السلطة المركزية فى الآستانة - حيث يعيش الخليفة مغلوبا على أمره - ويتخذ من أنقرة «مركزا لحركته، ويستبسل في مقاومة المستعمرين حتى يتمكن من إجلاء اليونانيين عن الأناضول في أواخر سنة ١٣٤٠ هـ - ١٩٢٢ م، وقد أوقع بهم هزيمة شديدة ، ألهبت حماس المسلمين، مفكرين وأدباء، وقد تعلقت بشخصية هذا القائد آمال المسلمين في استعادة قوتهم ومجدهم - وذلك قبل أن تنكشف نواياه الحقيقية - ومن ثم يحاول شوقى أن يربط بين صور هذه البطولة وغيرها من البطولات الإسلامية، فتتابع في قصائده صورة خالد بن الوليد وصلاح الدين وانتصار المسلمين ببدر، (١) وتتجلى الصورة الاسلامية بكامل مشاعرها، ومقوماتها وملامحها في فرحة المسلمين ، وشكرهم لله على هذا النصر المقدس.

فإذا ما قارن الناس بين موقف مصطفى كمال ببطولاته المؤقتة وموقف السلطان الأعزل وحيد الدين بالآستانة - الذى أعلن عصيان مصطفى كمال أثناء انشغاله بحرب اليونان وقتالهم فى الأناضول ، بل وأهدر دمه عن طريق المفتى - تجلت صورة الأول مشرقة زاهية مخلصة للاسلام، ومادرى الناس أن هذا الاشراق وهذا البهاء إن هو إلا صورة أخرى من صور النكوص والخزى ومحاربة الخلافة، وقد تجلى

---

١ - أنظر ص ٥٠ ، ٥١ من هذه الدراسة.

ذلك عندما سيطر الكماليون على مقاليد الأمور ، وتم عزل السلطان وحيد الدين بعد اتهامه بالخضوع والاستسلام للمستعمرين، واستنجاده بالانجليز الذين نقلوه إلى مالطة. وعين ولي العهد الأمير عبدالمجيد خليفة مجردا عن السلطة مقرة الآستانة، ثم أعلنت الجمهورية التركية متخذة من أنقرة عاصمة لها، وأصبحت العلاقة بين الجمهورية في أنقرة والخلافة في الآستانة علاقة شكلية وهمية ، إذ اتخذ مصطفى كمال أخطر قرار في حياة الخلافة والمسلمين؛ ألا وهو فصل الدين عن الدولة، ولم يلبث أن ألغى الخلافة تماما، في ٢٦ رجب سنة ١٣٤٢ هـ الموافق ٢ مارس ١٩٢٤ م وطرد الخليفة وأسرته جميعا إلى خارج تركيا بعد تجريدهم من أملاكهم، بل وأخذ الكماليون يقتلون كل من يرتفع صوته مطالبا برعاية الدين وحرمته.

وهكذا تكشفت حقيقة البطل المزعوم ، واتضحت نواياه، التى أثارت المسلمين حقا، وهزتهم هزة عنيفة، فأخذ الشعراء والمفكرون في جلاء الحقيقة التى كانت خافية، وتحول كثيرون ممن أيدوا مصطفى كمال بالأمس إلى النقمة عليه والثورة ضده.

وطبيعى أن تستقطب هذه القضية المسلمين؛ حكاما ومحكومين من هنا وجدنا تطلعات لبعض الحكام في الحصول على مركز الخلافة، وإن لم ينته ذلك بالاجماع حول شخصية ما، وليس هنا مجال التفصيل لهذه النواحى، لأن هذه الدراسة تعنى بأثر هذه القضية في الفكر والأدب عامة، وعند الشاعر أحمد شوقى خاصة، وبيان كيف وظف الكلمة توظيفا فنيا لخدمة هذه القضية.

ولقد اختلف المفكرون والأدباء كما سبق أن أشرت وكانت من أهم الآثار الفكرية أربعة كتب كانت صدى لأخطر وأخطأ ـ لو صح التعبير ـ قرار فى تاريخ الحكومة الإسلامية والخلافة، والذى يعد بمثابة عودة للحياة الجاهلية.

أمـا الكتـاب الأول فهـو «الخـلافة أو الامامة العظمى»(١) لمحمد رشيد رضا، ويؤيد الخلافة الاسلامية القائمة على الاسلام لأنه نظام شامل كامل ، ثم ظهور كتاب «الخلافة وسلطة الأمة» (٢) بالتركية، وقـد نقله إلى العـربيـة عبدالغنى سنى نزيل القاهرة والسكرتير العام لولايـة بيروت ومتصـرف الـلاذقيـة سابقـا ـ وهذا الكتاب يؤيد اتجاه مصطفى كمال ، وبرغم أنه مجهول المؤلف لكن المعروف أن لجنة من الترك قد وضعته بتوجيه الكماليين(٣) .

ثم ظهـر كتـاب «النكـير على منكـرى النعمة من الدين والخلافة والأمـة(٤) » لمصطفى صبرى ، وهـذا الكتاب يبحث بطريقة إجمالية كليـة موسعـة مسألـة ـ الخـلافـة من الناحية السياسية، . كما يتصدى للكماليين محذرا للمسلمين ومنفرا منهم .

أما الكتاب الرابع فهو «الاسلام وأصول الحكم» لعلى عبدالرزاق ، وهـو من الخطـورة بمكـان، حيث يؤيـد اتجـاه الكـماليـين فى إلغاء الخلافة، ويستمد كثيرا من أفكاره من المستشرقين، ويرى أن الخلافة نظام تعارف عليه المسلمون وليس فى أصول الشريعة ما يلزم به، ومن هذه الناحية يمكن أن يعد امتدادا لكتاب «الخلافة وسلطة الأمة » . . . .

وقـد ووجـه هذا الكتـاب الأخـير في مصر بثورة ضده كشفت عن ولاء عميق للاسلام وسلطة الخلافة ، كما حوكم صاحبه(٥) .

---

١ ـ ٣٠ رمضان سنة ١٣٤١ هـ ١٦ مايو سنة ١٩٢٣ د . محمد حسين الاتجاهات الوطنية، جـ ٢ ، ص ٦٨ .

٢ ـ تم ظهور الترجمة العربية فى جمادى الثانية ١٣٤٢ هـ في ديسمبر سنة ١٩٢٣ .

٣ ـ الاتجاهات الوطنية، جـ ٢ ، ص ٦٨ .

٤ ـ ١٥ شعبان سنة ١٣٤٢ هـ، ٢٠ مارس سنة ١٩٢٤ م

٥ ـ الاتجاهات الوطنية ص ٨٦ .

وتثور عاطفة شوقى الدينية، وترتفع صيحة ولائه للإسلام وخلافته فى مرثية تتجاوز الأربعين بيتا حيث يقول فيها تحت عنوان « **خلافة الإسلام** »*

عادت أغانى العرس رجع نواح ... ونعيت بين معالم الأفراح (١)
كفنت فى ليل الزفاف بثوبه ... ودفنت عند تبلج الإصباح (٢)
شيعت من هلع بعبرة ضاحك ... فى كل ناحية ، وسكرة صاح(٣)
ضجت عليك مآذن ، ومنابر ... وبكت عليك ممالك، ونواح
الهند والهة، ومصر حزينة ... تبكى عليك بمدمع سحّاح(٤)
والشام تسأل، والعراق ، وفارس ... أمحا من الأرض الخلافة ماح؟
وأتت لك الجمع الجلائل مأتما ... فقعدن فيه مقاعد الأنواح(٥)
يا للرجال لحرة موءودة ... قتلت بغير جريرة وجناح(٦)
إن الذين أست جراحك حربهم ... قتلتك سلمهمو بغير جراح(٧)

---

* الشوقيات حـ ١ ص ١٠٥

١ ـ الأغانى : جمع أغنية، وهى ما يترنم به ويتغنى فيه من شعر ونحوه.

والرجع : مايرد فى المكان الخالى على الانسان إذا رفع صوته . والمعالم: جمع معلم، وهو موضع الشىء الذى يظن فيه وجوده.

٢ ـ تبلج الاصباح : إشراقه وإنارته.

٣ ـ الهلع : الجزع الشديد. والعبرة: الدمعة قبل أن تفيض. وقيل: هى تحلب الدمع.

٤ ـ الوالهة : الحزينة . أو التى ذهب عقلها حزنا . وسحاح: كثير السح، وهو أن يسيل الماء من أعلى إلى أسفل.

٥ ـ الجمع : واحدتها جمعة ، وهى الصلاة المفروضة بهذا الاسم. والأنواح : النائحات.

٦ ـ الموءودة: التى تدفن حية فى التراب.والجناح : الاثم.

٧ ـ أست جراحك : دواتها. السلم : الصلح، والسلام أيضا.

هتكـوا بأيـديهم ملاءة فخـرهم ... موشيـة بمـواهب الفتـاح
نزعـوا عن الأعـنـاق خير قلادة ... ونضوا عن الأعطاف خير وشاح
حسب أتى طول الليـالى دونـه ... قد طاح بين عشيـة وصباح
وعـلاقـة فصمت عرى أسبـابها ... كانـت أبـر علائـق الأرواح
جمعت على البر الحضور وربما ... جمعت عليـه سرائـر النـزاح
نظمت صفوف المسلمين وخطوهم ... فى كل غدوة جمعـة ورواح

ونـلاحـظ هنا بروز العاطفة الدينية الإسلامية، من خلال توظيف شوقى لعدة وسائل فنية، يكشف بها عن شديد ألمه، كما يستثير أكبر قدر من مشـاعـر الحـزن لدى المتلقى، تجاه هذا القـرار الخطير، بغية الإرهـاص بتغيـيره وتحريك الجماهير المسلمة ضده، من هذه الوسائل التجسيم الـذى يستخـدمـه شوقى كوسيلة أسـاسيـة تحتـوى معظم الأبيـات، حيث يجعـل الخـلافـة عروسـا تنعى ثم تكفن، ثم تشيـع بالبكـاء من كل ديـار المسلمـين، وسوف نجد الأبيات الأربعة الأولى تبـدأ بأفعـال ماضيـة توحى بالنكـوص والمـوت والحـزن والعـويـل، ويتضـاعف هذا الايحاء عندما تحتك، وتتصل المتناقضات، فى داخل هذه الأبيـات الأربعـة كاشفـة عن عمق المأسـاة وخطـورتها، من هنا يتصـل العـرس بالنـواح، والنعى بالفـرح، وثوب الزفاف بالكفن، والاشراق بالفناء، والضحك بالبكاء، ويمكن أن يكون هذا الجمع

---

١ ـ يقال: هتك الستر ونحوه: خرقه، أو جذبه فقطعه من موضعه، أو شق منه جزءا فبدا ما رواءه. وموشية: منقوشة منمنمة، والفتاح: من أسماء الله تعالى.

٢ ـ نضوا: خلعوا. والأعطاف: جمع عطف، وهو الجانب من كل شىء والوشاح: شبه قلادة ينسج من جلد عريض، ويرصع الجوهر. فتشده المرأة بين عاتقها وكشحيها.

٣ ـ طاح: ذهب.

٤ ـ البر: الصلة، والرفق. والنزاح: البعيدون: جمع نازح.

بين المتقابلات مظاهر للهلع والوله الذى استولى على المسلمين وديارهم، والشاعر إنما يوحى بتلك المظاهر من خلال الإشارة إلى صدورها عن ديار المسلمين: كالهند ومصر والشام وغيرها، فيتراءى هول الكارثة دون مباشرة أو تقريرية.

وامتدادا لهذا التجسيم المشار إليه تصبح الجمعة ـ وهى شعيرة إسلامية ـ مع غيرها من الجمع وكأنهن قد أقمن مأتما ونواحا على هذه الفقيدة الغالية، التى وئدت، من ثم يعقد مقارنة بين جوانب موقف الكماليين اعتمادا على التقابل، ليحملهم مسئولية كل ماحدث، فهم قد واسوا الخلافة وحافظوا عليها، وقاتلوا دونها، لكنهم اليوم وبدون قتال قد أجهزوا عليها، متجردين من ولائهم للخلافة، ذلك الولاء الذى رفع قدرهم، كما قطعوا تلك العلاقة التى كانت تربطهم بالإسلام، وهى أبر وأخلص العلاقات، إنها الخلافة الاسلامية التى جمعت المسلمين حول دينهم وعقيدتهم، ووحدت بينهم.

وهكذا تتواصل معانى اللوعة والأسى والحزن واستثارة مشاعر المتلقى، ليس فحسب من خلال هذا التجسيم المشار إليه، بل عندما يحشد شوقى مفردات بتآزرها توحى بمعانى البكاء، واستشعار الظلم والفقد والهتك، والخلع والسقوط، والانفصام، والتفرق والتشتت . . ، وغير ذلك مما يضاعف من تهيئة المتلقى للتصدى لهذا الخطر الذى حل بالمسلمين.

ويتجاوز موقف شوقى انتقاد الكماليين بعنف، وهو الذى سبق أن مدحهم، ليقرر بجلاء ووضوح أن الرابطة الاسلامية هى التى تحركه، وأن التزام الحق هو ما يجب أن يعلو، وأن وفاءه للخلافة الإسلامية إنما هو رضا الله، وطاعة لوجهه الكريم، وهذا هو ما يجب أن يذود عنه مهما كانت روابط الانسان بأولياء نعمته حيث يقول:

أستغفر الأخلاق، لست بجاحد من كنت أدفع دونه وألا حى(١)
مالى أطـوقـه المـلام وطـالما قلدتـه المأثـور من أمـداحى؟
هو ركن مملكـة، وحـائـط دولـة وقريع شهباء، وكبش نطاح(٢)
أأقـول من أحيـا الجـماعة ملحد وأقـول من رد الحقـوق إباحى؟
الحـق أولـى من وليـك حرمـة وأحـق منـك بنصـرة وكفـاح
فامدح على الحق الرجال ولمهمو أوخل عنـك مواقف النصـاح

ثم يقول :

عهـد الخـلافـة فىّ أول ذائـد عن حوضها ببراعة النضاح(٣)
حب لذات الله كان، ولم يزل وهـوى لذات الحق والاصـلاح

وهكذا يأبى شوقى إلا أن يموت وفى عنقه بيعة.

وثمة سؤال يرد ، لماذا الخلافة الإسلامية ؟ ولماذا شوقى بالذات؟

لاشـك أن هدم الكـماليين للخـلافـة الإسلامية حدث جسيم فى تاريـخ الاسـلام والمسلمـين ! ، فيكفى أنـه كان بداية تفرق لشمل لم يلتئم خلال أجيـال عدة ، وصـدع لم يرأب أكثـر من نصف قرن ، ولازال ينزف دمه ، حتى تداعى الاستعمار بأشكاله المختلفة على بلاد المسلمـين ، وحفظـة تعـاليم السـماء ، ولن تعـود لهم قوتهم إلا بالعودة المخلصـة الجـادة إلى ماكـان عليه السلف الصالح ، قولا وفعلا ، وأن

---

١ ـ أدفع دونه : أرد عنه بالحجة. ألا حى : من الملاحاة، وهى الملاعنة.

٢ ـ القريع : الغالب فى المقارعة ، وهى أن يضرب الأبطال بعضهم بعضا. والشهباء : الكتيبة العظيمة الكثيرة السـلاح.

٣ ـ الذائد : الحامى المدافع، والنضاح: المدافع أيضا.

توظف قيم الـدين الحنيف بالكلمـة الجميلة المعبرة، والصياغة الفنية المـوحيـة ، فترقى مشـاعـر المتلقى، ويعمر بالخير وجدانه ، ويخصب بالحق تفكيره ، وتضىء مشاعل الهدى كل دروب الحياة.

ولقد كان شوقى من أكثر الشعراء التصاقا بالدولة العثمانية، عاصر بشعـره ووجـدانه كل تطوراتها الهامة فى ظل الاسلام عقيدة وخلافة ، واستطـاع أن يجعـل من شعـره مسـبرا لتطـوراتهـا، وسـلاحا يلاحق أعداءها، مرهصا ، ومنذرا، وكاشفا، ولهذا اتخذناه ممثلا لهذا الحدث فى مجال الأدب الاسلامي.

. . . .

د ـ قضايا الحياة المتجددة . . والتوفيق بين الدعوة والفن

وهذه إشارة إلى بعض الوسائل الفنية فى ديوان شاعر مسلم شاب تبين كيف حاول التوفيق بين الدعوة والفن وتكشف عن تجاوزه لزعم التسطيح والخطابية، ذلك هو ديوان «إلى أمتى» لعبدالرحمن العشماوى»(١) . .

---

١ ـ نشرت الدراسة الخاصة بهذا الديوان بالملحق الأدبى لجريدة الرياض التى تصدر فى المملكة العربية السعودية فى ١٤٠٠/٧/١٢ هـ بدون اسم المؤلف، ثم نشر فى نفس الملحق بتاريخ ١٤٠٠/٧/١٩ هـ اعتذار عن ذلك . .

«الدعوة والفن»
فى ديوان الشاعر/ عبدالرحمن العشماوى
«إلى أمتى»

يقـع هذا الـديـوان فى نيف ومائة صفحة مع القطع الصغير، وقد نشرته دار ثقيف بالطائف سنة ١٣٩٧ هـ/١٩٧٨م.

وشاعرنا شاب فى العقد الثالث من عمره، محافظ لايكاد يخرج فى ديـوانـه عن «عمـود الشعـر» من حيث الشكـل، مع مقـدرة ومـوهبة جديرتين بالاعتبار، تبشران بخير كثير إن شاء الله.

وبـرغم ماتثـيره جدلية الشكل والمضمون من قضايا لدى القارىء، حول هذا الـديـوان، فإنه بتطلعه نحو كل ماهو مثال وخير، يمكن أن يمثل إلى حد ماجانبا من الأدب الاسلامى المعاصر.

ركائز الحركة الفكرية فى هذه الديوان:

ولـك أن تتصـور شابـا محافظـا فى فنـه، ملتـزما فى فكره، متمسكا بعقيدته فى عصر كثرت فيه مغريات الشباب، ماذا يكون المدخل إلى عالمـه الشعرى؟ إنه الدين الإسلامي، والولاء له، ذلك الملمح الذى لاتخطئـه عين قارىء هذا الـديوان خلال الثلاثين قصيدة التى يتألف منهـا، ويصبـح الـواقـع والتـاريـخ ومبادىء الدين من أهم مرتكزات الشاعر التى تجلى حركته الفكرية وهو يصوغ قصائده متنقلا بين هذه المرتكزات؛ واقع يتطلع إلى أن يغيره نحو ماهو أفضل، وتاريخ يتخذ منه العبرة والدليل على مايرتئيه، ومبادىء يعد الاستعصام بها سبيله إلى التغيير المرجو.

أما الواقع المراد تغييره فهو واقع المسلمين اليوم، والتاريخ الذى يأخذ العبرة منه هو تاريخ المسلمين فى عصور قوتهم، والمبادىء التى يدعو إلى الاستعصام بها هى مبادىء الاسلام.

أما كيف يبرز هذا الاتجاه فنيا، فيتضح ذلك من خلال وسائل عدة منها :ـ

إثراء الكلمات :

إن شاعرنا قد يستخدم اللفظة بمدلولها المعجمي أو الاصطلاحى مضيفا إليها دلالات أخرى، نتيجة وضعها فى علاقات جديدة، لتصبح ذات معنى أخصب وأغزر، لأنها تشتمل على المعنى المعجمي أو الاصطلاحي وظلال المعاني، أو المعاني الثانوية كما سماها عبدالقاهر الجرجانى فى «دلائل الاعجاز»، واليك مثلا استخدامه للفظتى «الزكاة والنّصاب»، حيث لايقتصر على مدلوبهما المتعارف بهما عليهما، بل تصبحان متضمنتين لهذا المعنى وكاشفتين فى نفس الوقت عن التجاوز والاحساس بالفقد، من هنا يرتد سريعا إلى الماضى العزيز، مستمدا منه العبرة والعظة بحثا عن السبيل القويم الذى لايراه إلا فى النور من آي الكتاب العزيز والعودة إلى الحق والصواب :

ياأمتى قد زاد مقدار	الزكاة على النصاب
أنا نبضة فى قلبك الولهان	يؤلمني اغترابى
وتهزنى صرخات أيتام	شكوا جور الذئاب
أين الأولى رفعوا ذرا	ك؟ فطاولت أفق السحاب
والحق منتشر الظلا	ل على السهول على الشعاب
وقوافل الإيمان تطوى	دونها بسط الرحاب
غرقت بلادى فى الجراح	وما انطفا حر المصاب

وتطلعت آفاقها للنور من آى الكتاب
ياأمتى ما النصر فى شكوى ولا فى قرض ناب
ما النصر إلا همة عظمى وسير بالصواب (١)

ويمكن أن يكشف توظيف كلمة «همة» فى آخر الأبيات عن هذه السمة لدى الشاعر، إذ برغم ماتوحى به الهمة من محدودية الفعل، والعزم دون التنفيذ(٢)، يضعها الشاعر فى علاقة جديدة عندما يقرنها فى البيت الأخير بكلمة (عظمى) وهى صيغة تفضيل مطلق، لتستحيل الهمة إلى قوة وأى قوة، خاصة عندما تأتى بعدها كلمة (سير) النكرة مفيدة للتعميم فى السير بالصواب لتستحيل العبارة إلى قوة تناسب عظمة النصر المرجو، وذلك فى البيت الأخير من النموذج السابق.

التكثيف :

وقد يكون التكثيف (٣) الفنى من وسائله المفضلة، حيث إن هذا الاتجاه الاسلامى لديه لايبرز إلا كملمح تركيبى، إذ يقرنه بعناصر عدة، أو يتجاور معه كثير من معطياته التى من شأنها أن تدعمه، فيصبح الولاء لعقيدته ودينه الاسلامي مركز الثقل فى الصورة، مهما تكاثفت مع هذا الاتجاة الاسلامي لديه عناصر الاحساس بالاغتراب والزيف والضياع ، والفقد، والتطلع نحو عالم يسوده الوفاء والحنان والحق.

---

١ ـ الديوان ص ٢٧.

٢ ـ هم عزم ولم يفعل.

٣ ـ انظر فى معنى التكثيف: كتابنا الاتجاه النفسى فى نقد الشعر ـ ط. مكتبة المعارف بالرياض ١٤٠١ هـ، ص ص ٣٤، ص ١٧٨.

وهـو فى نفس الـوقت ينتقـل هذه النقلة التى أشـرت إليهـا بين مرتكـزاته، والتى تكشف عن حركته الفكرية داخل القصيد، من ثم تصبـح القـدوة الصـالحـة فى الـرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، وصحـابتـه رضـوان الله عليهم سبيله إلى التغيـير المـرجـو، لأنهم قد تمسكـوا بشـرع الله، وأحيـوا الدنيا بكتابه العزيز، يقول فى قصيدة له بعنوان: «حديث القمر»:

وتخـدعـنـا بهرجـات الحيـا ... ة فنصحـو على يومنـا المنتظـر
لقـد عشت يابـدر دهـرا طويـلا ... وعـاشـرت من أهلنـا من غبر
فقـل لى بربـك أخبـارهـم ... وحـدث بها خبرا عن خبر
وقـال أتعنى الـرسـول الكـريم ... أتـعـنى الصـديق أتعنى عمـر
أتعنى الـرجـال أمـاتوا الضلال ... وأحيـوا بهدى الكتـاب البشـر
أقـول وقـد شاهـدت مقلتـاى ... جليـل المعانى وأسمى العبر
أولئـك من سطـروا للعـلا ... أجل الصفات وأغلى السير(١)

وهكـذا يصبـح الاستعصام بمبادىء الدين الاسلامى، واتخاذ الأسوة الحسنـة فى رسـول الله ﷺ وصحـابته رضوان الله عليهم سبيل الشاعر لمواجهـة تحديـات العصـر المادية، وانحرافاته الأخلاقية، يسترو ح فى ظلاله الأمن والأمان، كما يصبح هذا الخط قرينا بقلق الشاعر، عندما تضيق عليـه دروب الحيـاة، وتكثـر جراحاتها، وهوفى ذلك لا ينفصل عن ركب أمتـه الإسـلاميـة، لأنـه قد آمن بأنه قطعة منها، يألم لألمها، وينبض بمشـاعـرهـا نحـوكل ماهـوحق وصـدق، مما يعمـر به قرآننا العظيم، يقول فى قصيدة له بعنوان: «صرخـة مرصعة الاخلاص»:

---

١ ـ ديوان «إلى امتى» ص ٣٠.

ضاقت على دروب أحلامى وما تعبت جراحى
أنا واحد من أمة أمجادها فى كل ساح
أنا رائد بشريعة الإسـ ـلام فى كل النواحى
فاسأل ضمير الفجر حين اهتز من تلك البطاح
يقظان ينتهب الخطى لم يخش من وقع الرماح
يدعو القلوب إلى الهدى يسعى إلى الماء القراح
وإذا بها ترنو إلى الرحمن ... عن ضرب القداح
ذاكم رسول الله عنوان الهدى والانشراح (١)

ويتجاوز التكثيف لدى الشاعر فى هذا الديوان العناصر الفكرية إلى خطوط الصورة الشعرية ذاتها، حيث تتداخل الكلمات أو المواقف الإنسانية، وتتقارب أشتاتها مما يجعل الصورة الشعرية تجمع عناصر متباعدة فى المكان والزمان غاية التباعد، لكنها تتحد وتأتلف فى إطار شعورى واحد، هو عند شاعرنا الاحساس بعظمة الدين الإسلامي، وأثره فى رقى الحياة، وهكذا تصبح الصورة معطاءة خصبة بالتكثيف، الذى يعد وسيلة بارعة لعرض التجارب الفنية عرضا يكشف عن قيمتها الانسانية والفنية، وها هوذا الشاعر يدعو إلى تربية الشباب على العزة، آملا انتهاز فرصة نمائهم المؤذن بالازدهار والاشراق فيهم، حيث يذكره بنماء الأزهار، ويتصل هذا الأمل بالتحذير من التقصير فى أداء هذا الواجب، متخذا من الاحساس الدينى بهذه المسئولية وسيلة للتخلص من هذا التقصير، ويصبح القلب العفيف أغلى ما يملكه الشاب، وأغلى مايملكه متحمل المسئولية نحو هؤلاء الشباب، ومثل هذا القلب هو مايحمله المصلحون، الذين ساروا فى طريق الحق براية الاسلام، يجلى هذا المسلك قوله من قصيدة له بعنوان: «كلمة حق»:-

---

١ - السابق نفسه ص ٣٩ .

واملأوا أنفس الشباب اعتزازا ... بالهدى ، واغنموا نماء الزهور
فالزمان الذى تعيشون فيه ... مل منا طبائع التقصير
لايصيب اليأس المقنع قلبا ... فيه توق إلى إله قدير
إن أغلى مايملك المرء فى دنياه ... قلب يعف عن كل زور
فى ضمير الحروف ألف حديث ... عن رجال ساروا بعزم كبير
رفعوا راية الهدى، وتعالوا ... عن دنايا الضلال والتدمير
لو نهجنا طريقهم لبنينا ... لهدانا صرحا عميق الجذور(١)

المناجاة . . والحوار الداخلى :

ويمكن أن يتمثل هذا التنقل الفكرى بين الركائز الثلاث الواقع والتاريخ والدين، فى هذا الحضور القوى الدائم لأمتنا الإسلامية بأحداثها وأمجادها فى ضميره وفنه ومعطيات صوره، وذلك من خلال الاستخدام الحى الخصب «للمناجاة» عندما تتصل مناجاته لحبيبته بمناجاته لفلسطين، فيرفض الذل فى علاقته بكلتيهما، كما يسمو بحبه لهما عن الدنايا، مؤثرا اللقاء بصاحبته في الأحلام مادام حبه عفا طاهرا، آملا فى لقاء كريم حلال بها، على أرض فلسطين العزيزة الحرة، وهكذا يتداخل حبه لصاحبته مع حبه لبلاده الاسلامية وهى هنا فلسطين، وتصبح هذه المناجاة للحبيبة هى فى نفس الوقت مناجاة لفلسطين ذاتها، معبرة عن أمل الشاعر الحار فى عودتها حرة عزيزة فى ظل السلام والإسلام، يقول فى قصيدة بعنوان ألقاك فى فلسطين :

---

١ ـ الديوان ص ٣٧ ، ٣٨.

أنــت جزء من الـفــؤاد فأولـى ... أن تهزى الـيـقــين فى إلهــامـى
فارفعى الكف للســماء ونـاجى ... خالق الكــون أن يعــز مقـامى
فإذا ما امـتطيت صهــوة مجدى ... وتظــللت عزة الاســلام
فهـنــاك الـلقــاء، يحلو هوانــا ... فى فلسطين تحت ظل السلام(١)

كما يعتمد على «الحوار الداخلى» لنفس الهدف فى قصيدة أخرى بعنـوان: «ليس هذا عيـدى» فيشـير إلى مأساة فلسطين، وقد طلبت منه أخت صغيرة هدية العيد، فيتساءل متعجبا:

أهــو عيـد للقـدس عاد إليـا ؟ ... بعــد أن دمــرتــه أيــد غبيــة
عجـبــت أخــتــى من حا ... لى وقــالت فى دهشــة ورديــة
إنــه عيــدنــا وعيــد رفــاقى ... عيـد حلوى وذكـريات غنية (٢)

ونلاحظ هنا أيضا اعتماد الشاعر على «تراسل الحواس» عندما تصبح دهشة الأخت الصغيرة «وردية» وذكرياتها عن العيد «غنية»، مما يثرى الصورة الشعرية لديه، كما لايقف الشاعر عند هذا الحد، لأنه يعتبر قضيـة القـدس جزءا من قضيـة أمتـه الاسـلاميـة كلها، التى تشغل قضـايـاهـا المصـيريـة وجدانه فى هذا الديوان، لذلك نراه يختتم هذه القصيدة بقوله:

ليس هذا عيــدى ولكن عيـدى ... أن أرى أمـتى تعــود أبيــة (٣)

---

١ ـ السابق ص ٥٠

٢ ـ السابق ص ٦٤.

٣ ـ السابق نفسه ص ٦٥

إثراء المشاعر برغم تقريرية الدعوة:

ونظرا لأن القدس بمعالمها الإسلامية تحتل بؤرة الشعور عند كل مسلم غيور على دينه وبلاده، فإن الشاعر لايكف عن التعبير عن تألمه لما نزل بها، مذكرا أمته بواجبها تجاهها، من ثم نراه يستحث الشباب على ذلك، وبرغم تقريرية العرض والدعوة، إلا أن الشاعر يستخدم أسماء هذه المعالم الإسلامية فى مجموعات لفظية بحيث تستدعى لدى المتلقى المسلم فيضا غامرا من المشاعر والعواطف الدينية التى لاتقف عند حد، فهو إذا ذكر المسجد الأقصى كلفظة مركزية قرنها باللهيب والشكوى والأسى والسلب والنحيب وغيرها، يجلى ذلك قوله فى نشيد شباب جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية «ياشباب الحق»:

ياشباب الحق أدعوكم وفى قلبي لهيب
أمتى تشكو الأسى ، والمسجد الأقصى سليب
كيف قلب مسلم لله بالذل يطيب؟؟
ياشباب الحق هيا ليس يجدينا النحيب (١)

دعم الصور الكلية بالصور الجزئية :

ومن خلال إحساسه بمأساة أمته الاسلامية، تستثيره أحداث لبنان وصراعها الدامى وذلك فى قصيدتين هما: «مشاعر ملتهبة» ، و«أهذه أنت يالبنان»، ويتخذ الشاعر من الصور الكلية الممتدة وسيلة فنية لبسط مشاعره، وليحث أمته على موقف إيجابى تجاه القضية التى يتناولها، وها هوذا يصور هول مأساة لبنان فيتصل البؤس بالآلام والرصاص، مستثيرا فيضا من المشاعر الحزينة تجاه ما حل بلبنان:

---

١ ـ السابق نفسه ص ٦٥

فرأيت الحياة بؤسا توارى في ظلال من سطوة وهوان
وافترشت الآلام في جنح ليلى أتحاشى جحافل النكران
والرصاص الثرثار يلهج بالرعب كمن قد أصيب بالهذيان
فتمنيت لو طريقى سدت أو تيممت شطر درب ثان (١)

والشاعر لايكتفى بهذا التناول الكلى المجمل، بل يضاعف من إحساس القارىء أو السامع تجاه هذه الأزمة، باعتماده على تقديم لقطات جزئية لوقع هذه النكبة على الناس، مما تعتبر تفصيلا لما أجمل، ودليلا عليه ، كما تتسق هذه اللقطات فكريا مع السياق العام النامى للقصيدة، وذلك عندما يقول:

ما لتلك الفتاة تصطحب الأطفال تجرى بهم بغير توان
مالتلك البيوت تهدمها النيران حتى غدت بلا أركان؟ (٢)

ومن ثم يرتد سريعا إلى السبيل الذى يرى فيه خلاص أمته مما تنوء به، ألا وهو العودة إلى طريق الايمان والنهل من القرآن العظيم، حيث يقول:

فأفيقى ياأمتى وأزيلى ظلمات الطريق بالايمان
أنت والله بالهدى ، فى جلال فانهلى من مناهل القرآن

ومن هنا يتضح إنسانية الغاية والوسيلة فى شعر الشاعر برغم تقريرية ذلك أحيانا.

---

١ ـ نفسه ص ٥٥

٢ ـ نفسه ص ٥٦

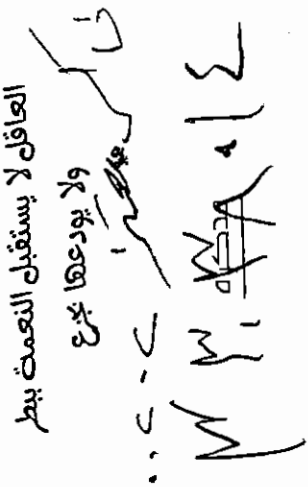

الرمزية :

ـ القـوى لأمته الاسلامية فى وجدانه، ليشمل ـاء، وذلك من خلال نظرة كلية شاملة لقضايا ـمـا يحذر من فتنـة الخـلاف بين دول المغـرب ى مزقت الأمة الاسلامية، مبينا لهم أن سيناء ـوة، بدلا من أن يحارب بعضهم بعضا، وإذا فإن عبرة «التاريخ» تؤكد سخرية عدونا منا، وهديه السبيل الذى يتمنى الشاعر التزام أبناء ـائـز حركتـه الفكـرية فى هذا الديوان، وهو قد يقـدم ذلـك هنـا بأسلوب ينأى عن التقريرية والمباشرة، باعتماده على صور مفعمة بالدلالة والاستثارة. يقول فى قصيدة له بعنوان: «إخوتى فى ربا الجزائر:

إخـواتى فى ربـا الجـزائـر مهـلا ... يابنى المغـرب أنصتـوا لنـدائي
أو لم يكـفـنـا بأنـا غدونـا ... بالتعـادى أضحـوكـة الأعداء؟
أنا أدعو باسم الهدى ياحماة الدين ... . . لا باسـم ثورة الأهـواء
فاستر وا جسم أمة صار واغوثاه ... شلوا ممزق الأجـزاء
نخـر السوس فى العظام وأخشى ... أن يفـوت الأوان يا أصـدقـائى
إن تكن زادت القـوى فانقلوهـا ... يابـنـى أمـتـى إلـى سينـاء

ولعلنا نلاحظ هنا تلك الصورة الممتدة، خلال البيتين السابقين على هذا البيت الأخير، عنـدمـا يوظف الشـاعـر فيهـا إمكـانيـات اللغة الـرمـزية، مثل تكرار حروف مهموسة كالسين والشين والزاى والصاد التى توحى هنـا بالحـزن والتألم الفـاجـع الـذى يضـاعف من أسلوب الاستغـاثـة «واغـوثـاه»، ويصبـح اقـتـران ذلـك بالتـماسـه ورجـائـه لأصـدقـائـه، أن يسـتـر وا أشلاء جسم أمتهم الممزق مستثيرا لأعمق المشاعر الانسانية فى النجدة والحمية، وإدراك هول ماحل بهذه الأمة.

وتجلى هذه الطموحات والمهام التى أناطها الشاعر بنفسه، خطورة الكلمة لديه، من ثم تصبح رسالة الشعر عنده قرينة بكل ما يحقق المجد والرفعة له ولأمته الاسلامية؛ له كداعية يرعى أمته ويهديها بالدين إلى سواء السبيل، ولأمته بالتزامها لأصول دينها الحنيف، ويبدو أنه مدرك لخطر هذه الغاية، ولمقدرته على تطويع الشعر لها، استمع إليه وهو يعبر عن ذلك ساخرا ممن يبتعدون عن هذه الغاية النبيلة، من خلال تشخيصه للشعر ديوانا وقافية وكلمة وحرفا حيث يقول:-

ياصبايا الحروف رددن لحنى ... وتنبهن قد يفيق الغرور
ها هو الشعر فى المواقف يشدو ... والقوافى ياسادة الشعر عور

إلى أن يقول:

ركع الحرف فى السطور نفاقا ... ويحه كيف يركع المغرور
ليس حسن الكتاب فى الورق المصقول لكن فيما حوته السطور
لاتخف سطوة الظلام فإن الليل ... يهوى إذا تجلى النور
إن مضت ساعة ولم نجن مجدا ... فضياع حياتنا وثبور (١)

وهذا المجد إنما يتمثل فى الدين الحنيف، والالتزام به عقيدة قوية تسمو على كل شيء، تشهد بذلك حياة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، وهكذا تطّرد ركائز حركته الفكرية فى هذا الديوان:

---

١ ـ ص ٦٩ من الديوان.

فأزيلوا عنا الشعارات إنا لهداة شعارنا التكبير
وارجعوا للوراء فى زحمة الأمجاد تصحو على صداها العصور
لكأنى أرى الحصير فراشا لنبى جلاله موفور
ذاكم المصطفى أقام عماد الحق أدمى جنبيه ذاك الحصير
إنها العقيدة تسمو بذويها فصرحها معمور(١)

الخطابية . . والخلوص للذات :

ومن أجل هذا يتضاءل المدخل القومي إلى وحدة أمته، وهوفى ذلك منطقى مع نفسه ومع التاريخ، فالإسلام هو الذى وحد العرب، ويجلى هذه الفكرة من خلال وهج تقابل ذكى بين الألفة والشتات، وفى استنكار شديد حيث يقول :

هل أُلِفَتْ أشتاتكم ياقوم من قبل الرسول (٢)؟

من أجل هذه الطموحات وتلك الدعوة التى أناطها الشاعر بنفسه وفنه، فقد يتوهم أن الخطابية تستغرقة، ولكن الوهم سريعا مايتضاءل، أمام إنسانية هذه الدعوة واطراد ركائزها الفكرية خلال الديوان كله، بصورة تكشف عن دراية بأصول الدعوة ومقتضيات الإبراز الفنى لها.

لذلك فإن هذا الديوان يكشف عن توثق الاتصال بين الذات والموضوع، لأنه وإن كان يشغل بمقتضيات الدعوة وتطويع الفن لها، فإن هذه العملية لاتتم إلا من خلال الذات، فى خلوصى نفسى

---

١ ـ ص ٧٠ من الديوان.

٢ ـ ص ٩٣ من الديوان.

لايلبث الشاعر أن ينطلق منه إلى دعوته، مازجا بينهما، ثم يخلص إلى نفسه . . وهكذا تطرد هذه الحركة النفسية أو هذه المزاوجة بين الذات والموضوع، أو بين الفن والدعوة ، وقد رأيناه سابقا يأمل فى أن يلتقى بصاحبته على أرض فلسطين المحررة، عندما اتسعت مشاعر الحب لديه من شوق ولهفة وأمل ، لتحتوى صاحبته وأمته ممثلة فى فلسطين، برمزية بسيطة، وبرزت الحبيبة وفلسطين صورة لهذا الاتصال بين الذات والموضوع أو بين الفن والدعوة.

ومن بين القصائد التى تجلى هذه الفكرة «العيد الحزين»، حيث تتصل ذكريات الطفولة السعيدة فى العيد بواقع أمته الحزين، لعدم تحقق أمنياتها، وذلك من خلال تساؤ ل حزين حائر ينكر فى شفافية إنسانية، هذه السرعة التى تطوى بها السنون بين طفولة سعيدة تفرح بالجديد، وتهنأ بالعيد ، وشباب مسئول واعد يملأ وجدانه الاحساس القوى بواقع أمته المثخنة بالجراح ولم تتحقق أمانيها يقول:

عيد، ما هذه الخطى العجلات ... كيف تطوى أمامك السنوات؟
عيد، هل جئت بالجديد المهنا ... أم أعيدت بعودك الحسرات؟
عدت ياعيد، والجراح جراح ... لم تحقق لأمتى الأمنيات
عيد يامسعدى وقد كنت طفلا ... فيك ألهو وتنتشى البسمات
كنت ياعيد حين تأتى أغنى ... حيث تحلو فى فجرك الأغنيات
كيف أصبحت حين جاوز عمرى ... مسرحا تنتشى بك الذكريات
أنا فيها رأيت مكة حيرى ... وعليها من الأسى ظلمات(١)

وهكذا يسترسل الشاعر فى تقديم لقطات من مآسى أمته الإسلامية ممزوجة بذوب نفسه من حسرة وألم، وإحساس دينى واع واعد ، إلى أن يقول:

---

١ ـ ص ٧٦ ، ٧٧ من الديوان.

يارفـاقى وفى ضمـير القـوافى حسـرات ، وخـاطرى حسرات
فاعـذرونى ، إذا أفاقت شجونى يوم عيـدى، وسـالت العـبرات

ثم يتحدث عن فؤاده قائلا :

كيف يشـدو ولليتـامى الحيـارى تحت ظلمـة من العـدا أنـات
كيف يشدو ومسجد القدس يشكو وبـلادى أعيـادهـا ويـلات(٢)

ولعلى بهذه الجولة خلال ديوان شاعر شاب قد استطعت الكشف عن مقـدرة عبـدالرحمن العشماوى كنموذج للجيل الثالث من الشعراء السعـوديـين المحدثين، ولعل القارىء العزيز قد أدرك جدارة شعرائنا الشبـاب فى أن ينـوه بأدبهم لمواكبتـه للحيـاة فنا وفكرا . . بإضاءته من الداخل ، وكيف يمثل جانب من أدب الشباب الأدب الاسلامى المعاصر.

وليس معنى ذلـك أن هذا العمـل يمثـل الكـمال المـرجـو، ولكنه محاولة جادة على الطريق جديرة بالاعتبار.

---

٢ ـ ص ٨١ من الديوان نفسه

الاحساس الدينى والهمس

فى مجموعة

«قصائد من مقبل العيسى»

الاحساس الدينى . . والهمس فى فى «قصائد من مقبل العيسى»

يمكن أن تمثل مجموعة قصائد من مقبل العيسى «ظاهرة فنية أخرى يوظفها الشعر الإسلامى ألا وهى «الهمس».

ومن خلال ذلك يتجلى إحساس دينى قوى يعمر داخل الشاعر، يمكن أن يتردد صداه ويتجاوب داخل نفس المتلقى.

وهذه المجموعة قد صدرت سنة ١٣٩٣ هـ، الموافق سنة ١٩٧٣ م ضمن سلسلة المكتبة الصغيرة . . التى تصدر فى مكة المكرمة.

وأعنى بالهمس الذى هو ضد «الخطابية» محاولة الشاعر تحقيق التوصيل والتواصل بينه وبين المتلقى دون خطابية، متخذا من الوسائل الفنية اللغوية وغيرها سبيلا لانجاز هذه الغاية، التى تتضح من خلال صياغات تشكل الروح الإسلامية جوهر الفكرة فيها، كما تمثل الألفاظ ذات الصبغة الاسلامية كثيرا من جوانب هذه الفكرة، ويمكن أن يكشف عن ذلك هذه العناصر الفنية : ـ

أولا : موسقة الفكرة :

وأعنى بها التلاؤم بين الفكرة المعبر عنها وموسيقيتها، حيث يمكن ملاحظة أن هذه المجموعة الشعرية بتنوعها الموسيقى، وسيلة من وسائل الهمس الذى يمكن أن يجلى الاحساس بقيم الدين ومثله، وتعد هذه الوسيلة امتدادا لأثر الرمزية فى الشعر، وتتصل بدور الموسيقى فى جلاء الفكرة المتناولة عن طريق الايحاء بها، من خلال توظيف أشكال موسيقية قد تكون قرينة بمستويات شعورية معينة، فإذا ما واكبتها الصياغة اللفظية كان ثمة إيحاء بالفكرة، يبعد عن

الـرتـابـة والمباشـرة، برغم ما قد يكـون من تقليـديـة فى الشكـل المـوسيقى . . ويمكن أن يتضـح ذلك من النظر إلى قصيدتيه «دعوة» ص ٩ و«غـربـة الروح» ص ٤٠ . . ففى الأولى دعوة إلى الانطلاق والتمتـع بالحيـاة، والثانية حنين للوطن وتوق إلى رحاب الوحى فيه، وولوع بصفاء وخشوع هذه الرحاب، وشعور حاد بالاغتراب فى البعد عن هذه البقـاع المقـدسـة، فى القصيـدة الأولى انطـلاق وخفة ومرح وفتون، وفى الثانية، تؤدة ورزانة وحنين وتطلع إلى الربوع المقدسة، من ثم كانت المـوسيقى فى الأولى قصـيرة النغـمات سريعـة الحـركـة لتـوحى بجـو الانطـلاق والخفـه والمـرح. حتى وهـويثـور على واقعة المنطوى حيث يقول:

فلماذا أعـيش منطـويـا
أجـتر همومـى وشـجـونـى؟
فالأرض تدور من أزل
بوجـودى حتـما . . وبـدونـى

وليست هذه الثورة شكا بقدر ما هى بحث عن اليقين. ثم ينتقل إلى الحديث عن ذلك العصفور الفاتن الذى يدعوه إلى الإقبال على هذه الحياة فيقول:

عصـفـور لم يعـرف يومـا
طعـما لشـقـاء ملعـون !!
يحيـا بغـرام . . للديـنـا
بحـرارة شوق . . وجـنـون !!

بينما المـوسيقى فى الثـانيـة عكس ذلـك تماما نغمات طويلة ممتدة، هادئـة، تتسـع للتعبير عن مشاعر القلق والحنين، والتأمل المقارن بين نفـوره من عالم الغـرب الغـريب اللاهى، العابث فى نظره، وبين توقه إلى ربوعه المقدسة الصافية الخاشعة، ولاشك أن مرد ذلك إحساس

دينى غامر مرتبط بهذه البقاع المقدسة، يغمر نفس الشاعر، وهو يستعصم به أمام زيف واقعه، كما ينعم بالركون إلى ظله فرارا من هجير اغترابه . . . لذلك يقول:

فالرؤى أحلى الرؤى فى خاطرى
بين محراب . . ومثوى لشفيعى !!

ليت لى ألف جناح أمتطى
لرحاب الوحى، والمجد الرفيع (١)

إلى أن يقول عن عالم الغرب :

عالم رغم ابتسامات الغنى
جائع فيه الغنى . . . . أى جوع
غاب عنه الروح . . فى لذاته
بين عطر وارتعاشات شموع
يابلادى إن . . أكدار الدنا
ذكرتنى كل صفو فى ربوعى !!

أما كيف واكبت الصياغة الموسيقى ليتضاعف الاحساس بهمسه ورؤاه، فلعلنا نلاحظ أن مع النغمات القصيرة السريعة المنطلقة فى قصيدته الأولى «دعوة» كان توظيف الشاعر «للعصفور» رمزا للانطلاق وخفة الحركة ، ومايرتئية الشاعر من رغبة فى الإقبال على الحياة، وجعله هذا العصفور هو الذى يدعوه إلى ذلك الإقبال، ومن ثم فقد أخذ يعكس عليه تطلعاته ورغائبه . . بل ويقارن بين انطلاق

---

١ ـ المجموعة ص ٤١

العصفور من ناحية ومركزه كإنسان فى هذا الوجود، ومدى أثره فيه من ناحية أخرى . . كما ساهمت مجموعات الألفاظ : مرح ـ مرج ـ فتون ـ سرور ـ براءة ـ حرارة ، شوق. فى التعاون مع الموسيقى على إبراز موقف الشاعر الوامق إلى الحرية والانطلاق.

وهو ليس انطلاقا أهوجا، إنما يحدده فكريا وفنيا مسلك الشاعر فى هذه القصيدة الثانية «غربة الروح» . . بل ومعظم قصائد هذه المجموعة الشعرية . .

ولعلنا ندرك ذلك من مراجعة سريعة لبعض تعبيرات الشاعر فى هذه القصيدة «غربة الروح» مثل : روحى ظمئت لابتهالات ـ (روضة) وهى بين قوسين ليربط بينهما وبين «مثوى لشفيعى» ﷺ فى البيت التالى لها مباشرة، وهكذا تتصل العبارات والألفاظ ، كاشفة عن منزع الشاعر الروحى ولهفته الوامقة إلى الرحاب المقدسة، وتطلعه لشفاعة رسول الله عليه الصلاة والسلام، فتتآزر صوره، وعباراته، والشكل الموسيقى على نقل توهجات روحه فى همس يؤكد ولاءه لدينه الاسلامى ومقدساته.

ثانيا : التقابل . . والمعاناة:

وأعنى بالتقابل الجمع بين المتناقضات، التى تحتك فى قصيدته كاشفة عن تكنيك الشاعر فى صياغتة للهمس مجليا إحساسا دينيا قويا، فهو مثلا فى قصيدته «ظلمة الغاب» يرفض الوجود رفضا عدميا عنيفا، عندما يستشعر غربة فى تيه عماء، وهو مسلوب الإرادة، غارق فى شقاء غير محدود ، لكن هذا العنف لا يتراءى إلا من خلال الهمس الناجم عن التقابل والمعاناة لقضايا الوجود والعدم، عندما يتصل القسر بالاختيار ، والحياة والانطلاق بالقيود ، والقتاد بالورود، والظلمة بالطريق ، والخير بالشر، والمباد بالمبيد، والطارف بالتليد، والزوال بالعودة، والكمال بالفناء فتتجلى حيرة الشاعرة الميتافيزيقية، كاشفة عن موقف المعاناة لمتناقضات هذا الوجود، ووقعها القوى على نفسه.

وبرغم أن هذا الموقف قد يبدو تقليديا إذا ماتذكرنا مثلا أبا العلاء المعرى فى رثائه لأبى حمزة الفقيه، فى قصيدته التى مطلعها:

غير مجد فى ملتى واعتقادى
نوح باك ولاترنم شاد (١)

حيث يعتمد أبو العلاء على التقابل أيضا، لكن الأسلوبين مختلفان متمايزان حيث يظل أبوالعلاء يتناول القضايا من الخارج أومن بعد، بينما مقبل العيسى يعايش هذه التناقضات، وتمتزج بوجدانه، وتصبح ذوب حياته، بل وتنوء بها نفسه، كما يعقد بينهما اتصالا قويا، وبينما متناقضات الوجود تظل منفصلة غالبا فى أبيات أبى العلاء فهى تبدو متصلة غالبا عند مقبل العيسى، ويصبح لمس هذه المتناقضات وإبرازها مصدر الحيرة الميتافيزيقية لدى الشاعرين، كما يصبح الانفصال بينهما مجليا لأسلوب أبى العلاء فى هذه القصيدة، وفى نفس الوقت يكشف الاتصال بين هذه المتناقضات عن الهمس لدى مقبل العيسى فى مجموعته.

وليس معنى ذلك تفضيل مقبل العيسى على أبى العلاء المعرى بأى وجه من الوجوه، كلا، ولكننى أقرر أن لكل من الشاعرين مسلكه الخاص فى تناول وصياغة موقفه من قضايا الوجود والعدم، ولذلك جاءت أبيات أبى العلاء مقدمة لرثائه فى أبى حمزة الفقيه، بينما هى لدى مقبل العيسى قصيدة مستقلة، وفى الوقت الذى استغرقت الحيرة الميتافيزيقية أبا العلاء حتى خلص إلى رثاء صاحبه بعد أن وعظ بقوله:

خفف الوطء ما أظن أديم الأرض إلا من هذه الأجساد

وإلى أن يقول:

ضجعة الموت رقدة يستريح الجسم فيها والعيش مثل السهاد(١).

---

١ ـ أبو العلاء المعرى. سقط الزند. السفر الثانى، ج ٣، ص ١٩٧٩ ط. الدار القومية للطباعة والنشر ١٣٩٦ هـ/١٩٤٧م.

فإن مقبل العيسى آب فى النهاية إلى رب الوجود مستعصما بقدرته سبحانه وتعالى على البقاء والدوام. وهكذا ينعقد الاتصال بصورة أخرى بين متناقضات الوجود مجليا للهمس عند مقبل العيسى؛ لأنه إذا كان الصراع دائرا بعنف بين الخير والشر، وإذا كان هناك موت وفناء يلتهم كل شىء، فهناك ميلاد جديد كل يوم، وإذا كان كل شىء فى النهاية إلى زوال فهناك حقيقة الحقائق، والباقى دائما ألا وهو رب الوجود سبحانه وتعالى. يستعصم به الانسان ويعتمد عليه «هو خير حافظا وهو أرحم الراحمين»، فتشرق فى النفس الطمأنينة، وتغمرها السكينة.

يقول فى نفس قصيدته «ظلمة الغاب» : ـ

فالأكاليل هل وفت للملوك والثمانون هل زهت للبيد؟؟
كل شىء إلى زوال . . وإن عاد رؤاه . . وظله من جديد!!
كل شىء إلى زوال ولكن يعقب الموت صيحة لوليد!!
إن تبدى إلى العيون كمال سوف يفنى كخمرة العنقود!!
جوهر واحد مدى الدهر يبقى هو معنى البقاء . . رب الوجود!!(١)

هذا برغم ما يمكن أن يلمح من تأثر مقبل العيسى بأبى العلاء المعرى فى المنزع الفكرى، وتشكيل الأبيات وزنا وقافية، وتوظيفه للموروث الدينى ولكن أحدهما آثر الخطابية والآخر آثر الهمس، وربما كان مرد ذلك الايثار اختلاف العصور، والمؤثرات الحضارية فى كل منهما، فضلا عن كون الخطابية والهمس أسلوبين فى الكشف عن الانسان ومايبدعه.

---

١ ـ السابق ص ٨

ويتضاعف الاحساس بهمس الشاعر عندما يوظف الموروث الدينى فى الكشف عن غربته، باتخاذه غربة سيدنا صالح فى ثمود، نموذجا يعكس عليه ماينوء به من إحساس بالغربة والاستلاب فى عالمه المتناقض، مما يجعل المتلقى يستشعر إحساسا دينيا، يتردد صداه داخل النفس وليس خارجها، فيتأكد الهمس الذى أعنيه، كما يتأكد التواصل والتوصيل المبتغى بين الشاعر ومتلقيه، يقول:

فكأنى أعيش فى هذه الدنيا غريبا كصالح فى ثمود (١)

ثالثا: محاولة استثمار العلاقات اللغوية التقليدية فى إخصاب المعنى:

وبرغم مايستشعره مقبل العيسى من غربة فى هذا العالم، ومع هذه الجهامة التى يمكن أن تتراءى فى بعض قصائده(٢)، فهو لم يتنكب طريق الحق، ولم يتزعزع إيمانه، ولم يفارقه الوازع الدينى اليقظ، لذا نجده يتخذ - فيما يتخذ من وسائل للكشف عن ذلك - بعض العلاقات اللغوية التقليدية كالتقديم والتأخير مثلا، لكنه يجعله متعدد الألوان والدلالات، فيمكن أن يقدم «لي» الدالة على التملك والتمكن ليؤكد نقاءه، وخلوصه للاستقامة، وتحديه لارادة الشر، وقد يقدم نفس الجار والمجرور «لي» بدلالته مجليا لاعتزازه بإيمانه واعتصامه بما هو حق وعدل حيث يقول فى قصيدة له بعنوان «لاتعجبى»:

---

١ - السابق ص ٧

٢ - كما فى قصيدته «تحية لتونس» التى قالها سنة ١٩٦٥ فى ذكرى أبى القاسم الشابى ص ١١، وكقصيدته «نجوى القلب» ص ٣١.

تبت يدى إن لا مست لى صبوة يمناى . . أو قتل الظما لي مذهبى
لى من صفات المؤمنين شمائل لسوى طريق الحق لم تتعصب (١)!!

وتكشف الصياغة عن مقدرة العيسى على تحرير المعنى ودقته، خلال لفظ رشيق أنيق كما فى (لامست ـ مذهبى).

وقد يقدم كلمات بوضعها فى غير موضعها بحيث يفجأ المتلقى بدلالتها المفردة التى توحى بالميل والانحراف، لكنها لاتلبث أن تتبدل فى ضوء علاقاتها الجديدة بما حولها من ألفاظ، فبرغم استخدامه للفظة «الزيف» مثلا فى أول البيت، لكنها سريعا وفى ضوء علاقاتها الجديدة تصبح مؤكدة لارادة الصمود ضد الشر . . والاستعصام بالحق والصلابة فى الثبات عليه، وهو لايقدم هذه المعانى فى تقريرية وخطابية ومباشرة، وإنما يصوغها فى خيال مجنح، وصور مفعمة بالدلالة، وأناقة فى التعبير إذ يقول فى نفس القصيدة:

فالزيف عند تقرب لم أقترف والحرف عند تملق لم أصلب!!(٢)

من هنا تصبح مطالع الأبيات غالبا كاشفه عن إسلامية مثله، وأثيرية معانية لاسيما عندما تتابع الصياغة مجلية لخياله المجنح خلال صور متتابعة فيثرى إحساسنا الدينى بتلك المعانى والمثل كما يعمق من إدراكنا لهمس الشاعر، حيث يقول:

---

١ ـ ص ١٧ من المجموعة

٢ ـ ص ١٧

يكفى الضمـير الحـر . . ياأخت الشـذى
أنـى يد . . لم تدم جبـهـة كوكـب ! !
نفـح الـشـذى طبـع الـكـريـم فكفـه
لايـقـتـفـى طبـع الأذى . . والمخلب ! ! (١)

وفى كل ما سبق يستخدم مقبل العيسى النقط المتتابعة، ليس فقط ليسمح لتيار الوعى بالتدفق، ولكن لمضاعفة تمثل فكرته، والاحساس بعمقها.وهو مثلا قد يوظف التكرير، لكنك واجد مذاقا مختلفا للكلمة المتكررة فى كل موضع تأتى فيه، حاملة بصياغتها المتجددة، وعلاقاتها المتباينـة شحنـة من التأثير بالفكرة غير محدودة الأبعاد، تضاعف من همس الشاعر بقيمه،لاسيما وهويوحى بالعدل كقيمة روحية عليا، كما فى ختام قصيدته «نجوى للقلب» حيث يقارن بين هؤلاء الغارقين فى ماديـات الحيـاة، لايهـدأ ظمـؤهم إليهـا فى حقـد وظلم وشقـاء، ولا يتعظـون من عبرهـا، وبين موقفه هو، الراغب عن هذه الحياة الفانية برغم مافيها من متسع للجميع، ولكنه متعطش «للعدل» وامق إليه، وتصبـح هذه الكلمـة «العـدل» بعـلاقاتها اللغوية وبدلالتها وإيحائها البلسم لجراحات الحياة وغربتها فى نظره يقول:

فالـعـدل . . يا للعـدل من أنـشـودة
أرض تمنـت عزفـهـا وسـماء (٢) . .

فالبـدء بكلمـة «فـالعـدل» وبعـدها نقتطين متتاليتين توحيان بصمت طويـل يستعيـد فيـه تيـار الشعـور تدفقـه لتصور الايحاء بمدى تلهف الشـاعـر للعدل . . ، وأسفه العميق لافتقاد الواقعي إليه، ثم نجد أن هذه اللفظـة الأولى تتكـون من مقطعـين فإذا ما تكـررت صيغت من

---

١ ـ نفسه ص ١٧

٢ ـ المجموعه ص ٣٣

ثلاثة مقاطع «ياللعدل»، فتتضاعف ظلال المعانى، حيث إن المقطع الأول الزائد «يا» ينتهى بحرف مد، خلال نداء تعجبى، يستشعر المتلقى إزاءه فيضا من الأسف على ضياع العدل، واللهفة إليه، ومن هنا يتصل الحزن واليأس بالأمل والرجاء، عندما يصبح العدل أنشودة مأمولة تشرق فى كل البقاع والأرجاء، وتتجاوب أصداؤها فى الأرض والسماء.

رابعا : الرمز . . . والكلمات ذات الشحنة العاطفية :

ويجلى الهمس هذا الاحساس الدينى، حتى ولو كانت القضية المتناولة قضية جماهيرية حماسية، حيث يوظف مفردات اللغة توظيفا إنسانيا للتأثير فى المتلقى، بحيث يمس أعمق مشاعره، لتحقيق أكبر قدر من المشاركة الوجدانية بينهما، وعلى سبيل المثال عندما صدمت أحداث سنة ١٩٦٧ م. وجدان كل عربى، نجد شاعرنا يتحدث «إلى . . عائدة. .(١)» التى يمكن أن تكون بتنكيرها على هذه الصورة رامزة إلى كل شبر فى الأرض العربية التى احتلت، كما تصبح . . عائدة . . أختا له، فينا جيها، مبرزا شديد ألمه لما حل بها من «فقد وغربة» ومانزل بها من «يأس وثكل»، فإذا ما اقترنت هذه المفردات نفسها ـ بما تحمله من شحنات عاطفية ومشاعر ثرة ـ بندائه لعائدة «أختاه» فإنها تستثير أعمق المشاعر الانسانية للتعاطف مع هذا الوطن أو هذه الأخت، والعمل على خلاصهما. .

ومع هذا الهمس يستشعر المتلقى إحساسا دينيا قويا يتعمق داخله، لاسيما عندما يتخذ الشاعر من قسوة اليأس وفداحة الثكل مصدرا لهذه الخطوب الجسام، فيتجلى عجز المصاب وضعفه أمام مانزل به من محنة وابتلاء.

---

١ ـ أولى قصائد هذه المجموعة بعنوان : إلى عائدة . .

كما تتعاون حروف المد، بسماتها الصوتية على مضاعفة الاحساس بهذه المصيبة من خلال كشفها لألم الشاعر إزاء ما حل بصاحبته، إذ يقول:

أختـــاه . . !! ما أقســـاه من قدر
أن يفـقـــد الانـســـان من أغـلى !!
حسب القضـا . . أن تخسـرى وطنـا
فى غربـــة . . أو تفـقـــدى أهـــلا!!
حسب القضا. . . أن تصبحى هدفا
للبأس أو ليل الأسى، ثكلى !! (١)

ولعلنـا نلاحـظ أن الشاعر اعتمد على كثير من علامات الترقيم، بصـورة تكـاد تكـون مضطـردة فى النصف الأول من هذه القصيدة، كالنقـاط المتتـابعـة إيحـاء بالصمت، ليستعيـد تيـار الشعور تدفقه فى خفـوت، وكـاستخـدامـه لعـلامـة التعجب المـزدوجة، التى تتراوح دلالاتهـا بين الحسـرة والألم، والتى غالبا ماتأتى بعد حرف مد تعميقا لهذا الألم، وتأكيـدا للوعتـه، وهـو بكـل ذلك يضاعف من همسه بالغا أقصى درجة من التأثير فى متلقيه.

كما تصبـح «أختـاه» مشـيرة «لعائدة» الرمز لفظة محورية بندائها، ومـاتـرتبـط به من مجموعات لفظية؛ كاليأس والذل والألم والحث على تجاوز ذلـك وسيلة هامـة لاستثارة مشاعر المتلقى، وتحقيق مشاركته فى البحث عن الخلاص . .

وحتى وهو يتحدث عن موقف الخونة لأوطانهم ناعيا عليهم فقدهم لكـرامتهم، مجليـا لما ينـزل بهم من موت وذل، نجده يتجاوز الخطابية إلى الهمس من خلال نفس الـرمـز السـابق، حيث تصبـح الخيانة فى جبـين الـوطن «أنشـوطـة» محكمـة الفتل، فى مفرق «عائدة». من ثم يصبـح الجـزاء «الغياب عن دنيا الناس فى خجل» وبرغم مايمكن أن

---

١ ـ قصائد من مقبل العيسى ص ٣.

يوحى به هذا الغياب من معانى الموت والانتهاء وفقدان الحياة، وهو عقاب رادع . . لكنه يتم فى همس لاسيما عندما يتصل بالخجل حيث يقول:

أما الذى قد أبرمت يده
أنشوطة قد أحكمت فتلا
سترد شمس الحق طلعته
لتغيب عن دنيا الورى خجلى (١)

وانظر إلى كلمة الحق وماتزخر به من دلالة دينية يضاعف منها اقترانها بلفظة شمس فتجلى أثر التزام الحق الذى يدعم قضايا الأمة ونضالها فى مواجهة الخيانة والتآمر.

والرمز هنا ليس جزئيا بقدر ما هو كلى خصب، يتمدد فى القصيدة كلها، «فعائدة» الغارقة فى الدموع والثكل والعذاب وتقتيل أهلها، يمكن أن تكون فى نفس الوقت «حبيبته جميلة العينين . . القمر» وإن كانت تلك السمات العامة يمكن أيضا أن ترقى من وجودها البشرى المحدود لترمز إلى الوجود الروحى لأمته الاسلامية التى امتحنت فى أعز ما تملك. والتى تآمر الأعداء ضدها:

صونى جمال العين . . . ياقمرا
عيناه كالذات . . بل أحلى (٢)

من هنا فإن تكرار هذين السطرين قد يوحى بأن عائدة . . إنسانة حبيبة إلى الشاعر أيضا، ومأساتها مأساته، كما يمكن أن تكشف عن امتزاج ذاته بأمته الاسلامية، وهكذا يتسع مدلول «عائدة» بتضمنها

---

١ ـ السابق ص ٥

٢ ـ السابق نفسه

للرمز والحقيقة معا، مما يجعل توظيف الشاعر لها توظيفا مزدوجا مضاعفا للتأثير فى نفس المتلقى، دون خطابية.

أخـــيرا . .

وإذا كان الهمس هو الاتجاه الغالب على هذه المجموعة الشعرية فهو ملحظ يطالعك حتى فى قصائده الأخيرة، فى هذه المجموعة، برغم مافيها من تسطيح أحيانا، يجعلنى أعتقد أنها يمكن أن تمثل بدايات شعرية لمقبل العيسى، حيث لم يكن قد استقر بعد فى صنعته، وإنما هى خواطر شاب يحاول ارتياد هذا الدرب، وربما يتأكد هذا الزعم من ملاحظة أن الشاعر يكتب أبياته فى صورة سطور شعرية، مع أنها قد تلتزم وزنا واحدا خليليا، وقافية واحدة.

هذا، وبرغم الميكانيكية التقليدية لعلامات الترقيم، إلا أن الشاعر استطاع توظيف هذه العلامات توظيفا جيدا، تآزر مع وسائله اللغوية الأخرى فى إبراز همسه الذى يجلى لنا إحساسه الدينى . .

. . . . . .

فى القصة

فى القصـــة

ويمكننـا أن ننتقـل نقلة أخـرى إلى جنس أدبى آخـر ، لكنـه من أجنـاس الأدب المـوضوعية وهو القصة ، نلتمس فيها لمحات من أريج الاســلام ، لنجلى كيف يوحى هذا الفن ببعض قيم الاســلام ، بل وكيف تتشكل هذه القيم فى إطار فنى يضوع منه عبق الاسلام؟ هذا برغم الـدور الهـام والكبـير الـذى نجـده للقصـة فى القـرآن الكـريم والحديث النبوى الشريف . . وهناك دراسات كثيرة فى هذا الصدد(١) .

ولقـد أدرك رواد الاصـلاح فى مطالع عصر النهضة الحديثة ، أهمية القصـة كوسيلة لتنـويـر الجـماهير وهدايتها ، والأخذ بيدها نحو كل ما يحقق للأمة التقدم والفلاح ، ويمكن أن نلمح بدايات هذا الاتجاه فيما كان من قصص تعليمى آنـذاك ككتـاب «تخليص الابريز فى تلخيص باريز «لرفاعة الطهطاوى ، ورواية «علم الدين» لعلى مبارك(٢) .

---

١ ـ منها القصص القرآنى فى منطوقه ومفهومه ـ عبدالكريم الخطيب ـ دار المعرفة ، بيروت، ط ٢ ، سنة ١٩٥ هـ / ١٩٧٥ م.

٢ ـ نظرات تحليلية فى القصة القرآنية ـ محمد المجذوب .

٣ ـ القصص فى الحديث النبوى ـ محمد بن حسن الزبر، ط ١ ، المطبعة السلفية، القاهرة سنة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨م.

٤ ـ د . على عبدالحليم محمود. جمال الدين الأفغانى والاتجاهات الاسلامية فى أدبه ص ٥٩٦ : ص ٦٠٤ .

وعلى سبيل المثال كان جمال الدين الأفغانى من هؤلاء الرواد الذين أدركوا أثر القصة فى مجال دعوة الإصلاح وشجعوا عليها، وليس إهداء محمد المويلحى لحديث عيسى بن هشام، للشيخ جمال الدين إلا لونا من ألوان إذكائه لهذا الاتجاه(١)، وحثه عليه.

وكذلك كان الشيخ محمد عبده يحث على تأليف الروايات ذات المضمون الإسلامى، وقد كانت روايتا «ضيف الرسول عليه السلام» و «باب القمر» وهما لابراهيم رمزى استجابة لهذه الدعوة(٢).

كما نجد سيد قطب يدعو إلى نفس هذا الاتجاه الروحى، وبعث أصالتنا حيث يقول: «إننا نقصر فى حق أنفسنا، وحق آدابنا، وحق مشاعرنا الأصيلة حين نتوجه بالنقل والترجمة دائما إلى المكتبة الأوروبية، ونهمل التوجه إلى الشرق: الشرق العميق الأصيل ذى النكهة الروحية والعطر الشذى»(٣).

وقد ازداد هذا الاتجاه نموا فى سبعينيات هذا القرن العشرين بفضل ازدياد الوعى، والاحساس القوى بالحاجة إلى قيم الإسلام كمرفأ يأوى إليه حيارى العصر يلتمسون فى كنف مثله الطمأنينة والراحة، ويتفيأون فى ظل مبادئه الأمن والاستقرار، وقد ساعد على ذلك تعدد المجلات الإسلامية التى تحتفى بمثل هذا النتاج، بل وتشجعه وترعاه بجعل ركن خاص له فيها، نجد ذلك واضحا فى مجلات مثل «المسلمون» التى تصدر من لندن، و«المجتمع» التى تصدر فى الكويت، و«الدعوة» سواء التى تصدر بالقاهرة أو الرياض، على تباين فى درجة ذلك بين هذه المجلات ونظائرها.

---

١ ـ انظر السابق ونفس الصفحة

٢ ـ انظر ابراهيم رمزى ضيف الرسول ﷺ ـ تحقيق وشرح وإعداد عبدالعزيز توفيق جاويد، ط. الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٦ م، ص ١٧.

٣ ـ أحمد عبدالغفور عطار «أريد أن أرى الله» ـ ط. دار ثقيف ـ الطائف ـ ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م. ص ٩ حيث قد كتب سيد قطب مقدمة لهذه المجموعة القصصية.

هذا بالإضافة إلى كثرة المطابع التى يسرت ظهور عديد من المجموعات القصصية كمجموعات محمد المجذوب «قصص لاتنسى» والتى منها «دماء وأشلاء»(١) و«بطل من الصعيد»(٢) و «بطل إلى النار»(٣) وهى مجموعات تستهدف خدمة الخلق والفكر من خلال بعث قيم الدين الإسلامى، والايحاء بها كعلاج لما تعج به حياتنا من مشكلات اجتماعية، ودفع المتلقين بطريقة غير مباشرة ليلتمسوا فى الدين الحنيف مشعلا يضىء لهم ظلام الحياة، ويهديهم إلى سواء السبيل، كما يوحى بقضايا الحاضر من خلال بعث الماضى بإشراقه للإرهاص بالتغيير.

وليست مجموعة «قصص من التاريخ» للشيخ على الطنطاوى (٤) إلا تأكيدا لهذا الاتجاه حيث يحاول فيها التقاط مواقف للمسلمين الأوائل تنبىء عن عظمتهم، ثم يمزجها بخياله ومايصوغه من أحداث قد تأخذ سمة الواقع، فيتواكب الجانبان التاريخى والواقعى فى الكشف عن عظمة الأوائل، ومايتمتعون به من قيم جديرة بأن تنهض بالواقع المعيش، كما فى قصته «ابن الحب» وهى إحدى قصص هذه المجموعة، بل قد نجده أحيانا يستخدم الصيغة التراثية كما هى، فتضفى على أسلوبه إشراقا وبهاء وهو يشير إلى مايستخدمه على هذا النحو بأمانة، حيث يذكر مصدره ورقم الصفحة فيه.

---

١ - سوف نقدم فى الصفحات القادمة تحليلا لقصة منها.

٢ - محمد المجذوب - بطل من الصعيد - ط . مكتبة الرياض الحديثة ١٣٩٧ هـ/١٩٧٧ م

٣ - المؤلف نفسه «بطل . . إلى النار» «دار الاعتصام - القاهرة ط ٣ سنة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨.

٤ - على الطنطاوى - قصص من التاريخ - ط . المكتب الاسلامى.

وأيضا مجموعات محمد حسن الحمصى «قصص من التاريخ» والتى منها مجموعة «فأين الله»(١)، وكذلك مجموعة «أم . . لا كالأمهات»(٢) وإن كان اتجاهه يغلب عليه الجانب الوعظى.

وهناك مجموعات قصصية تتجه اتجاها آخر مثل مجموعة الدكتور مجاهد الصواف «أعلى الخمر أفطر»(٣) التى تشكل أبعادها تجربته فى بلاد الغرب، حيث لايعتمد على التاريخ وإنما يتعاطى الواقع المعيش، ومن خلال تناوله والنفاذ إلى أعماقه بواسطة عرض موقف حياتى بسيط، يشكل الواقع أبعاده الزمنية والمكانية، تتضح مشكلة فى اتجاهها نحو الأزمة ولا حل إلا بالإيمان بقيم الاسلام، الذى يوازن بين مطالب الإنسان المادية وحاجاته الروحية، ويعترف بهذه، كما يؤمن بتلك، بل إن هذا الحل هو الذى ينسجم تماما مع تطور الموقف، ويكون هو النهاية التى عندها تستريح نفس المتلقى، بعد أن ارتبطت به خيوط المشكلة، وعلى سبيل المثال نجد أن قصته «اعترافات صديق»(٤) تكشف عن حيرة قسيس كاثوليكى، ولاسبيل لتخلصه منها إلا بالزواج ـ المحرم عليه ـ والتمتع بمبادئ الإسلام فى ترقية الروح، وتلبية مطالب الجسم المعتدلة.

وفى قصته «رحلة فلسفية»(٥)، يكشف عن خواء الغرب الغارق فى المادة، وسطحية معتقداته، ولاسعادة للإنسان إلا بالايمان بالغيب والروحانيات والاعتراف بالله القوى القادر.

وفى قصته «مشكلة فى مطار لندن»(٦) يعمق من اتجاهه فى القصة السابقة، حيث يكشف عن الإيمان بأن «ماء زمزم لما شرب له» . . وهو وراء كل هذه القصص يدعو إلى أن يوفق الله جامعاتنا الاسلامية

---

١ ـ محمد حسن الحمصى ـ «قصص من التاريخ» فأين الله ـ ط دمشق.

٢ ـ المؤلف السابق نفسه «أم . . لا كالأمهات» ط ٢ دار الرشيد

٣ ـ د. مجاهد الصواف «أعلى الخمر أفطر» ط ١، سنة ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨ ـ دار الاعتصام ـ القاهرة.

٤ ـ السابق نفسه ص ٩ ٥ ـ السابق نفسه ص ١٧

٦ ـ السابق نفسه ص ٢٩

لتمنح كل الشهادات، وليدرس الدراس فى بلاد المسلمين . . بعيداً عن أرض المحنة . .»(١) فيتجلى من وراء كل ماسبق قيمة الاعتصام بالدين الإسلامي وقيمه فى المنهج والسلوك ، وأن الحياة السوية هى التى ترتوى برواء الاسلام، وهى التى أرادها الله سبحانه وتعالى لعباده «صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون»(٢).

وإذا كانت هذه النماذج السابقة تثبت وجود الأدب الاسلامى كظاهرة، فهى لم تقدم بعد المستوى الأمثل له.

الرواية

أما الرواية فهى قليلة بالنسبة للقصة القصيرة، وإن كان يتوزعها عدة اتجاهات منها:

أولا: قصص السيرة النبوية الكريمة حيث قد استهوت سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام ـ كتاب القصة، كما استهوت خيال الشعراء من قبل، من ثم وجدنا من يوظف بعض معطياتها فى شكل قصصي روائي، يستهدف بعث الأمجاد كنماذج مشرقة يسترشد بها الحاضر، مثل «على هامش السيرة» للدكتور طه حسين، التى أكسبها بصياغته وأسلوبه المتميز كثيرا من السمات الفنية التى حاولت تطويع الشكل القصصى للسيرة النبوية الكريمة، فأسهمت فى ميلاد أعمال تحاول صياغة هذه السيرة العطرة صياغة أدخل فى الشكل

١ـ السابق نفسه ص ٦

٢ـ سورة البقرة آية ١٣٨ .

الروائي مثل «نور الله» لنجيب الكيلانى وهى فى جزئين(١)، ويتميز فيها الحدث بالوحدة، كما يحاول أن يقدم خلاله انعكاسا نفسيا للأحداث الضخمة ، فيكشف عن طهر النفوس المؤمنة، وما تموج به النفوس الشريرة من الكفر، لذلك فهو يعنى بالتحليل النفسى للشخوص لإبراز التوترات، والقلق الخالد والإيمان الصامد. كما يرتكز على الصراع الدامى الذى خاضته الدعوة الإسلامية ضد اليهود والمنافقين، وهو بذلك يوحى دون مباشرة بكثير من جوانب الواقع الذى نعيشه فى موقفنا من اليهود وماذا يجب علينا فى هذا الصدد ، بجانب كشف كثير من جوانب عظمة الرسول عليه الصلاة والسلام، وما يتمتع به صحابته رضوان الله عليهم من حميد السجايا، وهم نماذج جديرة بالاقتداء. لاسيما ونحن نفتقد القدوة الصالحة التى يمكن أن تثرى وجدان الفرد والأمة.

وفى هذا الاتجاه أيضا نجد روايته «قاتل حمزة»(٢) التى تعرض للظروف والملابسات التى قتل فيها وحشى حمزة ـ عم الرسول ـ رضى الله عنه، ويتتبع هذه الشخصية مجليا لأبعادها، حتى أسلم واشترك فى حرب الردة وقتل مسيلمة، وخلال ذلك يبرز بعض مواقف الرسول ﷺ منه، وكيف كان إسلام وحشى عاصما له من كل شر، وإن ظل طول حياته أسيرا لاحساس رهيب بالذنب الذى ارتكبه شكل كل سلوكه منذ أن أسلم فى هذه الرواية.

---

١ ـ نجيب الكيلانى ـ سلسلة روايات الدعوة الاسلامية ـ نور الله ـ ج ١ ، ج ٢ ـ ط . مؤسسة الرسالة، ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥.

٢ ـ نجيب الكيلانى ـ قاتل حمزة ـ ط ٢ ، ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م. مؤسسة الرسالة بيروت.

وثمة اتجاه ثان يركز على مواقف الشخصيات الاسلامية القيادية التى برزت خلال مواقف التحول فى تاريخ الاسلام، كموقف تعرض العالم الاسلامى لغزو التتار، حيث يتجلى الدور الذى قام به سيف الدين قطز كما فى روايتى «وا إسلاماه» لعلى أحمد باكثير(١)، و«قاهر التتار»(٢) لمحمد لبيب البوهى، حيث تعرضان للفترة التى تعرضت فيها بلاد المسلمين لهذا الغزو، حيث كانت وحدة المسلمين وإخلاص قيادتهم السبيل إلى التصدى لهذا الغزو، على اختلاف فى تفاصيل الحدث والشخوص الموظفة، وجوانب الصراع النفسية والمادية بالنسبة لهذه الشخوص، كما تكشف مثل هاتين الروايتين عما ينقص المسلمين اليوم من اتحاد وتآزر كعلاج لواقعهم، وحتى يعودوا أقوياء كما كانوا، وتنبىء رواية باكثير عن تمرسه بهذا الاتجاه.

وهناك أيضا فى هذا الاتجاه الذى يوظف فيه الشكل الروائى كثيرا من معطيات التاريخ الاسلامى عمل الدكتور عبداللطيف حمزة: «صلاح الدين بطل حطين»(٣)، وهو ليس رواية بالمعنى الفنى، حيث يغلب عليه جانب السرد التاريخى، أو السيرة الشخصية لهذا البطل، لاسيما وهو يتتبع بعض الأشكال الفنية التى حاولت إبراز قصة هذا البطل فى الآداب الأجنبية كالأدبين الفرنسى والانجليزى.

---

١ ـ على أحمد باكثير وإسلاماه دار الكتاب اللبانى بيروت.

٢ ـ محمد لبيب البوهى ـ قاهر التتار ـ الكتاب الماسى، ط. الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة.

٣ ـ د. عبداللطيف حمزة ـ «صلاح الدين بطل حطين» ط. دار الفكر العربى، القاهرة سنة ١٩٧٢ م.

وهناك اتجاه ثالث يحاول أن يقدم حياة الزهاد فى شكل روائى يجذب عقل القارىء ووجدانه، كما فى «عذراء البصرة»(١)، التى تتناول حياة رابعة العدوية وعزوفها عن الدنيا وخلوصها إلى حب الله، ويلاحظ عليها أن العناية بالألفاظ تنافس البناء القصصى فى هذه الرواية.

أما رابع هذه الاتجاهات الروائية، فيتمثل فى التعامل المباشر مع قضايا المسلمين اليوم، ومحاولة كشف كثير من جوانب صراعهم العقيدى ضد أعداء الاسلام كرواية «عمالقة الشمال» لنجيب الكيلاني(٢)، حيث يعرض لموقف الاسلام اليوم من المبشرين بالمسيحية، ويتخذ من نيجيريا بإفريقيا مجالا لعرض هذا الموقف، الذى يتضح فيه حقد هؤلاء المبشرين على الاسلام، ولجوئهم إلى أية وسيلة للحد من المد الاسلامى العظيم، حتى ولو كلفهم ذلك التآمر والهبوط إلى أحط المستويات الأخلاقية كالقتل مثلا، كما يبرز الاخلاص النقى الطاهر لدعاة الاسلام وحبهم لتقدم الشعوب ورفاهيتها.

وثمة قضية هامة فى هذا الصدد، يستثيرها ارتكاز كثير من القصص ذات الاتجاه الاسلامى على التاريخ، والذى لا شك فيه أن التاريخ الاسلامى يمكن أن يمد الكاتب بمادة تصلح لبناء القصة الإسلامية، لاسيما وتاريخ الاسلام حافل بمواقف البطولة والاخلاص، ونقاط التحول، لكننا نحب أن نشير الى موقف الكاتب من التاريخ بصفة عامة؛ فهناك من يرى وجوب التزام الكاتب بأحداث التاريخ، يقابل ذلك رأى من يرى حرية الكاتب فى التغيير طالما أن وراءه هدفا إنسانيا، ويمكننا أن نضيف إلى ذلك

---

١ ـ ابراهيم الابيارى «عذراء البصرة» .. ط . مكتبة الآداب، القاهرة.

٢ ـ نجيب الكيلانى «عمالقة الشمال» مؤسسة الرسالة ـ دار النفائس، ط ٢، بيروت، سنة ١٩٧٤.

وله أيضا فى هذا الاتجاه من الروايات المعاصرة: ليالى تركستان، عذراء جاكرتا، رمضان حبيبي.

شرطا مهما هو ألا يغفل هذا التغيير سلوكا إسلاميا، وألا يتجاوز عقيدة، وألا يصادم الفطرة، وهو ماسبق وأشرنا إليه فى مطالع هذه الدراسة.

وهذه الصياغة القصصية للتاريخ هى التى تشكل فارقا جوهريا بين التاريخ كعلم وبين توظيفه فى أشكال قصصية تتجاوز السرد التاريخى إلى الكشف عن التوترات النفسية ورسم الشخصيات بما يكشف عن جوانب عظمتها ، ومحاولة الربط بين الماضى والحاضر دون مباشرة أو خطابية أو وعظ أو تسطيح للأحداث والشخوص كما يفعل التاريخ.

والأمل كبير أن يزدهر القصص الاسلامى كما وكيف ، لاسيما وهو يتوخى الدعوة إلى الله ، ويتغيا بعث الحياة الاسلامية قوية كما كانت، وسوف يجد القارىء إن شاء الله فيما يلى محاولة لتحليل قصتين قصيرتين فى ضوء مانتغياه من بعث لقيم الاسلام ومثله، واستجلاء لمحاولة القصة أداء دورها فى الدعوة إلى الله، إضاءة للحاضر، وتمثلا للماضى، واستشرافا لمستقبل مشرق بهدى من نور الله وتوفيقه.

عرض وتحليل لنموذجين
من القصـة القصيرة

١ ـ الأخضـــر لمحمد مستجاب

٢ ـ دماء وأشـلاء لمحمد المجذوب

القصة والأعراف الإسلامية

الأخضـــر : قصة قصـــيرة (١)

«إياكم أن تدوسوا النبت» وتلاحقت كلمات الأمر وتسامت، ثم لم تلبث أن صكت آذان الفرسان، انتقلت بأصوات رفيعة وغليظة، وانتشرت فى صيحات وهمسات، فتباطأت خيول المقدمة، ثم تبطأت خيول الأجنحة، ثم تآكلت الحركة كلها واستحالت سكونا، ولم يبق فى الجو سوى الغبار وبقايا الأمر:
«إياكم أن تدوسوا النبت»

- ١ -

كان النبت قد استحوذ على بقعة صغيرة وسط الرمال، أخضر هزيلا ناعما مسترخيا فوق البشرة الكالحة للصحراء، متموجا فوق الأديم المتغضن كابتسامة طفل فى صباح مبكر، حوض متآكل الأطراف، والرمال تترصده كأنها تأبى أن ينمو الأخضر فوق الأصفر، وفى الوسط وبين فسائل نخيل - هزيل أيضا - كانت ثلاثة أحجار تحتضن عين ماء، وعلى مسافة أذرع قليلة بناء صغير لا نوافذ له مرتكز على بدايات الرمال، . . . وكان الباب مفتوحا.

---

١ - بقلم محمد مستجاب مجلة المسلمون العدد السابع ١٥ صفر سنة ١٤٠٢ هـ، ١١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨١م.

- ٢ -

«إيـاكم أن تدوسـوا النبت» وترجل أحد الفرسان، قفز في نشاط لم يخل من إعياء، وتكأكأ الفرسان خلفه وهمحمت الجياد فبدأ الغبار من جديـد يتصـاعـد، فقفـز خلف الفـارس ثلاثة أو أربعة فرسان، كان النبت الهـزيـل يتـماوج في نسمـة الصباح، لكن الغبار اجتاح النسمة حينما سار الفارس، سار محاولا أن يتلمس بأقدامه بقعا لا نبات فيها، وكـان واضحـا أنه يعانى، وأن اجتياح الصحراء على ظهور الجياد قد ترك أثـره في حركـة الفارس على الأرض، حتى إن الفارس أثناء نقله قدمـه من بقعـة لبقعـة كاد يسقط، ضحك الفرسان خلفه، وضحك الفرسان في الجيش كله، وظلت الضحكات تتناثر حتى قطعها الأمر: «إياكم أن تدوسوا النبت».

- ٣ -

ظل الفرسان يجوسون البقعة الخضراء ذات السيقان الهزيلة لقمح وشعـير، والجيش واقف على أطـراف البقعـة، والمنزل الصغير الذى يخلو من النوافذ مفتوح الباب، والبئر تحتمى بالأحجار الثلاثة، وصاح أحد الفرسان علَّ أحدا يجاوب، لا أحد، بحث حول البئر كي يعثر على البكرة أو إناء رفع الماء: لاشيء!!

وبـدأت عيون الفرسان تمسح المكان، التلال الصامتة ترقد خاملة على الـرمـال، سحب متنـاثـرة تركض شمالا فى اتجـاه رائحة البحر، وغبـار انعقـد بعيدا عن بقايا حركة الجيش وبين الحين والحين يحمحم جواد فتتردد حمحمة بين الجياد. ويعود الصمت.

- ٤ -

(هذا مكان يصلح للصلاة والراحة)

وقبل أن تتلاشى كلمات القائد أتبعها بسرعة : (إياكم أن تدوسوا النبت) . فتراجعت الخيول المقدمة على الحركة، وبدأت تستدير كي يتخفف الفرسان، وترجل الجيش حول البقعة الخضراء، وبدأت جمال المؤخرة بأصواتها، وفي وقت قليل كان الجيش كله قد استرخى صانعا دائرة ضخمة تشغى بالكلام والتساؤ ل، وكان النبات الصغير قد بدأ يستعيد خضرته، فتمايل سعف فسائل النخيل مبشرا بعودة النسيم .

- ٥ -

ظل الفارس يجوب البقعة، لا أثر لأحد، عاد إلى البئر فأمعن فيها صاح طالبا أدوات السقاية، تقافز جنديان من وسط الجيش بيد احدهما بكرة وبيد الآخر إناء ذوحبل وماكادا يقتر بان من البقعة المخضرة حتى عاد الأمر:

«إياكم أن تدوسوا النبت»

حينئذ تلاشت القفزات واستحالت إلى مشية حذرة يتلمس كل منهما مكانا لقدمه بين النباتات الصغيرة . . وكاد يسقط أحدهما فاجتاحت الجنود ضحكات مرحة .

- ٦ -

حينما كان الفرسان يثبتون البكرة فوق البئر، والجيش يحيط البقعة كإكليل ضخم من بشر، تكونت في الأفق نقطة صغيرة سوداء شدت إليها كل العيون، حتى الذين يعالجون رفع المياه، وظلت النقطة تتوضح وتتدحرج بطيئة فى اقتراب ثم لم تلبث أن انفصلت إلى نقاط أصغر تزداد وضوحا كلما ازدادت اقترابا، حتى تحولت إلى رجل وامرأة وصبيتين وعدة عنزات فابتلع الجيش ضحكاته وبدأ السكون يعم المكان . . إلى أن وصل الرجل إلى حافة البقعة المخضرة وتقافزت العنزات بين الجياد.

أمعن الرجل فى كل الجيش، تلاصقت البنتان بالمرأة، ظل الرجل يمعن في الجيش كأنه يبحث عن شيء . . ثم لم يلبث أن خطا وسط الجنود ووقف أمام أحدهم وهمس بكلام لم يفهمه أحد، وتراجع إلى الخلف فسارت خلفه المرأة والصبيتان، وتقافزت العنزات، فقال أحد الجنود ماذا قال هذا الرجل؟ حينئذ وقف أحد أدلاء الجيش وصاح بصوت واضح:

هذا الرجل يقول انتم أول من جاء إلى هذا المكان دون أن يلمس الزرع.

- ٧ -

تابعت عيون الجنود الرجل والمرأة والصبيتين والعنزات، كان الرجل قد وصل إلى البقعة المزروعة وماكادت قدمه ترتفع تاركة الأصفر لتدخل الأخضر حتى صاح به صوت آمرا بكلام أيضا لم يفهمه أحد!! ثم لم يلبث الصوت أن تغير وصاح آمرا أيضا:

- أيها الرجل : إياك أن تدوس النبت!!

فضحك الجنود. وبدأت البكرة تسحب من جوف البئر مياها للشرب، وللوضوء أيضا . .»

* * *

تتخذ هذه القصة القصيرة من ذلك التقليد الاسلامي محورا لها، ألا وهو المحافظة على الزرع في البلاد التى يدخلها المسلمون، حتى إن ذلك أصبح عرفا إسلاميا درج عليه الرسول عليه الصلاة والسلام وصحابته رضوان الله عليهم ،فيلزمون به ،ويجعلونه فى مقدمة مايوصون به جند الاسلام. ومن هنا فقد جعلت هذه القصة الحرص على هذا العرف رمزا لقيمة إسلامية نبيلة، هى الحفاظ على الحياة ذاتها حية نابضة متدفقة، مهما كان شكلها وقيمتها، وهى هنا بقعة خضراء هزيلة وسط الصحراء، وتتجلى هذه القيمة عندما تعكس القصة إحساس الشخوص جميعا وهم يلتزمون بذلك العرف من خلال وقع عبارة محورية هى :

«إياكم أن تدوسوا النبت» يصدرها القائد فتستحيل سلوكا يلتزم وإحساسا تتفجر به مواقف هذه الشخوص، دون تقريرية أو مباشرة، ومن خلال لمح كاشف، تفيض به المفردات الموظفة في هذا البناء القصصي الزاخر بالحركة والمتفجر بالمشاعر الانسانية.

كما يصبح وقع هذه العبارة (إياكم أن تدوسوا النبت) مفتاحا لحركة الشخوص يستثير المعاناة عندما يلتمس الجنود طريقا لهم، بل ويستثير الضحك أيضا عندما يبلغ الحرص أشده في الحفاظ على الأخضر، فيوشك الفارس أن تضطرب أقدامه، ويوشك على السقوط، بل إن الحفاظ على الخضرة ليبلغ أشده في صورة أخرى عندما يوجه الجنود هذه العبارة إلى صاحب النبت نفسه، مما يوجد مفارقة تستثير الضحك.

وتتواصل القيم الاسلامية تأكدا في هذه القصة القصيرة عندما يتصل الحرص على خضرة الحياة بالحرص على أداء الشعائر لله، وهى هنا الصلاة، وبرغم ملاءمة هذا المكان الأخضر لأدائها فيه، لكن التحذير من أن يدوسوا النبت يعلو، ويكون السبيل التحلق حول النبت لأداء هذه الشعيرة.

والبعد الزمنى في القصة القصيرة قد تشكله لحظة من خلال لقطة، يمثلها هنا بحث الجنود عن الماء، لكن معطيات هذه اللقطة مكثفة بحيث تكشف عن واقع العصر الذى أخذت هذه اللقطة من أحداثه، هذه المعطيات هي خيول وجمال وفرسان وبئر وصحراء وجيش وقائد، مما يذكرنا بعصور الاسلام الأولى. أما البعد النفسى للشخوص فيشكله الاحساس بهذا الامر والحرص الشديد على الالتزام به، وهى شخوص غير محددة الدلالة برغم انتمائها التاريخى لعصور الاسلام الأولى، لأن القاص هنا يركز على القيمة الاسلامية، من خلال الحدث الخاطف واللقطة الكاشفة، لا من خلال ملامح الشخصية، إذا قد لايتيح له اللمح وتكثيف المعطيات في القصة القصيرة تعمق شخصية من الشخوص، بالاضافة إلى أن هذه الشخوص أصلا يجب أن تكون قليلة جدا في حدود ما يسمح به البناء القصصى فى القصة القصيرة.

والصياغة هنا تحاول تفجير طاقة الكلمات لتجسيد المشاعر من خلال توظيف دلالات الأفعال، فخذ لفظة «تآكل» وهى تصور تحول الحركة إلى سكون تام، إثر وقع التحذير « إياكم أن تدوسوا النبت » يقول: انتقلت بأصوات رفيعة وغليظة، وانتشرت في صيحات وهمسات، فتباطأت خيول المقدمة، ثم تباطأت خيول الأجنحة، ثم تآكلت الحركة كلها واستحالت سكونا)، كما يصف البقعة الخضراء قائلا: «حوض متآكل الأطراف، والرمال تترصده كأنها تأبى أن ينمو الأخضر فوق الأصفر . . » وانظر هنا إلى استخدامه للألوان لتجسيد الصراع بين الحياة والموت. وكذلك تصوره ليقظة الجنود وهم يرقبون الشبح البعيد الذى أخذت ملامحه تظهر رويدا رويدا وكيف استطاع تصوير ذلك باللغة الكاشفة.

وإذا كانت العبارة المحورية «إياكم أن تدوسوا النبت» تنداح خلال التشكيلات اللغوية مبرزة للحدث، فليس معنى ذلك أن هناك عقدة وحلا بالمعنى التقليدى، إذ يكفى هنا أن يكون هذا الانديا ح

للعبـارة المحـوريـة من أول القصـة إلى نهايتهـا مشكـلا لهذا البنـاء القصصى ، الـذى تحتـل فيـه هذه العبـارة الحـدث ، كما تصبـح هى العقدة ، وهى الحل وما أوقع بناء قصة قصيرة على هذا النحو، لاسيما وقد وفق الكاتب في إبراز قيمة إسلامية عليا من خلال ذلك .

وإذا كان الـبنـاء على هذا النحـو، فهـل تجاوزت اللمحـات الاسلامية فيه مجرد عرض القيم ؟ أعتقد أن توظيف هذه العبارة التى تحمـل هذه القيمـة الاسـلامية النبيلة ، على هذا النحو الذى شكلت فيـه البنـاء حدثـا وبـدءا ونهـاية وعقدة وحلا ، كما كانت مصدر حركة الشخـوص يمكن أن يحسب لهذا التـوظيف الاسـلامى للغـة في بنـاء قصة قصيرة .

القصـــة تكشف الفكر المنحرف

دمـاء وأشلاء (١) ـ لمحمد المجذوب

نمـوذج آخـر من النـماذج القصصيـة التى تحاول الدعوة إلى الله، موظفـــة لمعطيـــات الفكـــر الاســلامي، حيث ترتكـز على التـاريـخ الاســلامي خلال نسيـج قصصى يتغيـا هذا الهدف السامى. من ثم نجـد الكـاتب يستخـدم موقف القـرامطـة وهم يهاجمون مكة لانتزاع الحجـر الأسـود منها، فيعقد تقابلا بين بعض قيم الدين الاسلامي فى إشـراقهـا، ومنطقيتهـا وسـلامتهـا ومـلاءمتهـا للانسـان عقلا وروحا وجسما، وبين ماتدعو إليه القرمطية من تحلل وفساد وفوضى.

ويتضـــح مما سبق أن عنصـــرى الـزمـان والمكـان فى هذه القصـة يشكلهـا التـاريـخ، من خلال إبراز القصة لتهيؤ الشخصية الرئيسية لغزو الكعبة فى العصر العباسى، تلك الشخصية هو أبوطاهر بن أبى سعيد الجنابى أحد رءوس القرامطة.

وإذا كان مطلع الحدث فى هذه القصة، يجليه أبيات شعرية تصور الدوافع التى وراء هذا التهيؤ على مستوى الجنود والقائد، فلا يلبث الكـاتب أن يركـز على شخصيـة هذا القـائد، ويقدمه من الداخل،

---

١ ـ محمد المجذوب ـ قصص لاتنسى ـ دماء وأشلاء، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٧٨ م، ص ٩.

سابرا لغوره كاشفا عن أبعاده النفسية، مستخدما لتيار الوعى، حيث يجعل الكاتب هذه الشخصية تستحضر مكونات فكر القرامطة الهدام، وهو خليط من انحرافات «مانى وزراد شت ومزدك» وأشباههم من مشاهير الوثنية الفارسية(١). ثم يجعل هذا الفساد يحتك ببعض معطيات الفكر الاسلامي المشرق؛ كتصور الألوهية، ومفهوم النبوة، فالمسلمون تعلقوا بظواهر النصوص فنسبوا لله كل الصفات التى ذكرت له تعالى فى القرآن على أنها حقائق ثابتة، بينما تخلص القرامطة من هذا الاعتقاد فألهوا زعماءهم، وإذا كانت النبوة الحقة تبليغا حاسما عن الله لايقبل تغييرا ولاتبديلا، وقد ختمت بمحمد ﷺ، وشريعته خاتمة الشرائع، فالنبوة لدى القرامطة لم تنقطع بل هى مستمرة أبدا، وهى فيض روحى عند الأول إلى القديم الثانى، وعنه إلى الشخص المسمى بالنبي، وإذا كانت التكاليف فى الاسلام تتغيا ضبط الغرائز المنحطة، فلتلغ، كما أن كل مافى أيدى مخالفيهم ملك لهم، ولا صلاة إلا أربع ركعات فى اليوم، وليس هناك بعث ولامعاد ولاحساب . . إلى آخر ماتدعوإليه القرمطية . . وإذا كان زعماؤ هم يتلقون مباشرة عن الأئمة، فقد أعفوا عقولهم من مهمة البحث والتنقيب، ولذلك فقد تخبطوا فى الزيغ والضلال(٢).

ولايخرج هذه الشخصية من تدفق تيار الوعى إلا هذه الأبيات الشعرية التى افتتح بها الكاتب قصته، والتى يرددها جنوده والتى تحمل كثيرا من الاشارات الى ضروب التحلل والفساد، التى باءت بها هذه الدعوة الضالة المضلة، تلك الاشارات التى تصبح دعوة صريحة من القائد، لأمناء الأسرار العلوية أو النقباء، عندما يجتمع بهم كى يغرقوا فيها أتباعهم، فيلهيهم فسادها عن كل حق، بل ويصبح

---

١ ـ السابق نفسه ص ١٠.

٢ ـ السابق نفسه ص ١١، ١٢

إبعـاد أتبـاعهم عن أخلاق أهل السنة من أهم الوسائل للتمكين لهذه المبـادىء، وهكـذا يوظف الكـاتب هذه الأبيات الشعرية التى بدأ بها قصتـه، تارة فى إضـاءة داخـل الشخصيـة، فيتضـح البعد النفسى، عنـدمـا تصبـح هذه الأبيـات وسيلة لتـدفق تيار الوعى، وتارة أخرى عنـدمـا يحاول من خلال رجـع صداهـا واتصـال شخصيته المحورية بغـيرهـا إبراز الملامح الخارجية لهذه الشخصية، وإن لم يفصل ذلك، حيث طغت الجوانب الفكرية للموضوع على محاولة رسم الشخصية وربـما كان مرد ذلـك تعقيـد الفكـر القـرمطى، ومحاولة الكاتب جلاء فسـاده وانحـرافـه فى مقابل إشراق معطيات الفكر الاسلامى، فضلا عن أن مجال القصة القصيرة قد لا يسمح كثيرا بالتفصيلات فى رسم الشخصية من الخارج، إذا ركز الكاتب على الداخل.

وربما كان ماسبق أيضا من العوامل التى حددت من مجال توظيف الطبيعـة لإعطـاء خلفيـات لتطور الحدث، كما فى موقف نزول الجنود عندما كانت الشمس على مقربة من حدود الأفق الغربى(١).

هذا بينما حقق توظيف الطبيعة هدفه فى مطلع القصة.

والكـاتب لايقـدم جزئيـات الحـدث بطـريقة مباشرة برغم اعتماده على السـرد، والتـاريـخ، ولكنه يوظف هذه الجزئيات توظيفا مزدوج الغاية حيث يحقق لحركة حدثه التقدم والنمو، كما يكشف عن جفاء وانحراف القرامطة وما أنزلوه بجيوش الخلافة العباسية من تدمير، وما أحدثوه بالمسجد الحرام من فساد، وانتهاك لحرمة هذا البيت الكريم، تجاوزت قتـل العاكفين والركع السجود إلى اقتلاع الحجر الأسود ذاته، ولم يغـادروا مكـة حتى استـولوا على كل نفيس فى المنازل وخارجها بناء على أوامر رئيسهم أبى طاهر، الذى تختتم القصة بتحديه السافر حتى لله سبحانه وتعالى حيث يعلن أن الله يخلق وهو يفنى(٢).

---

١ ـ السابق نفسه ص ١٢

٢ ـ السابق نفسه ص ١٧.

وإذا كانت قمة التأزم تتمثل فى إصرار هذا القائد القرمطى على غزو مكـة، وبيتهـا العتيق، برغم محاولة أشراف مكة ثنيه عن ذلك، فكان يمكن أن تكـون النهـايـة القصصية غير النهاية التاريخية التى التزم بها الكـاتب والتى تصـور انتصار الشر على الخير، حتى ولو كان الكاتب يستهـدف إبـراز حاجة المسلمين إلى القوة لرد المعتدين وردعهم، من خلال استثـارة مشـاعـرهم، وحـزنهم على هؤلاء العـاكفـين والركع السجـود الـذين يُقتلون بجـوار الكعبـة المشـرفـة، وفى حمى بيت الله الحرام، من هنا كان يجب أن يضاف إلى هذه النهاية ما يؤكد انتصار الخـير لأن الله «لايضيـع أجـر من أحسن عملا»، حتى ولو أدى ذلك إلى أن يعمل الكاتب خياله المبدع فى لمحة خاطفة سريعة كأن يؤدى انتشار الفساد بين الجنود مثلا إلى انتشار وباء ما يفتك بهم . . أو غير ذلك من النهايات التى يسوغها تتابع الحدث ومنطقيته الفنية .

هذا برغم أن هناك نهايات قصصية مفتوحة، لكنها ثرية بإيحاءات الحـل الكـاشف عن انتصـار الخـير، وربما كانت تلك النهاية لونا من ألـوان الابتـلاء، لاسيـما والشخصيـة المحورية نفسها قد كشفت من خلال تدفق تيار وعيها عن إشراق معطيات الفكر الاسلامي .

ومـع ذلـك، فلقـد كان الكاتب صادقا مع الأهداف التى أناطها بهذه المجمـوعـة القصصيـة من جلاء لصور الحياة والنفوس والسياسة والأخـلاق، حتى تتحـول الأحـداث إلى أحيـاء تتحـرك وتتفـاعـل وتوحى(٢) . . وهى محاولة جادة لتوظيف التاريخ الاسلامي فى أبنية قصصية .

---

٢ ـ السابق نفسه ص ٦

في المسرح

فى المسـرح
أمـل . . . وزعم

أتمنى أن أرى مسـرحـا إسـلاميا يحافظ على تقاليد ديننا الحنيف، ويعمق من إحسـاس الانسان . . أى إنسان بتلك القيم الاسلامية، الانسـانيـة، وعظمة أبطاله . . ، مسرح تصبح فيه التقاليد والأعراف الاسلامية جزءا من تصميم المسرحية لايقوم بناؤها الدرامى إلا بها كما لايقـوم بنـاء المسـرحيـة الآن ، إلا بما عرف من تقـاليـد عن المسـرح اليونانى قديما، أو المسرح الملحمى حديثا وغيرهما من الأنماط المسرحية.

كم أتمنى أن تصبـح القيمـة الاسـلاميـة خطـا صاعـدا خلال المسـرحية، تشكل أبعادها من صراع درامى وعقدة وحل . . تشكيلا خاصا، وقبل ذلك تشكل سلوك الشخصيات نفسها . .

ولم تكن عقيـدة التـوحيـد بحـائلة يوما بين الانسان، وبين أن يبـدع فى المسـرح كما يزعم بعض من لم يدركـوا مدى اهتـمام الاسلام بحرية التفكير ، وحثه للانسان على أن يتطور وينمو، فتلك هى سنة الحيـاة السـويـة، «ولن تجد لسنـة الله تبديلا»، وأصحاب هذا الزعم يرون أن تعـدد الآلهـة عند اليونان ، وطبيعة جوهم المتغير من سحب ورعود وبروق، إلى صفاء وإشراق أحيانا هى التى دفعت هؤلاء إلى أن يبـدعـوفى المسـرح، عندما تتقلب عواطفهم بين اليأس والرجاء، وبين الخوف والاطمئنان، وغير ذلك من المشاعر المتناقضة، بينما كان صفاء الصحراء وانبساطها، وارتباط المسلم بعقيدة التوحيد حائلا بينه وبين أن يبدع فى المسرح.

ولست أدرى على أى وجه يمكن أن يكون ذلك الزعم مسوغا لعدم وجود المسرح عند السلف، الذين أبدعوا فى الشعر الغنائى، وبلغوا فيه حظا عظيما، كما استحوذ القرآن الكريم ببيانه الرائع على عقولهم وقلوبهم وألسنتهم، ثم جاء حديث الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام بعد وفاته ليشغل فريقا آخر بتدقيقه وتدوينه، والبحث فى صحة روايته وسلامتها. ولا يضير المسلمين أن يخلو تراثهم من المسرح، إنما الذى يضيرهم حقا أن يخلو تراثهم من الابداع الأدبى جملة، وهذا يد حضه ما ورث عنهم من فنون القول كالشعر، وألوان الكتابة الأخرى غير المسرح. وأعتقد أن الذى يدفع هؤلاء الزاعمين هو تعصب مقيت، ومحاولة استعلاء زائفة، لا تجد لها مكانا فى ساحة المدنية والتحضر.

وبرغم ذلك فقد أثرت بعض المشاهد المسرحية فى بعض حقب الاسلام، كتلك المشاهد التى كان الشيعة يقومون بها تعبيرا عن بعض معتقداتهم، بل إن أبناء عقيدة التوحيد اليوم قد تعددت اسهاماتهم فى مجال المسرح والحمد لله، وترجمت كثير من هذه المسرحيات إلى مختلف اللغات الأخرى، وهكذا يتضح أن الاسلام لم يعق أبناءه عن أن يبدعوا فى أى فن أدبى طالما كانوا يتغيون الكشف عن كينونتهم، وتقديم قيم دينهم المشرقة، ومحاولة الدعوة إلى الله.

وما رأى هؤلاء الزاعمين فى ذلك القول الذى ينسب نشأة المسرح الى القدماء المصريين وليس إلى اليونان؟ مع مانعرف عن طبيعة أرض مصر من انبساط، وخلوجوها من الرعود والبروق والتقلبات التى تجعل الانسان بين خوف ورجاء، ورهبة واطمئنان؟ بل لقد كان من بين ملوك مصر فى هذه الفترة من يتخذ التوحيد عقيدة له!

وإذا كانت نشأة المسرحية فى حضن الدين فقد آن لها أن تعود إلى ماكانت عليه، ولكن لتؤدى وظيفة جديدة، تتمثل فى الدعوة إلى الله، والكشف عن أمجاد المسلمين، فتقدم لهم القدوة الصالحة، كما تضىء واقعهم عن طريق الربط غير المباشر بين الماضى والحاضر، فلعل المستقبل يحمل معه عودة المسلمين إلى ماكانوا عليه أعزة أقوياء، إن هم التزموا الدين الحق، ذلك وعد الله، ولن يخلفه.

وسوف نلاحظ أن بعض هذه المسرحيات أنسب للقراءة، لاعتبارات خاصة منها مثلا الحضور المباشر لشخصية رسول الله ﷺ أو صحابته رضوان الله عليهم، وهو أمر يجب أن يستبعد تماما إجلالا لشخصية الرسول عليه السلام، وتوقيرا لصحابته، وما لهم جميعا من مكانة خاصة فى نفوس المسلمين، وإن كان الإخراج يمكنه أن يتجاوز ذلك بالعمل على تجسيد الحضور الدرامى للشخصية، دون ظهورها مباشرة على المسرح، من خلال حديث الآخرين عنها مثلا، من هذه الاعتبارات أيضا غلبة الجانب الفكرى على المسرحية، وهنا أيضا يمكن للإخراج بوسائله المتعددة أن يتجاوز مايترتب على سيطرة هذا الجانب الفكرى، فلايفقد المشاهد متعة الوجدان ولا إثراء الفكر.

ولقد حاولت كثير من المسرحيات ذات الطابع الاسلامى الدعوة الى الله، يدفع أصحابها إلى ذلك ولاؤهم للعقيدة، وإخلاصهم لدين الله، وحبهم للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام وصحابته رضوان الله عليهم، وللمسلمين، وبرغم تباين المستويات الفنية لهذه المسرحيات فإن معظمها لايخرج عن الشكل الأرسطى إلا قليلا، ويمكن أن نصنفها إلى ثلاثة ألوان :

أولا : مسرحيات تتمحور حول سيرة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، وما واجهته دعوة الحق فى زمن الرسول ﷺ من عقبات، كما تكشف عن صبره عليه السلام، وثباته وصموده، وعلاقاته بصحابته رضوان الله عليهم، ومعظم هذه المسرحيات يمثل طلائع المسرحية الاسلامية فى العصر الحاضر، مثل «محمد» لتوفيق الحكيم(١)، التى تتألف من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، وكل قسم من هذه الأقسام يتألف من العديد من المناظر التى يصل عددها فى الفصل الأول الى ستة وثلاثين منظرا، والقارىء لها لا يفتقد الوحدة الفنية الدرامية، كما يلمس اتصال الحوار ودقته وتركيزه، وغير ذلك من السمات التى تميز حوار توفيق الحكيم خاصة، وقد حاول إبراز سيرة الرسول الكريم فى هذا الشكل الذى لم تعهد فيه من قبل، بحيث تعد محاولته بمستواها الفنى رائدة فى مجال صياغة السيرة الكريمة صياغة درامية.

١ ـ توفيق الحكيم ـ محمد ط مكتبة الآداب القاهرة ١٩٣٦ م

ولقد حاولت بعض الصياغات الحوارية، لبعض جوانب السيرة العطرة، أن تتجاوز الحضور المباشر لشخصية الرسول الكريم على المسرح، مثل «الآيات الثلاث» لمحمد المجذوب، حيث وضع أقوال الرسول ﷺ، وكل ما يصدر عنه بين أقواس، وعندما ينسب إليه قولا تسبق العبارة بقوله (يقول الرسول . .)(١)

ولقد حاول الدكتور أحمد الشرباصى فى مسرحيته «صراع»(٢) ألا يظهر شخصية الرسول عليه السلام، وإن حاول أن يحقق لها قدرا من الحضور الدرامي، من خلال أحاديث الآخرين عنها، وهذه المسرحية تعرض لموقف بعض المتنبئن من الرسول عليه الصلاة والسلام ودعوة الحق، التى انتصرت على تنبؤاتهم، حتى انتهى مصير مسيلمة مثلا بأن قتله وحشى قاتل حمزة، عم الرسول الكريم رضى الله عنه.

أما اللون الثانى : فهو تلك المسرحيات التى تتخذ من تاريخ الشخصية الإسلامية مادة لعرض أبعادها، ومحاولة التأثير بها فى الواقع المعيش كقدوة يفتقر الواقع إليها، لأنها تتمتع مثلا بشجاعة فى الحق، أو بطولة فى الحرب، أو صمود فى الثبات على المبادىء، إلى غير تلك الصفات التى تستلزمها الدعوة إلى الله، مثل مسرحية «صقر قريش» لمحمود تيمور(٢)، والتى تعرض لجوانب من كفاح عبدالرحمن الداخل، ذلك الخليفة الأموى الذى انتقل من شرق الدولة الإسلامية إلى غربها، حيث أقام فى الأندلس، تلك الدولة الإسلامية العظيمة التى استطاعت فى وقت من الأوقات أن تؤازر حركة المد الاسلامى العظيم، بتوغله فى أوروبا فكرا ومعتقدا، فأحيا قلوبا رانت عليها الظلمات، واستطاعت أن تسهم فى تحضر الإنسانية، بفضل ما أتاحته دولة عبدالرحمن الداخل من حرية للفكر الإسلامي.

١ـ محمد المجذوب ـ الآيات الثلاث ـ ط . مؤسسة الرسالة، سنة ١٣٩١ هـ ـ السابق نفسه ص ١١٤، ص ١٢٠ مثلا.

٢ـ أحمد الشرباصى ـ صراع ـ دار الرائد العربى، بيروت، سنة ١٩٧١ م.

٣ ـ محمود تيمور ـ صقر قريش ـ ط . مكتبة الآداب، القاهرة، سنة ١٩٧٣ م.

وكذلك «عالم وطاغية» (١) للدكتور يوسف القرضاوى، التى حاول فيها أن يكشف عما ينوء به بعض علماء المسلمين من تعسف بعض الحكام ضدهم، فحاول أن يسقط كل هذا على موقف الحجاج بين يوسف الثقفى من العالم المسلم سعيد بن جبير الذى لم يخش فى الحق لومة لائم.

ولعبد الرحمن الشرقاوى عدة مسرحيات فى هذا الاتجاه مثل: «الحسين ثائرا» و«الحسين شهيدا» (٢)، حيث يتناول قصة الحسين وموقفه من الأمويين، وموقف هؤلاء منه، كما يعرض لمواقف بعض آل البيت رضوان الله عليهم من هذا الموقف، وفى مثل هذه المسرحيات التى أذكرها للتمثيل، لا تتضح مختلف الجوانب، ونواحى السلب والايجاب إلا من خلال التحليل لها، والذى أرجو أن يتاح فى دارسة أخرى إن شاء الله.

وفى هذا المجال، لايمكن للدارس أن ينسى جهد صلاح عبدالصبور، فى مسرحيته «مأساة الحلاج» التى صاغها شعرا، فضاعف من التأثير الدرامى للمسرحية بالقيمة الإسلامية، وتشكيلها على هذا النحو (٣)، الذى يتميز بالخصوبة والعطاء الإنسانى الذى يكشف عن روعة قيم هذا الدين فى الإخلاص للمبدأ وهداية الناس.

وثمة اتجاه ثالث: هو تلك المسرحيات التى تحاول التعامل المباشر مع القضايا الإسلامية التى تعيشها أمتنا، مثل هذه المجموعة المسرحية للدكتور عماد الدين خليل وهى بعنوان: معجزة فى الضفة الغربية (٤)، والتى يحاول فيها أن يرهص باتخاذ المسلمين لموقف تجاه أماكنهم

---

١ ـ د. يوسف القرضاوى ـ عالم وطاغية ـ مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، سنة ١٣٩٤ هـ، سنة ١٩٧٤ ومثلها أيضا: مسرحية. أحمد شوقى الفنجرى: خولة بنت الأزور ـ ط. دار القلم، الكويت ١٣٩٥ هـ.

٢ ـ عبدالرحمن الشرقاوى «حسين ثائرا» ط. سنة ١٩٦٨ م، «الحسين شهيدا» ط. سنة ١٩٦٩ م. صدرتا عن دار الكتاب العربى القاهرة.

٣ ـ صلاح عبدالصبور ـ مأساة الحلاج ـ منشورات دار الآداب. وانظر كتابنا: الكلمة... والبناء الدرامى، ط دار الفكر العربى سنة ١٩٨١ م. من ص ٨٣: ص ١٢١.

٤ ـ د. عماد الدين خليل ـ معجزة فى الضفة الغربية ـ مؤسسة الرسالة، بيروت.

المقدسة بفلسطين، كما فى مسرحيته «صرخة عند المسجد الأقصى» التى تعد إحدى مسرحيات هذه المجموعة والتى سوف يرد فيما يأتى تحليلاها يكشف عن التوظيف الدرامى لمعطيات الاسلام فيها.

على أن هناك كاتبا مسرحيا إسلاميا حاول بعطائه فى هذا المجال ـ وقت أن لم يظهر عطاء غيره ـ أن يرفد الاتجاه الإسلامي بكثير من المسرحيات التى تكشف عن إشراق هذا الدين العظيم، وروعة أبطاله، وماقدمته قيمه للإنسانية من خير وبر وهداية وبناء، لاسيما وهذا الكاتب يتمتع بحس إسلامى مرهف، وعاطفة إيمانية قوية معطاءة، ذلكم هو على أحمد باكثير فى مسرحيته «هاروت وماروت»(١). ومجموعته «من فوق سبع سموات»(٢)، والملحمة الإسلامية الكبرى (٣)، وغير ذلك، وهو نتاج يمكن أن يمثل الظاهرة التى نتحدث عنها.

---

١ ـ على أحمد: «هاروت وماروت» ط. مكتبة مصر سنة ١٩٦٣، القاهرة.

٢ ـ «من فوق سبع سموات». ط. دار المعارف القاهرة، سنة ١٩٧٣ م حيث تتألف مع سبع مسرحيات.

٣ ـ «الملحمة الاسلامية الكبرى» ـ تتألف من تسع عشرة ترجمة ط. دار المعارف، سنة ١٩٧٣ م.

تحليل لنماذج من المسرح الاسلامي

١ ـ مسرحية فى وجه الطوفان لمحمد عبدالحميد أحمد
٢ ـ صرخة عند المسجد الأقصى للدكتور/ عماد الدين خليل

آثرنا تحليل مسرحيتين من ذوات الفصل الواحد للكشف عن القيمة الاسلامية وجلاء نموها داخل الحدث

توظيف الشخصية المحورية فى الكشف عن قيم الاسلام
مسرحية : «فى وجه الطوفان»(١)

هذه المسرحية تتألف من ثمانية فصول ، أو بالأحرى ثمانية مشاهد تتمحور حول فكر ابن تيمية وشخصيته ، ويعد الفصل الأول بمثابة مجال لعرض الملامح التاريخية لزمن المسرحية ، وهو الفترة التى تعرضت الشام فيها لغزو التتار ، مع الاشارة إلى دور ابن تيمية القيادى ، من خلال حضوره الدرامى غير المباشر ، الذى يجسده حديث ثلاثة شخصيات شعبية هى : سعدون وخير الدين وخلدون ، حيث يمثلون مواقف الناس من الرجل وفكره الدينى مابين معارض ومؤيد .

ثم تتوالى المشاهد السبعة عارضة لموقف ابن تيمية فى الشام وقيادته للناس ، وتوجيهه لهم دينيا كمنطلق لهزيمة التتار ، ومرجعهم إليه لسؤاله عما يعن لهم من شبه وقضايا ومشكلات ، وفى الوقت الذى يهرب فيه العلماء والقادة أمام غزو المغول ، لايبرح ابن تيمية الشام ، ويمكن أن يكون ذلك بداية الحدث .

ويبلغ هذا الحدث فى صعوده منتصفه تقريبا بغيرة بعض علماء مصر منه ، واستدعائهم له إليها ليكيدوا له ، ويغروا به الحاكم فيكون السجن هو قمة هذا الحدث ونهاية خطه الصاعد ، وتلك عقدة المسرحية ، وهى عقدة بسيطة مفردة .

---

١ ـ مسرحية «فى وجه الطوفان» تأليف / محمد عبدالحميد أحمد ، ط ٢ ، ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م ـ دار الأنصار ـ القاهرة .

ثم يبدأ الخط الهابط فى التشكل ، عندما يزيد السجن ابن تيمية صلابة فى الحق ، وقوة فى النفس ، وصمودا أمام كل مغريات الحياة ، حتى إن بعض الحراس يتأثر به ، ويبدأ أتباعه فى الاتصال به بوسائلهم الخاصة ، وهكذا يذيع أمر الرجل حتى لايملك الحاكم إلا أن يتوسل إليه مندوبه أن يقبل الافراج ومغادرة السجن ، وماذلك إلا لأثر الرجل الدينى ، فى وقت عز فيه من يتمسك بدينه ، ويتخذه منطلقا لنضاله وكفاحه . ولايتهاون الرجل فى كلمة الحق ، حتى ولوكانت كاشفة لزيف الحكم . وتلك نهاية الحدث ، ألا وهو الافراج عنه دون مساس بمبادئه الاسلامية ، التى ترى شمول الدين للدنيا ، وامتزاج السلطتين الدينية والزمنية فيه ، ولافصل بين أمور العقيدة وأمور الدنيا ، وأن من يتمسك بذلك لابد أن ينصره الله ، وتلك رؤية الكاتب التى تتمدد خلال المسرحية كلها والتى بها أثر ابن تيمية فيمن اتصلوا به وتابعوه .

وبرغم بساطة الحدث الذي انتهى بهذه العقدة المفردة البسيطة ، إلا أن الكاتب حاول أن يعمق من إيقاع الفكر الدينى المسلم بما يثرى حدثه الدرامى ، عندما يتخذ من مفردات اللغة وسائل لاقامة جدلية معطاءة خصبة ، تشكلها المصطلحات الدينية فى مقابلات تتصل أطرافها ، وذلك بين الجبر والاختيار ، والدعاء والقضاء والقدر ، والتزام السنة والابتداع ، والقلة المؤمنة والكثرة الظالمة ، والزهد فى الدنيا والعب منها ، والايمان والنفاق ، والحرية والعبودية ، والدين والدنيا ، والظلم والعدل ، والاسلام والكفر(١) ، ولغة الأرض ولغة السماء ، إلى غير هذه الثنائيات التى يوثق بينهما بما يكشف عن جانبها الخير ، والتى تجلى جانبا من الصراع الخفي فى نفس الانسان ، وبينه وبين من حوله ، والذى حاول ابن تيمية أن يوجهه فى نفوس الناس نحو كل ماهو حق وخير . . كما فى هذا الموقف :

---

١ ـ محمد عبد الحميد أحمد مسرحية : «فى وجه الطوفان» ـ الفصل الثانى ص ١٩ ـ ٤٤ .

« سائل ثامن :

ماتـرون ـ أيهـا الامـام ـ فى حكومتين إحداهما مسلمة تظلم الرعية والأخرى كافرة تحكم بالعدل، أيهما ينتظم أمرها ويسعد أهلها؟

ابن تيمية :

إن الله يقيم الـدول العـادلـة وإن كانت كافـرة . . ولايقيم الدولة الظـالمـة وإن كانت مسلمـة . . إن الدنيا تدوم مع العدل ولاتدوم مع الظلم» . (١) .

وهنـاك لون آخـر من ألـوان توظيف اللغـة لجلاء الفكـر الـدينى المسلم، وتعميق أثره فى بناء المسرحية، فيكسب الشخصية المحورية ـ شخصيـة ابن تيميـة ـ مهـابـة وحضـورا دراميـا خصبا، وذلك عندما يتصـل الهجـر والصفـح والصـبر بالجـمال من خلال دعـوة القرآن إلى الجـمال التى تصبـغ أمره ونهيه، فيصبح الهجر الجميل هجرا بلا أذى، والصفح الجميل صفحا بلاعتاب، والصبر الجميل صبرا بلا شكوى»(٢) .

إلى غير ذلك من الوسائل اللغوية التى حاول بها المؤلف أن يدعم بناءه الدرامى، ويعوض بها علاقاته المحدودة فى هذه المسرحية، وقلة مستويات الصراع .

ولقد حاول المؤلف أن يعدد من وسائله الدرامية بتوظيف الشعر، وهو اتجاه لا بأس به، لكن المقطوعات الشعرية يجب أن تلتحم بنسيج المسرحية حتى لا يحس القارىء أو المشاهد إقحامها كالشعر الذى جاء فى رسـالـة الأتبـاع ص ٥٧، فهـو لم يسهم فى نمـو الحدث مثلا، لأن مضمـون هذا الشعـر سبق وروده فى نفس الرسالة التى تحمله، فكان أشبـه بتكـرار، هذا فى الـوقت الذى حاول فيه المؤلف مثلا أن يسوغ فنيا مجىء الشعر الذى قاله بشير حارس السجن للتر ويح عن الشيخ ابن تيمية، فى سجنه .

---

١ ـ الـسابق نفسه ص ٢٣ .

٢ ـ الـسابق نفسه ص ٨١

وما أجل أن يصبح القرآن الكريم داعما لمواقف التحول فى هذه المسرحية، كنهايات بعض المشاهد فيضاعف ذلك من إحساس المتلقى بوضاءة الفكر الدينى الملسم، ووهج الحدث الدرامي، كما تسهم هذه الآيات المستشهد بها فى نماء هذا الحدث وجلاء أبعاد الشخصية المحورية.

والذى لاشك فيه أن هذه المسرحية تحاول اقتفاء مسرحية «مأساة الحلاج» لصلاح عبدالصبور، وإن كانت الأخيرة غنية فى علاقاتها الدرامية، وتعدد مستويات الصراع فيها، ثرية بإيقاعاتها التى أخصبها البناء الشعرى، بجانب تمرس صاحبها بقواعد هذا الفن»(١).

---

١ ـ انظر: تحليلا لمسرحية مأساة الحلاج فى كتابنا: الكلمة.. والبناء الدرامي ـ ط. دار الفكر العربى، القاهرة، ص ٨٣ ومابعدها

تعدد مستويات الحدث والحث على استرجاع مقدساتنا

صرخة عند المسجد الأقصى(١)

القيمة الفنية لهذه المسرحية تتضح فى الوسائل الدرامية التى وظفها المؤلف ، ليجعل لمسرحيته قيمة إسلامية متجددة ، تحث المسلمين على تخليص مقدساتهم من أيدى الاسرائيليين الذين دأبوا على إزالة كل معالم المسلمين فى فلسطين ، سواء بالهدم أو بالاحراق ، كما تكشف هذه المسرحية من خلال وسائلها عن سوء حال المسلمين اليوم ، وقد تخلوا عن عقيدتهم ، الداعية إلى القوة والحق ، فأعوزهم أن تتحول الكلمات إلى خطوات ، والأفكار إلى أعمال حتى يتصل ماضيهم بحاضرهم .

من هذه الوسائل الدرامية تعدد مستويات الحدث ، واتصالها ، فهناك مايكشف عنه حديث الحارسين الاسرائيليين من إحراق للمسجد الأقصى ، والرغبة فى إزالة كل معالمه لاقامة هيكل سليمان ، ويتصل بذلك مستوى ثان ، هو نشاط الفدائيين الفلسطينيين من قتل للحارسين السابقين ، وتفجيرات فى أماكن متعددة من القدس ،

---

١ ـ د . عماد الدين خليل ، ص ٣٧ : ص ٤٤ ، مجلة حضارة الاسلام ، السنة العاشرة ، العددان ٥ ، ٦ رجب وشعبان سنة ١٣٨٩ هـ أيلول وتشرين الأول ١٩٦٩ ـ المطبعة التعاونية بدمشق .

وهى أيضا ضمن مجموعته المسرحية : معجزة فى الضفة الغربية ، التى سبق أن أشرنا إليها .

ينتقل دورها بالحدث إلى قبيل نهايته، ويلتحم بذلك مستوى ثالث، هو موقف صلاح الدين الأيوبى البطل المسلم، وهو يتحسر على ما أصاب المسلمين ومقدساتهم وعجزهم عن التغيير، وقد كان الارجاع «أو الفلاش باك» هو وسيلة اتصال هذا المستوى بالمستويين السابقين عليه، وبذلك يتشكل الحدث.

وفى مثل هذه المسرحيات التى تتغيا التغيير والارهاص به، قلما تسمح العقدة التقليدية القرينة بالتحول من تحقيق ذلك، من هنا كان دوى الانفجارات فى القدس بفضل نجاح خطط الفدائيين مؤذنا بهذه النهاية المفتوحة، والمبشرة بالتغيير، والحاملة فى نفس الوقت لملامح العقدة بالمفهوم الجديد، حيث اتسعت لأن الحدث نفسه هو الذى شكلها بمستوياته المتعددة، تلك المستويات التى يتعاطى فيها المؤلف عينيات الواقع المعيش الذى يرصده، وبفضل هذه النهاية المفتوحة تتسع الرؤية هنا لتبشر بما لا حد له من إرهاصات التغيير نحو الأفضل، كإيجاد الأمة المسلمة القادرة على الفعل، والدفاع عن المقدسات وتطهيرها ممن يدنسها وهذا هو الحل ـ غير المباشر ـ الذى يرتبط بهذه العقدة المتسعة.

ومع هذا الاتساع فى العقدة، وتوظيف معطيات الواقع توظيفا دراميا، كان لابد أن تتعدد الشخوص تعددا تختفى معه المحورية، وهى جميعا شخصيات بسيطة متطلعة، على اختلاف فى نوعية التطلع، من هنا تضاربت تطلعات الحارسين الاسرائيليين الممثلين لرغبات قومهما فى إنشاء الهيكل، على أنقاض المسجد الأقصى، مع تطلعات الفدائيين وصلاح الدين وأولاده إلى الحق والخير المتمثل فى عودة المسجد الأقصى للمسلمين، قبلتهم الأولى، ورمز مقدساتهم وتطهير أرضهم من المعتدى، ومن الجمع بين هذه التطلعات المتضاربة، المتقابلة، يتجلى صراع يشمل مستويات الحدث الثلاثة، وهو صراع بين الخير والشر، يمتد بطول المسرحية، لكنه لم يتعمق نفوس الشخوص ماعدا شخصية صلاح الدين، الذى كشف حديثه عن شيء من التمزق؛ بين حاضر مؤلم قاس ضعف فيه المسلمون عن استرداد حقوقهم ومقدساتهم وماض زاهر وضيء مليء بالعزة والمنعة والقوة.

كما كشف هذا الصراع عن رؤية المؤلف الآملة فى التغيير، وإلى أن يعيد المسلمون حاضرهم قويا كما كان فى الماضى، وحتى يحافظوا على مسرى رسول الله عليه الصلاة والسلام، والساحة المقدسة التى صلى بها عليه السلام بالأنبياء فى رحلته المقدسة عندما أسرى به عليه الصلاة والسلام.

وبرغم أن شخصية صلاح الدين الأيوبى تمتعت بحضور درامى غير مباشر، سواء بواسطة المنادى على المسرح الذى يكشف عن فعل وسمات هذه الشخصية التى لم تظهر مباشرة على المسرح، أو بواسطة أبنائه وحديثهم عنه من خلف المسرح أيضا، فقد تهدد وجود هذه الشخصية وحضورها الدرامي بطول حديثها الذى يعتبر معه المسرح خاليا تماما إلا من صوتها خلال حديثها الطويل والمنادى . . مما يجمد الحركة الدرامية، وهو أمر مهم للمشاهد، وحتى للقارىء أيضا، الذى يريد أن يرتبط بالشخصية وفعلها المباشر الكاشف مع حديثها الموحى . . . هذا برغم أن الايحاء التاريخى لهذه الشخصية وماتتمتع به من بطولة فى ذهن كل مسلم، قد يعوض مؤقتا هذا الفراغ، وربما كان ذلك هو الذى دفع المؤلف إلى هذا السلوك.

وهكذا برغم نجاح المسرحية فى توظيف لغة بسيطة سهلة، إلا أن طول حديث بعض الشخوص كان ظاهرة تتهدد باستمرار الحضور الدرامي لهذه الشخوص، مما قد يصيب الهدف الدينى للمسرحية بالمباشرة والتسطيح أحيانا، ولاسيما عندما تصبح الخطابية هى سمة الشخصية فى حوارها: انظر مثلا إلى هذا الحديث لشخصية صلاح الدين:

(صلاح الدين: سوف لن ترونى أخطب بعد اليوم . . إن الخطب يجب أن تستحيل عملا وإنجازا . . وكيف أخطب والدخان يتصاعد من مسرى رسول الله؟ كيف يتأتى للكلمات أن تجتاز شفتى، وأنا أرى النار والرماد تلطخان الساحة التى صلى فيها الرسول العظيم بإخوانه الأنبياء . . ثم غادر الأرض، فى رحلته العظيمة صوب السماوات حيث لقى خالقه؟! لن ترونى أخطب بعد اليوم . . فيما مضى كنت أخطب فيكم إثر كل فتح أو نصر، وبعد كل عمل أو

إنجـاز . . أمـا اليـوم فلم يبق عصـر الانهـزام والسلب هذا مجالا للكلمات . . وأحـرى بالمسلمـين بعـد اليـوم أن لا يسألـوا كلمات وخطبا . . ولكن أن يفتحوا أسماعهم جيدا لأصوات . .

(تسمـع أصـوات انفجـارات قويـة متتـاليـة تنبعث من أمـاكن شتى . . يتلاشى المنادى، تختفي أصوات صلاح الدين وحاشيته . . تغيـير فى الانـارة . . المسـرحيـة نرى بعدها الفدائيين اللذين سمعنا حوارهما من قبل)(١).

والمفروض فى الحوار التركيز والايجاز والعمق والاتصال، وأن يسهم فى نمو الحدث، ويكشف عن أبعاد الشخصية وبطريقة غير مباشرة، ولكن هذا كله يتهـدد بطـول الحديث، وانظر إلى كلمة (أصوات) فى نهايـة حديث صلاح الـدين السـابق، وكأنى بالكاتب قد جاء بها من أجـل اتصـال الحدث وتدفقه، ولكن هذا اتصال سطحى، والأفضل حذفهـا، ليتسـاوق الحـديث والحـدث دون مبـاشرة أو افتعال، فكل كلمـة فى حديث الشخصيـة لابـد أن يكـون لها هدف فى بنـاء العمل كله . . . كما تزيد من نمائه.

ومن الجميـل فى هذا العمـل حشـد الكـاتب لكـل ما من شأنه أن يجعـل الـرؤ يـة تتغلغـل فى نفـوس المسلمـين وتستحثهم على الفعل والتغيـير، كتكثيف الحـدث، واتساع العقدة، واتصال الزمن بأبعاده الثـلاثـة عنـدمـا يستشـرف مستقبـلا مشرقا من خلال، سماع صوت المتفجـرات المـؤذن بالنصـر، والتخلص من الحاضر الأليم، إثر حيرة صلاح الـدين وخجله العـاتى من مواجهـة رسـول الله عليـه الصلاة والسلام ـ وهذا هو الماضى ـ ، وإخباره بهذا الحاضر السىء، ومن ثم يكـون المـؤلف قد استثمـر العاطفة الدينية لدى المشاهد، أو القارىء إلى أبعد حد.

---

١ ـ انظر المسرحية ص ٤٤.

وهنا تتضح أهمية اللغة الموظفة للكشف عما سبق، فهى غالبا لغة ثرة بالعواطف الدينية، مشحونة بالأحاسيس اللصيقة بنفوس المسلمين، لاسيما عندما تتكرر هذه الألفاظ، أو تصبح إحداها لفظة محورية تكون قرينة بإثارة هذه المشاعر وتلك الأحاسيس، وسوف نجد ضربين من هذه الألفاظ إحداهما ألفاظ تكررت كثيرا كالحريق ـ الحزن ـ الحيرة ـ الدم ـ الدموع، والمؤلف عندما يستخدمها إنما يضاعف من إحساس المتلقي بها. . . خاصة عندما تقترن هذه الألفاظ بعبارات النوع الآخر، وأعنى به الألفاظ التى تختص بالدلالة على بعض مقدسات المسلمين، حينئذ نجد التراكيب تتفجر بالمشاعر والعواطف الدينية التى تستولى على وجدان المسلم، وتدفعه إلى التضحية والفعل، والتغيير، لاسيما عندما تتكرر فيتضاعف أثرها على امتداد المسرحية كلها. . وإليك بعض الأمثلة التى تكشف عن هذه الظاهرة:

العبارة	الصفحة
يقول صلاح الدين: المسجد الأقصى . . المسجد الأقصى يحترق	٤٢
يقول المنادى: إن حريق المسجد الأقصى فتت فؤاده المرهق الحزين	٤٣
يقول صلاح الدين: تفتدوا مسرى نبيكم بالقلوب والأرواح	٤٣
الفدائى الأول: إن أحفاد صلاح الدين لن يسكتوا إزاء تدمير قبلتهم الأول، ومسرى نبيهم العظيم	٤٤
يقول صلاح الدين: النار والرماد تلطخان الساحة التى صلى فيها الرسول العظيم بإخوانه الأنبياء.	٤٤

وهكذا قدر للمؤلف أن يقدم نموذجا إسلاميا تعاونت فيه اللغة والوسائل الدرامية على إبراز رؤية دينية سامية، هذا بصرف النظر عن سلبيات مثل هذا العمل التى تفوقها إيجابياته . .

فى الرسالة والمقالة

فى الرسالة والمقالة

إن تميز أساليب رواد الاصلاح المسلمين ، الذين يتخذون من الدين سبيلا ومنهجا لهم ملمح لاتكاد تخطئه عين القارىء لرسائلهم ومقالاتهم ، وبرغم إيمانى بقيمة الاكتساب ، لكننى أتصور أن هذه المقدرة ـ لا تخلو من ـ هبة من الله يختصهم بها ، ألا يختص الله برحمته من يشاء؟!

ذلك أن رواد الاصلاح من المسلمين فى العصر الحديث قد كانوا يودعون عصور الضعف ، ويستقبلون عصر النهضة الحديثة ، بل لقد كان بعض معاصريهم مايزالون يرسفون فى أغلال الصنعة والتقليد ، يدورون فى حلقة مفرغة ، دون أن يقدموا جديدا ، أو يبدعوا شيئا ، أما هؤلاء الرواد فقد تميزت أساليبهم إشراقا ، وطبعا ، وصياغة جميلة معبرة موحية ، تعايش قضايا المسلمين ، وتعانق حاضرهم ، كما تتمثل إيجابيات الماضى ، مستشرفة لمستقبل زاهر ، على هدى وبصيرة من نور الله ، وكأنى بهؤلاء الرواد قد أدركوا قيمة الصياغة الجميلة فى الدعوة إلى الله ، واستنهاض المسلمين ، وقد ران على قلوبهم الزيغ والانحراف ، هكذا كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، كم كان الشيخ جمال الدين الأفغانى ، والشيخ محمد عبده ، والشيخ ابن باديس وغيرهم رواد الاصلاح الدينى المسلمين . .

ولقد أدت الرسالة كفن من فنون الأدب دورها على عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام ، تمثل ذلك فى الرسائل التى كتبها عليه الصلاة والسلام يدعو الملوك وشعوبهم إلى الاسلام ، وعلى درب المصطفى ﷺ سار صحابته رضوان الله عليهم ، حتى جاء عصر بنى

أمية وأصبح كاتب الرسائل ذا مكانة خاصة تؤهله للوزارة، وتنوعت الرسائل إلى ديوانية وشخصية وغيرهما، واتضحت أساليب خاصة لكتابة الرسائل كأسلوب عبدالحميد الكاتب مثلا.

وبرغم ظهور «التوقيعات»(١) كفن نثرى فقد ظل للرسائل دورها فى العصر العباسى، بل تعددت مجالاتها، كما تعددت مذاهبها، واقترن ذلك بظهور كتابات أقرب ماتكون إلى المقالة، ومن ثم عرفنا الجاحظ وابن المقفع، وبعدهما ابن العميد . . ، وقد تميزت مدارسهم النثرية بسمات خاصة لكل منهم، بل ظلت مدرسة ابن العميد مسيطرة حتى مطالع العصر الحديث، حيث كان للرسائل - والاخوانية منها بالذات - مجال كبير فشهد النثر ألوانا من التهانى والتعازى، والوصف وغير ذلك.

ولقد ارتبط ازدهار المقالة بظهور الصحافة فى العالم الاسلامى، كما كان ظهورها استجابة للمتغيرات الاجتماعية والسياسية والأدبية، وللصحافة والاذاعة الفضل فى الاقبال العظيم للجماهير على المقالة، حيث استطاعت الكلمة أن تقطع المسافات وتصل إلى المدن والقرى، مما أدى إلى أن تتسم المقالة بسمات خاصة، تطلبتها طبيعة المتلقين وكونهم القاعدة العريضة، من هذه السمات البساطة والوضوح والبعد عن التفلسف، والصدق فيما يبدعون، ومحاولة التخلص من الزخرف البديعى، واهتمت بقضايا الجماهير كمقاومة المستعمر، وكشف حيله، وتنوير الناس، وتوعيتهم، وتنبيههم إلى حقوقهم وواجباتهم التى بينها الاسلام لهم، بل لقد أصبحت قيم الاسلام تحتل الصدارة فى هذه المقالات، من هذه القيم . . التمسك بالعزة، والاعتصام بالأصالة. والحفاظ على جوهر الاسلام، والوحدة بين المسلمين، وتنمية المجتمع وتطويره، ومقاومة الفقر والجهل والمرض، وسوف تكشف الفقرات التى سوف أعرضها من الرسائل والمقالات عن كثير

---

١ - لون من ألوان الكتابة النثرية يتميز بالايجاز، ووضوح الهدف، وقد كان الخلفاء يستخدمونه فى الرد السريع على الولاة، يواجهون به عاجل الأمور وبعد المسافات.

من القضايا التى يشكل الدين أساسها، والوسائل الفنية التى أبرزت هذه القيم الدينية.

ولقد كان لرواد الاصلاح دور عظيم، فى توجيه الكتاب إلى تحرير الأساليب من مخلفات عصور الضعف الفنى، وحثهم على التوجه إلى الجماهير بغية تنويرها، وترشيد فكرها، ولا يمكن أن ننسى حث جمال الدين الأفغانى على هذا الاتجاه، وكيف أسهم بكتاباته فى خلق جيل من الرواد، فى مقدمتهم محمد عبده، ومحمد رشيد رضا وعبدالله النديم وغيرهم؛ فنجد مثلا الشيخ محمد عبده يعنى بإصلاح أساليب اللغة العربية، كما دعا إلى تدريس كتب السلف من أصحاب الذوق الرفيع السليم الأصيل، وأسهم فى خلق نهضة فكرية متعددة الجوانب، وراد بأسلوبه أنماطا من الكتابة تخلصت من التقليد، وأغلال الصنعة، واستشعرت واجبها المقدس في ظل دعوة الحق.

بل إن الأجيال التى جاءت بعد ذلك سارت على نفس الدرب، لأنهم اتصلوا بهؤلاء الرواد، فها هو ذا مصطفى لطفى المنفلوطى مثلا فى مقدمة «النظرات»، وهى مجموعة المقالات التى كان يكتبها فى صحيفة «المؤيد» يدعو إلى الصدق فى التعبير حيث يقول: «وكان أشعر الشعراء عندى وأكتب الكتاب سواء فى ذلك المتقدم والمتأخر والنابه والخامل ـ أوصفهم لحالات نفسه أو أثر ماشاهده فيها، وأقدرهم على تمثيل ذلك، وتصويره للناس تصويرا صحيحا كأنما هو يعرضه على أنظارهم عرضا، أو يضعه فى أيديهم وضعا» (١).

وإن مبدأ الصدق فى التعبير هذا طالما عول عليه عباس محمود العقاد فى دراساته، وهو بجانب ذلك ينفرد فى عبقرياته الاسلامية، ومقالاته فى هذا الصدد، بروح خصب معطاء، ويقين صادق قوى.

وليست كتابات مصطفى صادق الرافعى فى إعجاز القرآن، ووحى القلم، ومقالاته الأخرى ـ برغم غلوه فى تعميق فكرته أحيانا ـ إلا شاهدا حيا على المقالة الاسلامية.

---

١ ـ مصطفى لطفى المنفلوطى ـ النظرات، جـ ١، ص ١٥، دار الثقافة بيروت، نشر المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة.

ولانعد مبالغين إذا قلنا إن كتاب اليوم فى هذا المجال إن هم إلا الوجه المشرق لرواد الأمس، فقد استفادوا منهم، وأضافوا من رؤ يتهم الاسلامية لقضايا الفكر والحياة، ما جعلهم يتفردون ويتميزون فى هذا المجال، فرفدوه بنتاجهم الاسلامى الخصب المتميز.

عرض وتحليل لنماذج من الرسائل والمقالات

١ ـ الايمـــان بالله الامام الشيخ محمد بن عبدالوهاب
٢ ـ التوحـيد بصقل القول الشيخ جمال الدين الأفغانى
٣ ـ الرسول عليه السلام والسنن الشيخ محمد عبده
٤ ـ الأدب الطبيعى الجميل الشيخ أبوالحسن الندوى

«الإيمان» فى رسالة الشيخ محمد بن عبدالوهاب(١) إلى أهـل القصـيم

نماذج كثيرة تلك التى تكشف عن هذه الروح الايمانية التى تملأ نفوس رواد الاصلاح، وذلك اليقين الذى حملهم على أجنحة الحق إلى مكان القيادة والنور، وهم يدعون إلى الله، فى بيان يرتوى برواء القرآن ويمتاح من قيم الاسلام، حيث يسرى فى جنبات رسائلهم ومقالاتهم الايمان القوى، والاخلاص الجلى لدعوة الحق

---

١ ـ ولد محمد بن عبدالوهاب سنة ١١١٥ هـ، سنة ١٧٠٣ م من أب معروف المكانة، فى بيت علم وفضل، يتمتع بكثير من المزايا الموروثة والمكتسبة، والأخلاق الفاضلة. وقد قام والده ـ الذى انتهت إليه رئاسة القضاء بتعليمه، كما حفظ القرآن صغيرا وجوده، وبرغم أن كتاب بلدته العيينة كان المكان الوحيد للتعليم بالنسبة لأمثاله، لكن بيته عوضه عن ذلك تحت إشراف والده وتوجيهه، وقد ساعده ذكاؤه على أن ينهل من علوم القرآن والعربية والدين ماكان غيره يتزود به فى ضعف الزمن الذى استغرقه هو. من ثم فقد شهدت العشرين من عمره فيه عالما مرموقا(١)، مع تواضع شديد الحياء وأمام ماشاهده من انحرافات مجتمعه وعصره، فقد أنكر كل زيغ وضلال وأخذ يناقش العلماء، ويعجب الوالد الشيخ بغزارة علم ابنه، بل يعترف باستفادته منه، وقد وقف الشيخ محمد بن عبدالوهاب بالمرصاد لكل ضلالات عصره، حتى وجد نفسه وحده فى مواجهة تحديات كبيرة يشكلها أباطيل العامة، ومن يدعون العلم. بل لقد ضمت هذه الجبهة الرؤساء والعلماء والعامة.. ولم يجد بدا من مغادرة بلدة العيينة، وقام بحج بيت الله وزيارة المدينة المنورة، واتصل بالعلماء فى تلك الأماكن وأخذ عنهم وناقشهم وأخذوا عنه، لاسيما الشيخ ابن يوسف وابنه ابراهيم، والشيخ محمد السندى، كما سافر إلى نجد ورحل إلى البصرة، واتصل هناك ببعض علمائها، ثم عاد إلى الأحساء ومنها إلى حريملاء حيث استقرت أسرته، لكن العداء بينه وبين علمائها اشتد. ـ

---

١ ـ انظر أحمد عبدالغفور عطار ـ محمد بن عبدالوهاب ط ٣ سنة ١٣٩٢ هـ، سنة ١٩٧٢ م ـ منشورات مكتبة العرفان، بيروت، من ص ٣١ ومابعدها.

وفيما يلى فقرة من رسالة الشيخ محمد بن عبدالوهاب(١) إلى أهل القصيم (٢) عندما سألوه عن عقيدته، بعد أن دس عليه بعض من لم يهدهم الله، وفى هذه الرسالة يبين أنه يعتقد ماتعتقده أهل السنة والجماعة من إيمان، وأنه سبحانه وتعالى ليس كمثله شىء وهو السميع البصير، كما يؤكد الشيخ أنه بعيد تماما عن كل تعطيل أو تمثيل أو تكييف فى جانب الله سبحانه وتعالى . . إلى آخر مايؤمن به أهل السنة والجماعة، كما يؤمن بالقضاء والقدر، وبكل ما أخبر به الرسول عليه الصلاة والسلام وبشفاعته التى لاتكون إلا من بعد إذنه تعالى . . إلى آخر هذه العقائد التى تكشف عن تسليم كامل لله، والتزام كامل بمنهج الاسلام، ثم يقرن ذلك بتحذيرهم من تصديق أنباء الفاسقين الذين دسوا عليه، ومن هذه الرسالة:

ـ وقد توفى والده سنة ١١٥٣هـ، مما زاد حرب أعدائه ضده، لكنه لم يتزحزح عن الحق، وإنكار الباطل، وكانت مبادئه وآراؤه قد وجدت بعض المؤيدين لها المقتنعين بها فى بلدته العيينة وحريملاء والأحساء ونجد، والدرعية التى استقبله أميرها محمد بن سعود، الذى أحس الصدق فى دعوة الشيخ وتجاوبت بينهما مشاعر حب السلف، والتمسك بدعوة الحق، وتعاهدا على المضى فى هذا الطريق، وبدأت الدعوة تذيع فى كثير من الأوطان المجاورة، كما توالت البيعة على الحق من كثير من البلاد التى ناوأه أهلها كبلدته العيينة وحريملاء والأحساء ونجد وغيرها، وهكذا وجدت دعوة الاسلام الصحيح فى الشيخ المفكر الاسلامي الخصب المشرق العطاء، وفى محمد ابن سعود القوة لنشرها، ومن ثم فقد اقترنت دعوة الشيخ ابن عبدالوهاب بالحكم السعودى، بل أصبحا وجهين لعملة واحدة هى حكم الاسلام(١) الذى به أخذت الدولة السعودية وجهها الصحيح.

وقد توفى الشيخ محمد بن عبدالوهاب فى شوال سنة ١٢٠٦ هـ سنة ١٧٩٢م.

---

١ ـ مؤلفات الشيخ الامام محمد بن عبدالوهاب.

ـ القسم الخامس ـ الرسائل الشخصية، تصنيف وإعداد: عبدالعزيز الرومى ود. محمد بلتاجى، ود. سيد حجاب ـ ط جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب ص ٨.

٢ ـ منطقة بالمملكة العربية السعودية، تقع فى وسطها، وتبعد عن العاصمة الرياض بحوالى خمسمائة كيلو متر تقريبا.

١ ـ السابق نفسه ص ٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

«أشهد الله ومن حضرني من الملائكة وأشهدكم أني أعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، والايمان بالقدر خيره وشره، ومن الايمان بالله الايمان بما وصف به نفسه في كتابه على لسان رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، بل أعتقد أن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، فلا أنفي عنه ما وصف به نفسه ولا أحرف الكلم عن مواضعه، ولا ألحد في أسمائه وآياته ولا أكيف، ولا أمثل، صفاته تعالى بصفات خلقه، لأنه تعالى لا سميّ له، ولا كفؤ له، ولا ند له، ولا يقاس بخلقه فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلا وأحسن حديثا فنزه نفسه عما وصفه به المخالفون من أهل التكييف والتمثيل: وعما نفاه عنه النافون من أهل التحريف والتعطيل فقال: (سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين(١)

---

١ ـ سورة الصافات آية ١٨١، ١٨٢

٢ ـ سورة البقرة آية ١٧٧.

ولعلنـا نلاحـظ بادىء ذى بدء الاعتـماد على البسملة ـ فى مفتتـح الرسالة، وكيف يلتصق الشيخ بواقعه دينا ودنيا، لكن ذلك لايتم إلا من خلال رؤ يـة إيـمانيـة مردهـا إلى هذا الـولاء الكامل للمولى جل وعلا، وفى الوقت الذى يشهد الله وملائكته على عقيدته، يشهد من وجه إليهم الرسالة، وهم أهل منطقة القصيم على هذا الاعتقاد، ثم تتوالى المسلمات الإيمانية التى تشكل جوهر عقيدة الاسلام، كمفهوم الإيمان المأخوذ من كتاب الله تعالى حيث يقول جل وعلا: «ليس البر أن تولـوا وجـوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين»(١).

وأسـاليب هؤلاء الـرواد تقتبس من القـرآن الذى تسرى عبارته فى فكرهم وأساليبهم؛ فانظر مثلا بالاضافة الى ماسبق قول الشيخ «ولا أحـرف الكلم عن مواضعـه».. إلى آخر هذه العبارات التى تكشف عن هذه الظـاهـرة، وانظـر كذلـك كيف يصبح أسلوب النفى وسيلة تضـاعف من إحسـاس المتلقى بالقيمة الايمانية للفكرة، عندما يتكرر هذا النفى فى عبـارات متـزاوجـة متنـاظـرة تتوخى الاحاطة والشمول للفكـرة المعـبر عنهـا: مثل «لاسميّ له، ولاكفؤ له، ولاندّ له» وقبل ذلـك «لا أكيف ولا أمثـل» فإذا ما ربطنا بين هذا النسق التعبير ى وما بدأ به الشيـخ رسـالته من حسم فى مفهوم الايمان، تجلت لنا شخصية صادقة مؤمنة فاهمة لجوهر هذا الدين القيم، بل وكأنها مهيأة من قبل الله تعـالى لتـؤدى هذا الـدور المنوط بها فى تحرير العقيدة من كل وهم وزيف وخـداع وانحـراف، من هنـا يأتى هذا التنزية المطلق للمولى سبحانه وتعالى، فى نهاية هذه الفقرة، ذلك التنزيه الذى تجسده الآية الكـريمـة «سبحـانربك رب العـزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين» وهو استشهاد منطقى فى مكانة، حيث يدعم تتابع هذه المسلمات التى تشكل جوهر العقيدة.

---

١ ـ سورة البقرة آية ١٧٧.

وهكذا تتوحد هذه الفقرة حول حقيقة الايمان، وتصبح توطئة للفقرة التى تليها والتى تتحدث عن حقيقة إيمانية أخرى، وهى الايمان بالقرآن وإرادة الله . . إلى آخر هذه الحقائق والمسلمات والقضايا التى يعقبها الشيخ بالرد على من اتهموه باطلا بغير مايعتقد ، من هنا جاء هذا التوضيح السابق لمفهوم العقيدة لديه، وأعقبه ببيان زيف ما ادعاه غيره عليه، ثم كان هذا التحذير من قبول أنباء الفاسقين حتى يتبين المتلقى صوابها وحقيقتها.

ولاشك أن هناك ارتباطا وثيقا بين الدعوة إلى الايمان الصادق ورفض الاشاعات وهو الخيط الخفى الذى يلف هذه الرسالة، التى شكلت البسملة وإشهاد الله والناس مقدمتها، ثم جاء الموضوع حيث عرض لمفهوم الايمان الصحيح ومكوناته، ثم التحذير من تصديق أى مفهوم عن الشيخ غير ذلك، وكانت الخاتمة المنطقية الدعوة إلى التدبر والعلم والتأكد من الأخبار.

ويتضح قيمة الوسائل الموظفة هنا، إذا أن النثر فى ذلك الوقت كان ضعيفا، مثقلا بالمحسنات، ولاجديد تعطيه الكتابة فكرا أو أسلوبا، اللهم إلا مثل هذا القليل الذى يصدر عن الشيخ ابن عبدالوهاب وأمثاله من رواد الاصلاح.

. . . . . .

التوحيد . . وصقل العقول : جمال الدين الأفغانى (١)

أوضح السيد جمال الدين الأفغانى فى رسالته للرد على الدهريين (٢) . أن الدين أساس الحياة والمدنية ، وقوام العمران ، وركز الانتباه على أهمية العقل وصفائه وتحريره من كل وهم ليدرك الخالق الحق جل وعلا ، فى وحدته وتفرده ، ومن ثم يطرح الانسان أن يكون لغير الله

---

١ ـ هو السيد محمد جمال الدين الأفغانى بن صفدر ، وهو ينتمى إلى أسرة مجيدة لها تاريخها ومكانتها فى بلاد الأفغان ، وقد ولد فى قرية على مقربة من مدينة كابل ، وبدأ السيد جمال الدين بدراسة العلوم الاسلامية والعربية ، واطلع على العلوم الحديثة ، وسافر إلى الهند فى مقتبل شبابه لاكمال علومه . ثم زار الحجاز وأدى فريضة الحج . ولما عاد إلى وطنه شغل أحد المناصب الكبرى . لكن الثورات العديدة فى بلاد الأفغان أكرهته على الخروج منها ، فاتجه إلى الهند ثم إلى مصر ثم إلى تركيا ثم إلى مصر مرة ثانية ، وكان من أكبر الداعين فيها إلى الثورة ضد الخديوى توفيق ، ولما نفى من مصر اتجه إلى الهند ومنها إلى باريس ثم إلى طهران ، ومنها إلى بطرسبرج بروسيا ، ثم إلى إيران مرة ثانية ، ثم إلى انجلترا ، وأخيرا نزل بتركيا للمرة الثانية . ومات فيها فى السنوات الأخيرة من القرن الماضى .

وتكشف لنا حياته الحافلة عن نشاطه العظيم فى بعث الشعوب الاسلامية ، ودعوتها إلى التحرر من سيطرة الدولة الأوربية . وإليه يرجع الفضل الأكبر فى نهضة هذه الشعوب وتحرير فكرها الاسلامى من الزيف والضلال . (عن كتاب : نصوص مختارة من الفلسفة الاسلامية للدكتور محمود قاسم) ، وله غير رسالته فى الرد على الدهريين مقالاته الصحفية لاسيما ما كان «بالعروة الوثقى» التى أصدرها مع الشيخ محمد عبده فى باريس .

٢ ـ هم هذا الفريق الذى ينطبق عليه قوله تعالى : «وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ، وما لهم به من علم إن هم إلا يظنون» . سور الجاثية آية ٢٤ .

وقد ألف الشيخ جمال الدين هذه الرسالة للرد على الملحدين من الهنود الذين خدعتهم النظريات الغربية وأهمها نظرية دارون .

سبحانه وتعالى أثر ينفع أو يضر، وهذا قمة الاعتزاز بالنفس ، وبلوغ المسلم العـزة التى أرادهـا الله تعـالى له، وبـرغم أن الغاية يمكن أن تكـون وعظيـة خطـابية إلا أن الصياغة تتجاوز التقريرية إلى توظيف التصـويـر كوسيلة تعبير ية ، للتأثير فى المتلقى وإقناعه بالفكرة، حيث يصـور الـوهم دنسـا للعقل، وحجابا يحول بينه وبين الواقع ، كما يبر ز الخـرافـة فى صورة الممسكـة بالعقـل عن حرية الفكر، من هنا يصبح العقـل مقيـدا أسير الوهم فلا يدرك الحق ، كما يضاعف الكاتب من تأثـير سيطـرة الـوهم والخـرافـة على العقل، بتتبع أثر ذلك فى سلوك الشخص نفسـه، وأيضـا بنفس الـوسيلة التعبـير يـة المـوظفـة، وهى التصـويـر، حيث يستشعـر هذا الواهم الوحشة والخوف والاضطراب من كل ما لا يخيف، فيتشـاءم من الطيـور وتـزعجـه الـرياح، والتماع الـبر ق، وهكـذا يستخـدم وقـع الطبيعة فى جلاء أبعاد شخصية هذا الـواهم، بل ويسـبر غوره عنـدما أصبح فاقدا لنفسه وعقله وروحه، ومطيـة للوهم والضيـاع . . من هنا يأتى الشيخ جمال الدين فى الفقرة الثـانيـة ببيان مايفتقده، هذا الانسان حتى يجلى من كينونته، ويثبت ذاته، كإنسان سوى، . . ولن يكون ذلك إلا بتوحيد الله والاعتصام بالايمان به سبحانه وتعالى خالقا قادرا متوحدا، فإذا ما استقر ذلك فى العقـل، صفـا واستشعـر صاحبه إنسانيته وعزته التى أرادها له خالقه جل وعـلا ، كما تغمـره السعـادة والأمن والاطمئنـان، لأن عقله قد صقله التوحيد.

وفيما يلى جزء من هذه الرسالة :

«من رسالة الرد على الدهريين» ص ٧٨ ، ٧٩ (١)

الأول صفـاء العقـول من كدر (٢) الخرافات وصدأ الأوهام(٣). فإن عقيـدة وهميـة لو تدنس (٤) بها العقـل لقامت حجابا كثيفا يحول بينـه وبـين حقيقة الواقع، ويمنعه من كشف نفس (٥) الأمر، بل إن خرافـة قد تقف بالعقـل عن الحـركـة الفكـريـة، وتـدعـوه بعد ذلك أن يحمـل المثـل على مثله ، فيسهـل عليه قبول كل وهم وتصديق كل ظن. وهذا مما يوجب بعده عن الكمال، ويضرب له دون الحقائق

---

١ ـ نقلها من الفارسية إلى العربية محمد عبده وصدرها بترجمة للأفغانى وعثمان أمين نشر مكتبة الخانجى بمصر ومكتبه المثنى ببغداد، كما ورد هذا الجزء فى كتاب نصوص مختارة من الفلسفة الاسلامية للدكتور محمود قاسم ، ط . مكتبة الانجلو المصرية، سنة ١٩٦٩ م، ص ١٠٦ ، ص ١٠٧.

٢ ـ الكدر: عدم الصفاء

٣ ـ الأوهام : الآراء الفاسدة.

٤ ـ تدنس : تلوث

٥ ـ نفس : حقيقة.

ستارا لايخرق . وفوق ذلك ماتجلبه (١) الأوهام على النفوس من الوحشة ، وقرب الدهشة والخوف مما لايخيف، والفزع مما لايفزع ، ترى الواهم المسكين يقضى حياته بين رجفة(٢) واضطراب : يتطير(٣) من طيران الطيور وحركات البهائم ، ويضطرب من هبوب الرياح، وينزعج لقصف(٤) الرعد والتماع البرق عليه، ويسلك به الوهم طرق الخيفة (٥) مما لا أثر له فى الأخافة ، وبهذا يسجل عليه الحرمان من أغلب أسباب السعادة ، ثم يكون ألعوبة فى أيدى المحتالين وصيدا فى حبائل(٦) الماكرين والدجالين(٧) .

وأول ركن بنى عليه الدين الاسلامى صقل(٨) العقول بصقال التوحيد، وتطهيرها من لوث(٩) الأوهام . فمن أهم أصوله الاعتقاد بأن الله منفرد بتصريف الأكوان ، متوحد فى خلق الفواعل(١٠) والأفعال . وأن من الواجب طرح كل ظن فى إنسان أو جماد، علويا كان أم سفليا، بأن له فى الكون أثرا ينفع أو يضر، أو إعطاء أو منعا أو إعزازا أو إذلالا . ومن المفروض خلع كل عقيدة بأن الله جل شأنه ظهر ، أو يظهر بلباس البشر أو حيوان آخر لصلاح أو فساد . . »

---

١ ـ تجلبه : تأتى به .

٢ ـ رجفة : اضطراب شديد .

٣ ـ يتطير : يتشاءم .

٤ ـ قصف الرعد : صوته الشديد .

٥ ـ الخيفة : الخوف .

٦ ـ حبائل : شباك أو حيل .

٧ ـ الدجالين : المشعوذين .

٨ ـ صقل : تطهير وتهذيب .

٩ ـ لوث : مس الجنون أو الحمق .

١٠ ـ الفواعل : الأسباب الفعالة .

ولعل القارىء قد أدرك الارتباط الوثيق بين الفقرة الأولى التى تصور حال الواهم أسير الخرافات، وبين الفقرة الثانية التى تكشف عن كون التوحيد هو الصاقل للعقل. بل إن الفقرة الثانية لا تأتى إلا والنفس والعقل مهيئان لقبولها والاقتناع بها بعد أن تقدم وصف العلة فكان لا بد من ذكر الدواء.

حتى عندما يستخدم الشيخ المحسنات تصبح لديه وسيلة جمالية تتجاوز الشكل إلى المضمون: فالتطير من الطيور تكشف عن ضعف هذا الواهم، ثم انظر فى هذه المتقابلات التى تؤكد وحدانية الله وتفرده ـ جل وعلا ـ فى عقل المؤمن الذى صقله التوحيد عندما يطرح كل ظن فى إنسان أو جماد، علويا كان أم سفليا بأن له أثرا ينفع أو يضر، أو إعطاء أومنعا، أو إعزازا أو إذلالا، بل إن هذه المتقابلات لتترابط، ويتصاعد معها الخط الايمانى فى النفس، مشكلا لهوية المؤمن الموحد، بصفاء عقيدته، وتوجهه الكامل نحو الله سبحانه وتعالى:

«قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد»..

.. .. ..

الرسول ﷺ ومخالفة السنن

للشيخ محمد عبده(١)

فى مقال للشيخ محمد عبده عن رسالة الرسول عليه الصلاة والسلام، يتحدث الشيخ عن حالة الفرس والروم قبيل بعثته عليه السلام، وكيف كانت الجزيرة العربية ـ كبقية العالم ـ بحاجة إلى هداية السماء، حيث اختلطت القيم، واضطربت معايير السلوك والأخلاق فى كل شيء.

أما أخلاق الرسول عليه الصلاة والسلام فكانت ـ برغم ماحوله ـ نموذجا آخر، خالف ما عرف من سنن، فبرئت نفسه مما حوله من عوج، وتخلص من الفكر المنحرف فى بيئته، هذا برغم أنه لم يكن يتعلم من كتاب، أو يسترشد برأى أستاذ، كره الوثنية، وألف الطهر، وتحمل هموم قومه، فكانت رعاية الله له، واصطفاؤه لخاتم الرسالات وأعظمها، يقول الشيخ محمد عبده:

---

١ ـ ولد الشيخ محمد عبده سنة ١٢٦٦ هـ، سنة ١٨٤٥ م فى أسرة فقيرة بمحلة نصر بمديرية الغربية بمصر، لكنها كانت تتمتع بسمعة طيبة، شهامة وتقوى وكرما، وقد تعلم بالأزهر والتقى بالسيد جمال الدين الأفغانى فتلمذ عليه، وكان أنجب تلاميذه، وأصدق أعوانه، وقد عمل بالتدريس والصحافة، كما نفى بعد فشل الثورة العرابية، وأقام مدة النفى ثلاث سنوات فى بيروت.

وقد لحق بجمال الدين الأفغانى فى باريس وأصدرا معا جريدة العروة الوثقى، التى أقلقت الانجليز والفرنسيين، فاحتجبت بعد ظهور ثمانية عشر عددا منها، لكنها أسهمت فى بذر كثير من بذور الوعى والتطور فى العالم الاسلامى، كما أثارت كثيرا من الأفكار الاسلامية الصحيحة.

وبعد أن عفى عنه رجع إلى مصر فعمل بالتدريس، وتقلب فى وظائف القضاء، حتى عين مفتيا، وعضوا دائما بمجلس شورى القوانين، وحاول إصلاح الأزهر وبرامج التعليم، وتهيئة الأذهان للتطور، ورفع وعى الجماهير.

ويعد الشيخ محمد عبده من طلائع النهضة الحديثة فى العالم الاسلامي، كما خلف مدرسة فكرية تحاول الاسترشاد بمبادئه فى مختلف أرجاء العالم الاسلامي، وقد توفى سنة ١٩٠٥ م.

« من السنن المعروفة أن يتيما فقيرا أميا مثله تنطبع نفسه بما تراه من أول نشأته إلى زمن كهولته، ويتأثر عقله بما يسمعه ممن يخالطه ولا سيما إن كان من ذوى قرابته، وأهل عصبته، ولا كتاب يرشده ولا أستاذ ينبهه، ولا عضد إذا عزم يؤيده، فلو جرى الأمر فيه على جارى السنن لنشأ على عقائدهم، وأخذ بمذاهبهم، إلى أن يبلغ مبلغ الرجال، ويكون للفكر والنظر مجال، فيرجع إلى مخالفتهم، إذا قام له الدليل على خلاف ضلالاتهم، كما فعل القليل ممن كانوا على عهده، ولكن الأمر لم يجر على سنته، بل بغضت إليه الوثنية من مبدأ عمره، فعاجلته طهارة العقيدة، كما بادره حسن الخليقة، وما جاء في الكتاب من قوله: «ووجدك ضالا فهدى»، لا يفهم منه أنه كان على وثنية قبل الاهتداء إلى التوحيد، أو على غير السبيل القويم، قبل الخلق العظيم، حاش لله، إن ذلك هو الافك المبين، وإنما هى الحيرة تلم بقلوب أهل الاخلاص، فيما يرجون للناس من الخلاص، وطلب السبيل إلى ما هدوا إليه من إنقاذ الهالكين، وإرشاد الضالين، وقد هدى الله نبيه إلى ماكانت تتلمسه بصيرته باصطفائه لرسالته، واختياره من بين خلقه لتقرير شريعته»(١).

ويلاحظ القارىء لهذه الفقرة من مقال الشيخ محمد عبده أنه لم يعرض للسيرة عرضا تاريخيا، بل يحلل الظواهر تحليلا إنسانيا، يكشف عن تميز الرسول عليه الصلاة والسلام وتربية الله سبحانه وتعالى له، حيث خالف منهج حياة المصطفى السنن المعروفة، فمع اجتماع اليتم والأمية والفقر، كان طبيعيا أن يكون هذا الانسان صورة لما حوله فكرا وسلوكا وعقيدة، أو على الأقل يكون مثلهم ثم بالتأمل والنظر يكتشف انحراف معتقداتهم وفساد فكرهم فيتحول عن كل هذا الزيغ والضلال، لكن الرسول عليه الصلاة والسلام، ألف الطهر منذ نشأته، وتحرر عقله من الخرافات من مبدأ عمره، هذه هى الفكرة الأولى فى هذه الفقرة، وقد صاغها بأسلوب يستهدف إقناع المتلقى، من هنا فقد زاوج الكاتب بين طول الجمل وقصرها، وفى الغالب تكون الجملة الطويلة لعرض السنة المألوفة ثم يدعمها بالجمل

١ ـ محمد عبده رسالة التوحيد

القصيرة التى تؤكد مضمونها مثل «ولا كتاب يرشده، ولا أستاذ ينبهه»، وهنا يقوم تكرار النفى لكافة الجنس بمضاعفة الاحساس بجريان الأمر على السنة المألوفة ، فإذا ما جاء الكاتب بما يخالف ذلك كان هذا مثار الدهشة، وإثبات أثر العناية الالهية التى تتضح فى تربية الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، ويلاحظ أن استخدام الكاتب لحشد من التحسين الشكلى اللفظى يتم بعفوية آسرة تكسب الأسلوب تناسبا وتنسيقا ملفتا للنظر، «كالتقابل» فى النشأة والكهولة بغرض إثبات فكرة خضوعه للسنن المألوفة، «والتناسب» بين «قرابته وأهل عصبته» لنفس السبب، بل إنه ليجعل السجع يحدث إيقاعا مطلوبا خلال الفقرة كلها، مما يجعلها تسرى على اللسان وتنساب إلى الأذن والقلب فكرة ومتعة ، ثم انظر إلى هذا الفيض الربانى فى «عاجلته طهارة العقيدة، كما بادره حسن الخليفة» حيث استطاعت العبارة بنسقها وبنائها نقل هذه الهبة الربانية الخاصة السريعة.

والكاتب من أجل الاحاطة بفكرة نقاء الرسول عليه الصلاة والسلام وطهارة فكره قبل البعثة، يعرض فى كشف يقينى لقوله تعالى: «ووجدك ضالا فهدى» نافيا لمفهوم الضلال والوثنية عن الرسول ﷺ، مستخدما لألفاظ غاية فى الرفض والنفى مثل «حاشا لله» «ذلك هو الا فك المبين» وهو يحاول أن يستمدها من روح الصياغة القرآنية، ثم يعقب هذا النفى ببيان أن هذا الضلال إنما هو حيرة المخلصين الباحثين عن الخلاص، ويصوغ ذلك بأسلوب حاسم يشكل القصر البلاغى أساسه المعنوى، فيتصل الاخلاص بالخلاص ويتحقق اصطفاء رب الخلق لخير الخلق عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

. . . . . .

الأدب الطبيعى الجميل ـ لأبى الحسن الندوى(١)

قام أبـوالحسن النـدوى بجمـع مختـارات من الأدب العـربى فى جزئـين، حاول فيهـا أن تكـون ممثلة للأدب العـربى الاسلامى ، فى جميـع مظـاهـره ومنـاحيـه الأدبيـة والتـاريخيـة والتهذيبية، من العصر الاسـلامى الأول إلى القـرن الرابع عشر الهجرى ، وفى المقدمة التى كتبهـا للجـزء الأول بين أن الأدب العـربى أصيب بمحنـة طبيعيـة، حيث إنهـا قد توجـد فى كل الآداب، لكن الفـارق أنها تطول فى أدب أمـة ما ، وتقصـر فى أدب قوم آخـرين ، نتيجـة لعـوامـل البعث والتجـديـد، وحـركـات الاصلاح، وغير ذلك من العوامل السياسية والأحوال الاجتماعية، والمتغيرات الحضارية التى تؤثر فى حالة الأدب.

كما يبين فى هذه المقدمة أن الأدب الصناعى، وهو أدب المحترفين والمقلدين، قد طغى على الأدب الجميل الذى تزخر به المكتبة العربية الإسلامية وهو مايجب أن نقدمه لأبنائنا وشبابنا، والباحثين عن أصلنا وكينونتنا الإسلامية. فما هذا الأدب الجميل فى نظر أبى الحسن الندوى؟ :ـ

---

١ ـ من أبرز مسلمى الهند المخلصين الذين كشفت عنهم الصحوة الاسلامية المعاصرة يشرف على عدد من المؤسسات التى ترعى اللغة العربية وتعنى بشئون الاسلام فى الهند كندوة العلماء بلكنهؤ هناك، حيث يصدرون مجلة «البعث الاسلامى» وهى شهرية اسلامية جامعة أنشأها الاستاذ محمد الحسنى (رحمه الله) ، كما تضم أسرته عددا من العلماء المهتمين بالاسلام ورسالته. ـ

«وإن هذا الأدب الطبيعى الجميل القوى كثير وقديم في المكتبة العربية ، بل هو أكبر سنا وأسبق زمنا من الأدب الصناعى ، فقد دون هذا الأدب في كتب الحديث والسيرة ، قبل أن يدون الأدب الصناعى في كتب الرسائل والمقامات ، ولكنه لم يحظ من دراسة الأدباء والباحثين وعنايتهم ما حظى به الأدب الصناعى ، مع أنه هو الأدب الذى تجلت فيه عبقرية اللغة العربية وأسرارها وبراعة أهل اللغة ولباقتهم ، وهو مدرسة الأدب الأصيلة الأولى .

ونأخذ كتب الحديث والسيرة ـ كمثال لهذا الأدب الطبيعى ـ أولا فنقول : إنها اشتملت على معجزات بيانية وقطع أدبية ساحرة ، تخلو منها مكتبة الأدب العربى ـ على سعتها وغناها ـ وهو دليل على صحة هذه اللغة ومرونتها ، واقتدارها على التعبير الدقيق عن خواطر ومشاعر ووجدانات وكيفيات نفسية عميقة دقيقة ، ووصف بليغ مصور للحوادث الصغيرة ، وهى الكتب التى حفظت لنا مناهج كلام العرب الأولين وأساليب بيانهم . ولئن صح ما قاله الرقاشي : «إن ماتكلمت به العرب من جيد المنثور ، اكثر مما تكلمت به من جيد المنظوم ، فلم يحفظ من المنثور عشره ، ولاضاع من الموزون عشره» فكتب الحديث النبوى تسد هذا الفراغ الواقع فى تاريخ الأدب العربى ، تنقل إلينا هذا الذخر الأدبى الذى أعتقد أنه قد ضاع ، وتمتاز أنها قد اتصل سندها ، وصحت روايتها ، فهي أوثق مصدر للغة العربية البليغة التى كانت سائدة فى عهدها الذهبى الأول ، وللأدب العربى الذى كان منتشرا فى جزيرة العرب .

ـ وقد ساهم بنشاطه فى بعض المجامع العربية كالمجمع العلمى بدمشق ، ويعتبر من رواد المسلمين الداعين إلى الأدب الاسلامي ، كما رأس أول ندوة عالمية للأدب الاسلامى فى الهند سنة ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م . وما زال يواصل عطاءه الاسلامي الخصب كداعية اسلامى ومفكر مخلص للدين الحق أطال الله عمره ونفع به .

أما الروايات الطويلة ، فهى ثروة أدبية قيمة فنية عظيمة وهى التى تجلت فيها بلاغة الراوى العربى واقتداره على الوصف والتعبير والتصوير، وهي التى يطول فيها نفسه، فيحكى حكاية يعبر فيها عن معان كثيرة وأحاسيس دقيقة، ومناظر متنوعة، فلا يخذله اللسان، ولا يخونه البيان، ولا يتخلف عنه مدد اللغة، وكأنها لوحة فنية منسجمة متناسقة قد أبدع فيها الفنان، أو صورة متناسبة قد أحسن فيها المصور كل الإحسان.»(١).

. . . . . .

ومن هذا هذا الذى اقتطفناه من مقدمة أبى الحسن، يتضح أن الأدب الطبيعى الجميل القوى ـ فى نظره ـ موجود فى المكتبة العربية ، وهو مرتبط بمجىء الاسلام، حيث إن النماذج التى قدمها تبدأ تاريخيا مع البعثة الكريمة، وإذا كان يشير إلى أن هذا الأدب موجود فى كتب الحديث والسيرة، فقد تجاوزت النماذج ذلك.

كما يرى أن ما فى كتب الحديث والسيرة من معجزات بيانية وسحر أدبى دليل على صحة العربية ومرونتها ، وما تتمتع به كلغة من قدرة على التعبير، وإذا كان الرقاشى يرى أن منثور العرب قد ضاع معظمه، فإن ما فى كتب الحديث والسيرة يسد هذا الفراغ ـ فى نظر أبى الحسن ـ بل إن اتصال السند وصحة الرواية ليرقى بهذه النماذج، ليجعلها تحتل مكان الصدارة فى الثقة بها، فضلا عن أن قصير هذه الروايات وطويلها حافل بألوان الجمال التعبيرى، مما يشهد للبلاغة العربية بالمقدرة، كما يشهد للغة بالسعة والافتنان، وأول ما يأخذ القارىء لكتابات أبى الحسن الندوى هذا الحسى الاسلامى الصادق الخصب، وذلك الاخلاص الذى قلما يتوفر إلا لمن وهبوا مثل ما وهبه هذا الرجل، من فهم عميق، وذوق مثقف راق، ومقدرة على التفنن والتصرف اللغوى الذى تدعمه نظرة جمالية إسلامية أصيلة.

---

١ ـ أبو الحسن الندوى مختارات من أدب العرب قسم النثر حـ ١ تعليق أبى الفضل عبدالحفظ البلياوى طـ ٣ سنة ١٣٩٩ هـ ١٤٠٠ هـ دار الشروق جدة ص ٨ ، ٩.

ويجد القارىء هذا الترتيب المنطقى للفكرة التى يريد أن يقنع بها، وهى سمة هامة من سمات المقالة، حيث يعرض عرضا عاما للأدب الجميل القوى، ثم تحديدا لزمنه وتوصيفا مجملا لسماته، ثم تفصيلا لها مع ضرب نموذج، يكشف من خلال حديثه عنه عن مزايا اللغة العربية التعبيرية والجمالية التى تزخر بها مثل هذه النصوص.

وهو لا يكلف القارىء من أمره عسرا، حيث تتقدم عبارته رويدا رويدا بسهولة، وفى وضوح وجلاء كاشفة عن أبعاد فكرته، التى لم يدفعه حماسه لها - برغم شدته - من أن يشتط ، وإنما هو يحاول أن يصل إلى عقل القارىء بالدليل والصوت الهادىء، والنغمة المقنعة، من ثم فقد حفلت عبارته بوسائل التوكيد المختلفة التى تتظاهر على جلاء وإبراز فكرته، فنجد مثلا «إن» فى مطلع كل فقرة - فى هذا الذى اقتطفناه له - وتنتشر داخلها، كما نلاحظ أنه يؤثر الجملة الاسمية لدلالتها على الثبوت، وهو عندما يوظف من التراث «قول الرقاشى» إنما يتخذه تكأة ليبنى عليه وجهة نظره، وليس لمجرد الاستدلال ، مما يجعل القول التراثى لبنة فى مقاله توشك أن تكون له خالصة.

وأبو الحسن مدرك بذكاء لمزايا اللغة العربية - دون اسراف - من هنا كانت قيمة هذه النصوص التى يقدمها فى مختاراته، فمرحبا بهذه الجهود فى رحاب الساحة الاسلامية الطاهرة، التى تضم من المخلصين من يحتسبون الأجر والثواب عند الله، ومرحبا بسدنة الكلمة يوظفونها من أجل دعوة الحق ، وجلاء كل شك وريب عن تراث مشرق، وحضارة زاهرة.

خاتمـــــة

وهكذا تأتي هذه المحاولة إلى الحد الذى أريد لها أن تصل إليه، وإنى لآمـل ، أن تكـون قد كشفت عن شىء مما أتغيـاه، وهـو محاولة تقـديم تصـور للأدب الاسـلامى، وعـرض لنماذج منه تناقش بعض قضاياه الفنية، حيث يغنى النموذج عن الحصر.

ولعل هذه المحاولة تجد من المخلصين ـ فى هذا المجال ـ من يرفدها بمحاولات أخرى ، ويخصبها بنظرات ، ويثريها بدراسات، يتغيا بها وجه الله، والكشف عن سبيل من سبل الدعوة إليه سبحانه وتعالى، وسوف يعينه المولى جل وعلا، طالما توفرت هذه الغاية الصادقة.

وتبقى فى النفس كلمات . . لعل أهمها حتى لاتخرج هذه الدراسة عما أريـد لها، وهى أن كل مايـدعو إلى حق ، ويكشف قيم الاسلام وعطـاءه الخصب للانسـانيـة، ويجلى وجـه مبـادئـه المشرقة التى بنت حضـارة عظيمـة، متخـذا من العبـارة العـربية الجميلة الموحية وسيلة لعمله، ومـوظفـا لأى شكـل من أشكـال الأدب، يجب أن يلتقى مع هذا المفهوم الذى اتخذناه عنوانا لهذه الدراسة، وفى تصورى أنه يكفينا حسن النوايا، طالما أن هذه النتاج الجميل لايتجاوز عقيدة، ولايغفل سلوكـا إسـلاميـا، أويتخطى عرفا إيمانيا، فالاسلام خاتم الرسالات يتجـاوز الاقليميـة والعصبيـة الضيقـة، إلى متنفس فسيح يضم الانسـانيـة جمعـاء، فى وحـدة شاملة للنـاس كافـة، بل تشمل الحياة والأحياء والجمادات . . ألا يسبح كل شىء بحمده!

«فتبـارك الله أحسن الخالقين» . .

واللهم تقبل أعمالنا خالصة لوجهك الكريم، وسلام على عبادك الصالحين . .

ملاحـــق

١ ـ توصيات الندوة العالمية الأولى للأدب الاسلامى بالهند ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م.
٢ ـ توصيات الحوار حول الأدب الاسلامى بالمدينة المنورة ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م.

* * * * * * * *

ملحـــق (١)

سوف يجد القـارىء الكـريم فيما يلى التوصيات التى صدرت عن أول مؤتمـر للأدب الاسـلامى الذى عقد فى لكهنؤ بالهند، وهى ثمرة جهـود مخلصـة فى هذا المجال علها تكشف بتنوعها وخصوبتها المجال الفسيـح الـذى يمكن أن يتحـرك فيه الأدب الاسلامى لأداء دوره فى الدعوة إلى الله . . والحفاظ على لغة القرآن الكريم .

* * * * * * * *

توصيـــات

الندوة العالميـة للأدب الاسلامي
المنعقدة فى ندوة العلماء ١١ ـ ١٣ جمادى الآخر ١٤٠١ هـ
١٧ ـ ١٩ أبريل ١٩٨١ م

* دعوة الباحثين إلى إبراز مفهوم الأدب الاسلامي والكتابة في تاريخ الأدب العربى وفقا للنظرة الاسلامية الصحيحة.
* إنشـاء أمـانـة دائمـة لنـدوة الأدب الاسـلامى مقرها ندوة العلماء ـ بلكهنؤ ـ الهند
* اعادة النظر في المناهج الدراسية مراعاة أن تنمى وعى الناشىء المسلم.
* تنسيق جهود الأدباء الاسلاميين.
* التربية الاسلامية ، وأدب الأطفال والشباب.

* * * * * * *

الحمـد لله والصـلاة والسـلام على رسـول الله ، انعقـدت النـدوة العالمية للأدب الاسلامى فى دار العلوم لندوة العلماء بلكهنؤ في الهند. من الحادى عشر إلى الثالث عشر من شهر جمادى الآخرة ١٤٠١ هـ ، من ١٧ إلى ١٩ نيسان (إبريل) ١٩٨١ م بدعوة من دار العلوم لندوة العلماء فى لكهنؤ.

ويتوجه أعضاء الندوة العالمية للأدب الاسلامى إلى سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى النـدوى بجـزيـل التقـدير وعظيم الاجلال على مبـادرتـه إلى الـدعـوة لهذه الندوة وإبراز أهمية الأدب الاسلامى وهم يشكـرونـه ويشكـرون أعضـاء دار العلوم ندوة العلماء فى لكهنؤ على كريم دعوتهم وحسن ضيافتهم وجميل رعايتهم ، ويسألون الله عز وجـل أن يمـد الله فى عمـر الشيخ المفكر المربى الجليل وأن يحفظ عليه عافيته ليواصل جهوده المباركه في سبيل الاسلام والمسلمين.

وينتهز أعضاء الندوة الفرصة للاشادة بجهود دار العلوم ندوة العلماء بلكهنؤ فى الحفاظ على الشخصية الاسلامية للاجيال المتعاقبة لأبناء المسلمين فى الهند، ونشر دعوة الاسلام وعلومه ولغته العربية كما يشيدون بجهود الجامعات والمؤسسات التعليمية الاسلامية الأخرى بالهند فى هذا المضمار، وهم يهيبون بالدول الاسلامية والعربية والمؤسسات التعليمية العلمية لمؤازرة دار العلوم ندوة العلماء فى لكهنؤ وسائر المؤسسات التعليمية الاسلامية فى الهند فى جهودها لتعليم الاسلام اللغة العربية والعمل لتوسيع نشاطها، وزيادة امكانتها، ورفع كفائتها.

ولقد استمع أعضاء الندوة فى جلسات متعاقبة فى الصباح والمساء منذ مساء الجمعة، الحادى عشر من جمادى الآخر إلى مساء الأحد الثالث عشر منه، استمعوا إلى البحوث المقدمة من أعضاء الندوة وناقشوا أصحابها، وهم يتقدمون بالتوصيات التالية:

أولا فى مجال البحث فى الأدب الاسلامي وتشجيعه بوجه عام:

١ ـ دعوة الباحثين إلى إبراز مفهوم الأدب الاسلامى وإيضاح موقف الاسلام فى الأدب، ومكان الأدب فى بناء الاسلام للفكر والمجتمع.

٢ ـ دعوة الباحثين إلى الكتابة فى تاريخ الأدب العربى وفقا للنظرة الاسلامية الصحيحة، وعرض تاريخ الأدب الاسلامى وإبراز المفهوم الاسلامى للنقد.

٣ ـ بذل الجهود لاخراج دليل لمكتبة الأدب الاسلامى المكتوب بالعربية وبلغات الشعوب الاسلامية الأخرى، وموالاة إصدار النشرات المكتبية، الببليوغرافية، الدورية، لمتابعة الجديد فى هذا المجال.

٤ ـ الدعوة إلى الاهتمام بالأدب الاسلامى المعاصر والاعلام به وعرضه ونقده نقدا موضوعيا والعمل على تشجيعه ونشره بكل الوسائل الممكنة.

٥ ـ حث المؤسسات التعليمية والثقافية، حكومية وشعبية على تشجيع ذوى الطاقات المبدعة وتوجيهها الوجهة الاسلامية وتنظيم المسابقات لكتابة القصص والمسرحيات والمسلسلات التى ترتكز الى الاسلام وتقدير الجوائز السخية للانتاج الفائز ونشره.

٦ ـ إنشاء أمانه لندوة الأدب الاسلامى والتقدم بالرجاء إلى دار العلوم ندوة العلماء لقبول أن تكون مقرا لها، وتتولى هذه الأمانة متابعة قرارات هذه الندوة ومايعقبها من ندوات كما تضطلع بتنظيم الندوات المتوالية على فترات دورية مناسبة فى مختلف البلدان الاسلامية، والاهابة بكل المؤسسات العلمية والثقافية والأدبية، فى هذه البلدان للمؤازرة بكل الامكانات المتاحة فى إقامة هذه الندوات الدورية للأدب الاسلامى.

ثانيا ـ فى مجال تعليم الأدب الاسلامى :

١ ـ دعوة الجامعات فى البلاد الاسلامية وغيرها إلى أن تشتمل خطط الدراسة بها على مقررات فى الأدب الاسلامى، تبين مناهجه التفصيلية مفهومه واتجاهه ومجالاته وتقدم نماذج صادقة معبرة له، ودعوة هذه الجامعات إلى تشجيع الدارسين فى الدراسات العليا على اختيار موضوعات بحوثهم فى مجال الأدب الاسلامى.

٢ ـ دعوة الجامعات الاسلامية والعربية لانشاء مراكز للأدب الاسلامى تخطط للبحث فيه، وتنظم الندوات والمؤتمرات لمناقشة قضاياه وتحديد منهج العمل لأجله، وتتعاون هذه الجامعات فيما بينها فى هذا المجال، والاهابة باتحاد الجامعات المسلمة والمغتربين المسلمين، هذا إلى جانب الافادة من الوسائل الحديثة لنشر العربية واتحاد الجامعات الاسلامية للمعاونة فى ذلك بكل مايمكن من صورة المعاونة.

٣ ـ دعوة الجامعات فى البلاد الاسلامية إلى تدريس آداب الشعوب الاسلامية المقارنه لتعريف الأجيال المسلمة بآداب المسلمين على اختلاف شعوبهم ولغاتهم ولاسيما آدابهم التى تستند إلى القيم الاسلامية.

٤ ـ إعادة النظر فى توزيع المقررات للدراسات الأدبية وفى مناهجها التفصيلية بمختلف مراحل التعليم ومراعاة أن تنمى هذه المقررات والمناهج وعى الناشىء المسلم وتكون ملائمة لعمره وحاجاته النفسية والفكرية.

ثالثا ـ فى مجال نشر الأدب الاسلامى وتنسيق جهود الأدباء الاسلاميين :

١ ـ إختيار النماذج الاسلامية الرفيعة من تراثنا الأدبى وإبراز القيم التى ترتكز إليها، والسمات والملامح التى تميزها بحيث تكون هذه النماذج أدبا للنفس كما هى أدب للدرس.

٢ ـ دعوة الأدباء الاسلاميين للافادة من كل الأشكال الفنية المقبولة ومنها المقالة والقصة والرواية والمسرحية، فى تقديم الأدب الاسلامى عن طريق مختلف وسائل الاعلام والنشر المتاحة من صحافة وإذاعة مسموعة وغيرها ، مع القيام بواجبهم فى حراسة قلوب المسلمين وعقولهم من أى إنحراف ، وإبراز ذاتية الفكر الاسلامى وأصالته، ومن قاعدته ينطلق الأدب.

وتذكير دعاة الاسلام بأن الأدب البليغ هو من الحكمة والموعظة الحسنة فعليهم أن لايغفلوا جمال التعبير والبيان ليتم البلاغة ويعمق التأثير فى النفس، ويتسع نطاقه بين الناس ، . ولايجوز ترك ساحة الأدب خلوا لتكون مرتعا لدعاة الفساد والشر، بل لابد أن يدفع الاسلاميون بحقهم باطل غيرهم ويكونوا البديل الصالح الذى ينفع الناس ويمكث فى الأرض.

٣ ـ بذل الجهود لنشر المختار من تراث الأدب الاسلامى ونتاج الأدب الاسلامى الحديث عن طريق دور النشر القائمة ما أمكن ذلك، مع التفكير فى إنشاء دار للنشر خاصة لهذا الغرض وإصدار مجلة للأدب الاسلامي والتعاون على تهيئة مجلة «البعث الاسلامى» التى تصدرها ندوة العلماء فى لكهنؤ لهذا الأمر.

٤ ـ بذل الجهود فى مجال الترجمة لنقل الروائع من أدب الاسلام وفكره من العربية إلى سائر لغات الشعوب الاسلامية ومن هذه اللغات الى العربية، ونقل الروائع الإسلامية كافة إلى اللغات الحية الأخرى.

٥ ـ تنبيه أهل الخير من المسلمين إلى تعدد مجالات البر وتعريفهم أن من أفضل القربات إلى الله الانفاق على الدعوة إلى الاسلام، ونشر علومه وكتبه ولغته ، وتدعيم المؤسسات القائمة على هذه الأمور.

٦ ـ دعوة الأدباء الاسلاميين إلى توثيق الأواصر فيما بينهم وتنسيق جهودهم، ومن خير مايحقق ذلك إقامة رابطة عالمية لهم يكون من نشاطها تقديم جوائز تقديرية وتشجيعية لأصحاب الأعمال الممتازة فى مجال الأدب الاسلامي، وتكون هذه الجوائز سنويا أوعلى فترات دورية ملائمة، وتمولها هبات الجهات الحكومية والخاصة والأفراد وسائر الموارد المشروعة.

رابعا ـ فى مجال التربية الاسلامية وأدب الأطفال واليافعين والشباب:

١ ـ التخطيط لاصدار مجموعة من الكتب تبين أصول الاسلام عقيدة وشريعة وأخلاقا وتاريخا لتلبى حاجة الأسرة المسلمة فى كل مكان ولاسيما أسر الأقليات المسلمة والمغتربين المسلمين، هذا إلى جانب الافادة من الوسائل الحديثة لنشر المعرفة مثل الأشرطة المسموعة والمرئية ـ الكسيت والفيديو ـ فى نشر التوجيه الاسلامي والثقافة الاسلامية، وتشجيع المحاولات الرائدة فى هذا المجال.

٢ ـ بذل الجهود لانشاء مدارس إسلامية ذات مستوى متميز وكفاءة عالية فى مراكز تجميع المسلمين بالبلاد غير الاسلامية منذ نعومة أظافرهم، والاهابة بالدول الاسلامية للمعاوضة فى ذلك بطاقاتها المادية والبشرية.

٣ ـ العناية بالأدب الاسلامى الموجه للأطفال واليافعين والشباب بمختلف أشكاله الأدبية من خلال كافة وسائل الاعلام والنشر، وتشجيع الأقلام المبدعة فى هذا المجال والعمل على نشر إنتاجها، وحث الأجيال الناشئة فى مختلف أعمارهم على القراءة والافادة من الثقافة وبكل وسائلها المتاحة.

خامسا ـ فى مجال نشر اللغة العربية وتعليمها :

١ ـ العمل على نشر اللغة العربية والثقافة الاسلامية فى كافة أنحاء العالم بوجه عام، وتعزيز مكانة اللغة العربية فى سائر الدول الاسلامية بوجه خاص، باعتبارها لغة القرآن ونظرا لوجوب معرفة المسلم العربية قدر طاقته لتصحيح صلاته، والتعرف على أحكام دينه، وحين تتآزر جهود المسلمين فى تعليم اللغة العربية وتعزيز مكانتهم بينهم شعوبا وحكومات، فقد يكون قريبا ذلك اليوم الذى تغدو فيه العربية لغتهم العلمية الأدبية الواحدة، ولغة تأليفهم ومؤتمراتهم.

ومن الواجب محاربة الدعوات الهدامة إلى غلبة اللهجات العربية المحلية على الأدب واستعمال الحروف اللاتينية فى كتابة اللغة العربية، ومن الواجب كذلك بذل الجهود المتضافرة لعودة اللغات الاسلامية التى كانت تكتب بحروف عربية، وانتقلت إلى اللاتينية، عودتها إلى إستعمال الحروف العربية فى الكتابة، ومن ذلك اللغات التركية، والملايوية، والأندونيسية والسواحلية.

٢ ـ دراسة أحوال المسلمين الذين لا يعرفون اللغة العربية فى البلاد الاسلامية وغيرها، والتخطيط لنشر العربية بينهم بمختلف الوسائل، والتعاون على تحقيق هذا الهدف بإقامة جهاز مشترك متخصص، ورصد المنح والجوائز والحوافز المادية والمعنوية التى تشجع على تعلم العربية والاعتماد على الوسائل العلمية والتكنولوجية الحديثة فى تعليمها ونشرها.

٣ ـ دراسة امكانات اختيار ألفاظ القرآن الكريم للاستفادة منها فى وضع معجم أو كتب لتعلم اللغة العربية من خلال الألفاظ القرآنية، والاسترشاد فى ذلك بالتجربة الرائدة للأخ الأستاذ عبدالله عباس الندوى فى كتابه: «تعلم لغة القرآن».

٤ ـ متابعة الجهود لانشاء المعاهد المتخصصة فى تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها وفى إعداد المعلمين فى هذا المجال وتدعيم المعاهد القائمة ورفع كفاءتها وتوسيع نطاق خدمتها.

٥ ـ تشجيع زيارة أبناء الأقليات الاسلامية للبلاد الاسلامية والعربية بدعوة من المؤسسات العامة والخاصة كالأجهزة المختصة برعاية الشباب والجمعيات لتوثيق روابط هؤلاء الناشئين بالمجتمعات الاسلامية فى رحلات تنظمها مؤسساتها العامة والخاصة إلى مراكز الأقليات الاسلامية للتعارف بهم ودراسة أحوالهم ، وتعزيز الروابط معهم مع اختيار المشاركين فى هذه الرحلات بحيث يكونون صورة طيبة لبلادهم الاسلامية دينا وسلوكا وثقافة .

وإن أعضاء الندوة ليهيبون بالمسئولين جميعا فى البلاد الاسلامية بأجهزة الدعوة والتربية والثقافة والاعلام وبالمجامع والمؤسسات الاسلامية أن يبذلوا كل طاقاتهم فى تأييد هذه التوصيات وتهيئة كل السبل الممكنة لتنفيذها ، وأنهم إذ يضعونها تحت نظر كافة الجهات المعنية بهذه المجالات فى الدولة الاسلامية ليأملون فى تضافر الجهود للعمل على تحقيقها .

ومن الله سبحانه وتعالى نستلهم الرشد والعون والتوفيق ، «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون» .

والحمد لله أولا وآخرا ، وبنعمته تتم الصالحات .

(ملحق ٢)

حوار حول الأدب الاسلامى ومناهج دراسته

ومما يذكر للجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة تلك الندوة التى عقدت تحت هذا العنوان المشار إليه فى الفترة من ٥ : ٩ رجب ١٤٠٢ هـ بدعوة من نائب رئيس الجامعة د . عبدالله الزايد .

وقد ناقشت الندوة كثيرا من القضايا الهامة في هذا الصدد، لكن لم يصدر عن المشتركين فيها اتفاق حول مفهوم الأدب الاسلامي مثلا ، على الأقل في المناقشات التى دارت، وربما كان الاتفاق في مثل هذا اللون من التفكير يضيق من مجال ثرائه وخصوبته .

* * * *

توصيات «ندوة الحوار حول الأدب الاسلامي»
التى عقدت في الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة

الحمـــد لله نحمـــده ونستعينـــه ونصـلي ونسلم على محمـد عبـده ورسوله، وبعد:ـ

فقـد عقـدت هذه النـدوة في الجـامعة الاسلامية بالمدينة المنورة في المـدة الـواقعة بين الخامس والتاسع من شهر رجب عام اثنين وأربعمائة وألف للهجـرة، وذلـك بدعوة من نائب رئيس الجامعة فضيلة الدكتور الشيخ عبدالله الزايد.

وإن أعضـاء الجـامعـة يتـوجهـون بجـزيل الشكر ووافر الثناء إلى فضيلة نائب رئيس الجـامعـة وعميـد كلية اللغة العربية فضيلة الشيخ عبـد الله بن أحمـد القـادري ـ على ما لاقـوه من اهتـمامهـما بالأدب الاسـلامي، وعنـايتهـما به، كما يشكـرانهـما على الحفاوة البالغة التى قوبلوا بها.

هذا وإن أعضاء الندوة ينتهزون هذه الفرصة ليتوجهوا بالثناء على جامعـة الامـام محمـد بن سعـود الاسـلاميـة ومعـالي مديرها الدكتور عبـدالله بن عبـدالمحسن الـتركي للسبق في تبنى الأدب الاسـلامي وجعله عنصـرا أسـاسيـا في قسم من أقسام كلية اللغة العربية وتوجيه عدد من المعيـدين للتخصص به، كما يثنـون على ندوة العلماء بدار العلوم فى لكهنـؤ بالهنـد على تبن الأدب الاسـلامى وتدريسه، وعقد الندوة العالمية الأولى للأدب الاسلامي فى شهر جمادى الثانية من عام واحد واربعمائة وألف للهجرة.

ويتمنـون على الجـامعات الاسلامية عامة والعربية منها خاصة أن تتبنى هذه المـادة العلميـة الأساسية رعاية للاسلام وأدبه وعناية بأدب الشعوب الاسلامية، هذا وإن أعضاء الندوة قد انتهوا إلى التوصيات التالية:

أولا تبنى الأدب الاسلامي والعناية به :

١ ـ دعـوة الـوزارات المختصـة والجـامعـات إلى تبنى هذا الأدب، والعناية به وتدريسه فى المراحل الثانوية، والجامعية ليعبر عن الاسلام وتعاليمه وينشر دعوته فى الأرض وذلك عن طريق الكلمة الطيبة المؤثرة.

٢ ـ إدخـال مادة الأدب الاسـلامي بصفـة عامـة وأدب الدعوة بصفة خاصـة فى أقسـام الـدعـوة والاعـلام وفى السنـوات التمهيـديـة من الـدراسـات العليـا وإعداد الرسائل الجامعية التى تبرز الأدب وتقعد له، وتخرج الباحثين المختصين فيه.

٣ ـ دعـوة البـاحثين من علماء المسلمين عامة وأدبائهم ونقادهم خاصة إلى إعداد البحوث فى هذا الأدب، ووضع قواعده فى النقد. وحض الجـامعـات على تبنى مايكتب فى هذا المجـال وطبـاعتـه ونشره وبذل المكافآت السخية لكتابه.

٤ ـ دعـوة الجـامعـات فى الأقطـار الاسلامية لانشاء فروع فى مكتباتها للآثـار الأدبيـة الاسـلاميـة القـديمـة والحديثة المكتوبة اللغة العربية ولغـات الشعـوب الاسـلاميـة ومـاكتبـه المستشرقون فى هذا الموضوع لتكون مراجع لدراسى هذا الأدب.

٥ ـ والعمل على ترجمة هذه الآثار من العربية وإليها وذلك للافادة من الطـاقـات الأدبيـة فى العـالم الاسـلامي، وتفاعل هذه الطاقات ورفد بعضها لبعض والسعى لطباعتها ونشرها بالوسائل المختلفة.

٦ ـ حض الجـامعـات وغـيرهـا من المـؤسسات العلمية الأدبية على تشجيـع ذوى الطـاقـات الأدبيـة المبـدعة، وإعداد المسابقات لكتابة القصص والمسـرحيـات والمسلسـلات النـابعـة من الاسلام وتعاليمه وتوجيهاته ومنح الجوائز السخية لأصحاب الآثار الفائزة، ونشرها والكتابة عنها، وعن أصحابها فى الصحف والمجلات.

٧ ـ وضع منهج متكامل للأدب الاسلامي تتفق الجامعات المتناظرة فى العالم العربي على تبنية وتدريسه فى المرحلتين العالية والعليا.

٨ ـ إنشـاء مجلة متخصصـة بالأدب الاسـلامي عامـة وأدب الأطفـال واليافعين والشباب خاصة.

٩ ـ أن تعمل المعاهد والكليات التى تدرس المذاهب الأدبية من كلاسيكية ورومنسية وواقعية وغيرها على عرض هذه المذاهب وبيان أنها كانت نتيجة لفلسفات واتجاهات أجنبيه ثم الاهتمام البالغ بتفنيد وجوه مخالفة هذه المذاهب للاسلام، وتناقضها الشديد مع قيمه وتعاليمه وأن يعهد بتدريس هذه المادة إلى ناقد إسلامي بصير.

١٠ ـ أن تكون الموضوعات والنصوص الأدبية التى تدرس فى المعاهد والكليات خالية من كل مايخالف الاسلام، وأن تختار من الآثار الأدبية المفعمة بالحض على المثل التى تنبع من الفطر السليمة، وتتفق مع دين الله.

١١ ـ أن تهتم الجامعات اهتماما كبيرا بالأدب الاسلامي للأطفال وذلك بتدريس هذا الأدب فى المرحلتين العالية والعليا، وإعداد البحوث المتعمقة فيه لنيل درجتى الماجستير والدكتوراه.

١٢ ـ أن تشتمل كتب الأدب والمحفوظات فى المراحل الدراسية كلها على نصوص مختارة مؤثرة للشعراء المبدعين من القدماء والمحدثين الذين صوروا نكبة المسلمين فى أولي القبلتين وثالث الحرمين، وبكوا ما حل بفلسطين على أيدى الصليبيين، واليهود ودعوا إلى تحريرها، كما تشتمل على نصوص تصور فرحة المسلمين باستعادة الديار المقدسة على يدى صلاح الدين.

١٣ ـ أن يكون الآداب الأسلامي الذي تقدمه للطلاب فى مراحل الدراسة جميعها وثيق الصلة ـ مادة ومعنى ـ بكتاب الله، وحديث رسول الله وآثار الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان لما فى ذلك من روعة بيانية، وعمق إيمانى وروح نابضة بالخير والبر وتغذية مستمرة لأدبنا الاسلامي المعاصر.

١٤ ـ التنديد بالأعمال الادبية المكتوبة باللهجات العامية ومناهضة الدعوات للمحافظة على التراث الشعبى (الفلكلور)، وبيان مافيها من خطر على لغة القرآن، وقطع لأواصر القربى بين المسلمين عامة، والعرب منهم خاصة.

١٥ ـ دعوة الجامعات إلى إقامة مراكز للأدب الاسلامي تعنى بجمع مصادر هذا الأدب ومراجعه والموضوعات التى كتبت فيه والمقالات التى حضت عليه والرسائل الجامعية التى أعدت فيه.

١٦ ـ دعـوة القـائمـين على الجـامعـة الاسلامية فى المدينة المنورة إلى إنشـاء فرع للدراسـات العليـا فى الأدب الاسـلامي وقواعده فى النقد وذلـك لتكـوين فئـة من المختصين بهذا الأدب الداعين إليه عن دراية وتعمق وخبرة.

١٧ ـ تخصيص منـح دراسيـة للأدبـاء الاسـلاميين من غير العرب فى المعـاهـد والمراكز التى أنشأتها الدول العربية لتعليم اللغة العربية لغير النـاطقـين بها، وذلك لتوسيع رقعة الأدب الاسلامي وتبادل الخبرات الأدبية عن طريق الترجمة من العربية وإليها.

١٨ ـ إهتـمام العـاملين فى مجالات الأدب الاسـلامي بتأصيـل علم الجـمال وتـوجيهـه وجهـة إسـلاميـة والافـادة منـه فى الأعـمال الأدبيـة الاسلامية ليتآزر الشكل مع المضمون.

١٩ ـ يتوجه أعضاء الندوة بجزيل الشكر إلى الجامعات التى أنشأت معـاهـد ومـراكـز لتعليم لغـة القـرآن للمسلمـين من غير العـرب، ويأملون منهـا أن تضـاعف جهـودهـا فى هذا المجال الخير، وأن توجه التعليم فى هذه المعاهد والمراكز وجهة تعتمد على قراءة القرآن الكريم والتحلى من الحديث الشريف، ومعرفة أداء الشعائر على أكمل وجه.

كما يأملون من هذه الجـامعـات أن تعمـل على إفتتاح المدارس فى تلك البـلاد الاسـلاميـة لتعليم الأطفـال والنـاشئين لغة القرآن ودين الاسـلام وتثقفهم بالثقـافـة التى تربطهم بإخوانهم العرب وأن تؤلف لهم الكتب الاسلامية التى تلائم مستوياتهم.

ثانيا : رسم بعض الخطوط العريضة للأدب الإسلامي الذي تنشده :ـ

تقترح الندوة لتأصيل هذا الأدب واغنائه مايلي :ـ

١ ـ تعميق النظرة فى مفهوم هذا الأدب القائم على التصور الاسلامي الصحيح، والربط المحكم المتوازن بين قيمه الشعورية والمعنوية وبين قيمه التعبيرية.

٢ ـ دراسة النظريات والمذاهب النقدية عند القدماء والمحدثين من نقادنا الاسلاميين. وذلك لاستخلاص السمات التى يجب أن تتوفر فى الأدب الاسلامي والوصول إلى مذهب أصيل فى الأدب الاسلامي ونقده.

٣ ـ العناية بدراسة طائفة من النصوص المختارة من القرآن الكريم والسنة المطهرة وخطب الراشدين دراسة متعمقة وذلك لاستجلاء مكامن الروعة الفنية فيها، وجعلها موجها ومقوما لانتاج الأدباء الاسلاميين.

٤ ـ الاهتمام بوضع القواعد والضوابط للفنون الأدبية الحديثة من قصة وأقصوصة ومسرحية ومقال وخاطرة وترجمة وغيرها لتكون هادية للأدباء فى إنتاج أدب إسلامي سليم.

٥ ـ دراسة منهج القرآن الكريم والحديث الشريف فى القصة والحوار والتصوير الفنى والتملى من خصائص هذا المنهج ومزاياه للافادة منهما فى النتاج الأدبى الاسلامى.

٦ ـ دراسة فنون الادب الإسلامي فى عهودها الأولى وذلك كأدب الدعوة إلى الله، وأدب الغزوات والفتوحات ورصد تطورها فى الخطابة وأدب المواعظ وشعر الجهاد والحماسة الإسلامية.

٧ ـ دراسة الشعراء والأدباء الإسلاميين المغمورين من القدماء والمحدثين لتغذية الأدب الاسلامي وتقويته وتنويعه.

٨ ـ العمل الجاد على جمع الأدب الاسلامي الحديث ونقده وذلك لتقويمه وتوجيهه ولفت الأنظار إليه.

ثانيا توصيات عامة : ـ

١ ـ طباعة البحوث التى أعدت لهذه الندوة وتعميم توصياتها وإرسالها إلى سائر الجامعات فى البلاد الاسلامية عامة، والعربية منها خاصة مع الدعوة الى تبنى الأدب الاسلامي الذى تبنته جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، جامعة دار العلوم الاسلامية فى الهند، والجامعة الاسلامية فى المدينة المنورة، وغيرها من الجامعات.

٢ ـ ان تعقد هذه الندوة المباركة فى بلد من البلدان الاسلامية مرة كل عامين.

هذا وإن أعضاء الندوة ليهيبون بجميع المسئولين فى وزارات المعارف والتربية والثقافة وبالمجامع العلمية والنوادى الأدبية والمؤسسات الاسلامية ذات العلاقة أن يبذلوا كل ما فى وسعهم لتأييد هذه التوصيات ، وتهيئة جميع السبل الممكنة لتنفيذها والله من وراء القصد ومنه يستلهم العون والسداد.

●●●

وكم نتمنى أن تكون هذه اللقاءات دورية كل عام أوعامين مثلا حتى تتبلور هذه الفكرة وتحدد معالمها في أذهان المسلمين، لتحقيق الأهداف العليا المنوطة بها وأرجو أن تكون هناك سكرتارية دائمة لتنظيم كل مايتعلق بهذا اللون من الفكر، وقد سبق أن اقترحنا ذلك بكلية العلوم العربية والاجتماعية ـ فرع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالقصيم، وذلك فى محاضرة عامة القاها المؤلف بعنوان «الأدب الاسلامى».

جزى الله المخلصين كل خير عن الاسلام والمسلمين.

أهم المصادر والمراجع

أهم المصادر والمراجع

أولا : القرآن الكريم .

ثانيا:دراسات وأبحاث ومختارات

أبو الحسن الندوى
ـ رجال الفكر والدعوة فى الاسلام ط دار القلم ، الكويت ، سنة ١٣٩٧ هـ، سنة ١٩٧٠ م .

إحسان النص (دكتور)
ـ مختارات من أدب العرب ط . دار الشروق ، جده
ـ الخطابة العربية فى عصرها الذهبى دار المعارف مصر سنة ١٩٦٩ م .

أحمد عبدالغفور عطار
ـ محمد بن عبدالوهاب ، ط ٣ ، منشورات مكتبة المعارف، بيروت سنة ١٣٩٢ هـ، سنة ١٩٧٢ م .

ابن قتيبة
ـ الشعر والشعراء ، تحقيق محمد أحمد شاكر، سنة ١٩٧٧ م .

ابن كثير
ـ تفسير القرآن العظيم ، جـ ٤ ، ط. دار الكتب العلمية طهران .

أنور الجندى
ـ إطار إسلامى للفكر المعاصر ـ مطبوعات المكتب الاسلامى، بيروت ، دمشق .

ـ تصحيح أكبر خطأ فى تاريخ الاسلام الحديث ، دار الاعتصام، القاهرة .

جمال الدين الأفغانى
- رساله : الرد على الدهريين نقلها من الفارسية إلى العربية محمد عبده، وصدرها بترجمة للأفغانى ، نشر مكتبة الخانجى بمصر، ومكتبة المثنى ببغداد.

حسين مجيب المصرى (دكتور)
- فى الأدب الاسلامى : فضولى البغدادى دار الفكر العربى - القاهرة.

سعد أبو الرضا (دكتور)
- الاتجاه النفسى فى نقد الشعر العربى، ط . مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م.

- الكلمة . . والبناء الدرامى - دار الفكر العربى، القاهرة، سنة ١٩٨١ م.

سيد قطب
- مقدمة المجموعة القصصية : أريد أن أرى الله لأحمد عبدالغفور عطار. ط . دار ثقيف، الطائف، سنة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م.

- النقد الأدبى أصوله ومناهجه. بيروت.

شوقى ضيف (دكتور)
- التصوير الفنى فى القرآن - دار المعارف، القاهرة
- البلاغة تطور وتاريخ - دار المعارف ، القاهرة.

شوقى شاعر العصر الحديث - مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، القاهرة سنة ١٩٧٧ م.

طه حسين (دكتور)
-حديث الأربعاء - جـ ٢ ، ط . دار المعارف القاهرة.

- حافظ وشوقى - منشورات الخانجى وحمدان ، القاهرة ، وبيروت.

عبدالباسط عبدالمعطى (دكتور) ـ اتجاهات نظرية فى علم الاجتماع ـ سلسلة عالم المعرفة ـ التى يصدرها شهريا المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد ٤٤.

عبدالرحمن رأفت الباشا (دكتور) ـ مقدمة أدب الدعوة الاسلامية ـ شعر الدعوة الاسلامية فى العصر الأموى. ط. جامعة الامام سنة ١٣٩٢ هـ، سنة ١٩٧٢ م. وكذلك مقدمة شعر الدعوة فى العصر العباسى.

عبدالقادر القط (دكتور) ـ فى الشعر الاسلامى والأموى ـ دار النهضة العربية، بيروت سنة ١٩٧٩ م.

عبدالله الحامد (دكتور) ـ الشعر في ظلال حركة الامام محمد ابن عبدالوهاب ـ ط. النادى الأدبى بالرياض، كتاب الشهر رقم (٦) سنة ١٣٩٩ هـ، سنة ١٩٧٩ م.

على عبدالحليم محمود (دكتور) ـ نحو أدب اسلامى معاصر (الرافعى والاتجاهات الاسلامية فى أدبه). ط. جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، قسم البحوث والدراسات. وقد طبع الكتاب . بدار عكاظ بجده.

ـ جمال الدين الأفغانى والاتجاهات الاسلامية فى أدبه ـ ط. دار عكاظ جده سنة ١٣٩٣ هـ، سنة ١٩٧٩ م.

عماد الدين خليل (دكتور) ـ الطبيعة فى الفن الغربى والاسلامى مؤسسة الرسالة ـ الشركة المتحدة للتوزيع سنة ١٣٩٧ هـ، سنة ١٩٧٧ م.

ـ فى النقد الاسلامى المعاصر ـ مؤسسة الرسالة، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت سنة ١٣٩٢ هـ، سنة ١٩٧٢ م.

الفخر الرازى (الامام) ـ التفسير الكبير ـ نشر دار الكتب العلمية طهران .

ماهر حسن فهمى (دكتور) ـ شوقى شعره الاسلامى ـ ط . دار المعارف القاهرة .

محمد ابراهيم نصر (دكتور) ـ النقد الأدبى فى العصر الجاهلى وصدر الاسلام ـ ط . سنة ١٣٩٨ هـ ، نشر دار الفكر العربى ، القاهرة .

محمد حرب ـ مذكرات السلطان عبدالحميد ـ ترجمة وتعليق ، ط . دار الأنصار ، القاهرة ، سنة ١٩٧٨ م .

محمد حسين (دكتور) ـ الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ـ دار النهضة العربية، بيروت ، ط ٣ ، سنة ١٣٩٢ هـ ، ١٩٧٢ .

محمد بن عبدالوهاب (الشيخ) ـ القسم الخامس ـ الرسائل الشخصية ، تصنيف وإعداد عبدالعزيز الرومى ، د . محمد بلتاجى . ، د. سيد حجاب ، ط . جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، أسبوع الشيخ بن عبدالوهاب .

محمد على الهرفى ـ شعر الجهاد فى الحروب الصليبية ـ ط . دار الاعتصام ، القاهرة سنة ١٣٩٩ هـ سنة ١٩٧٩ م .

محمد فريد ـ تاريخ الدولة العلية العثمانية ـ دار الجيل ، بيروت سنة ١٣٩٧ هـ ، ١٩٧٧ .

محمد قطب ـ منهج الفن الاسلامى ـ ط . دار الشروق، بيروت ، القاهرة ، سنة ١٤٠٠ هـ ، ١٩٨٠ م .

محمود قاسم (دكتور) ـ نصوص مختارة من الفلسفة الاسلامية ، ط ٣ مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة سنة ١٩٦٩ م .

مصطفى طوران ـ أسرار الانقلاب العثمانى ـ ترجمة كمال خوجه، ط . نشر دار السلام .

مصطفى لطفى المنفلوطى ـ النظرات ـ ط . دار الثقافة ، بيروت ، نشر المكتبة التجارية القاهرة .

النعمان القاضى (دكتور) ـ شعر الفتوحات الاسلامية فى صدر الاسلام ـ نشر الدار القومية للطباعة ـ القاهرة سنة ١٣٨٥ هـ ، سنة ١٩٦٥م .

ـ الفرق الاسلامية فى الشعر الأموى ـ دار المعارف ، مصر سنة ١٩٧٠ م .

ثالثا : الدوريات :

مجـلات :

١ ـ البعث الاسـلامى ـ لكهنـؤ الهنـد ـ المجلد السادس والعشرون ـ العـددان الأول والثـانى رمضـان وشـوال سنـة ١٤٠١ هـ ، يوليـو وأغسطس ١٩٨١ م .
٢ ـ حضارة الاسلام ـ العددان ٥ ، ٦ السنة العاشرة ، رجب وشعبان سنة ١٣٩٨ هـ أيلول وتشرين الأول سنة ١٩٦٩ م دمشق .
٣ ـ المجتمع ـ العدد ٥٦٧ ـ السنة الثالثة عشرة ، ٢٦ جمادى الآخرة سنة ١٤٠٢ هـ ، ٢ ابريل ١٩٨٢ م ، الكويت .
٤ ـ المسلمـون ـ العـدد الثـانى ـ محرم سنة ١٤٠٢ هـ ، ٦ نوفمبر سنة ١٩٨١ م تصدر من لندن .
والعـدد السـابع ١٥ صفر سنة ١٤٠٢ هـ ، ١١ كانون الأول ديسمبر سنة ١٩٨١ م .
٥ ـ المعرفة ـ مجلة ثقافية شهرية تصدرها وزارة الثقافة والارشاد القومى فى الجمهـوريـة العـربيـة السورية ـ العدد ٢٢٤ ، تشرين أول اكتوبر سنة ١٩٨٠ م .

●● ●● ●●

رابعا : دواوين شعرية :

١ ـ أغانى المعركة ـ وليد الاعظمى ـ نشر مؤسسة الزغبى للطباعة والنشر ، لبنان ـ سوريا .

٢ ـ ديوان ابن مشرف ـ ط . مؤسسة مكتبة الفلاح ـ الأحساء الهفوف ـ المملكة العربية السعودية .

٣ ـ سقط الزند ـ أبو العلاء المعرى ـ ط . الدار القومية للطباعة والنشر ، سنة ١٣٩٦ هـ ، سنة ١٩٧٤ م .

٤ ـ الشوقيات ـ أحمد شوقى ـ ط. المكتبة التجارية الكبرى ـ دار الكاتب العربى ، بيروت .

٥ ـ قصائد من مقبل العيسى ـ سلسلة المكتبة الصغيرة ، سنة ١٣٩٣ هـ ، سنة ١٩٧٣ م . مكة .

٦ ـ ملحمة النور ـ محمد الحسناوى ـ دار القلم ، دمشق بيروت سنة ١٣٩٤ هـ ، سنة ١٩٧٤ م .

خامسا : مجموعات قصصية وروايات :

١ ـ مجموعة أريد أن أرى الله أحمد عبدالغفور عطار ـ ط . دار ثقيف الطائف سنة ١٣٩٨ هـ ، سنة ١٩٧٨ ، كتب مقدمتها سيد قطب.

٢ ـ مجموعة أعلى الخمر أفطر ؟ د . مجاهد الصواف ـ ط ١ ، دار الاعتصام القاهرة سنة ١٣٩٨ هـ ، سنة ١٩٧٨ م.

٣ ـ أم لا كالأمهات محمد حسن الحمصى ـ ط ٢ ، دار الرشيد دمشق سنة ١٩٦٧ م.

٤ ـ مجموعة بطل إلى النار محمد المجذوب ـ دار الاعتصام ، القاهرة، سنة ١٣٩٨ هـ .

٥ ـ مجموعة بطل من الصعيد ـ محمد المجذوب ـ مكتبة الرياض الحديثة سنة ١٣٩٧ هـ ، ١٩٧٧ م.

٦ ـ صلاح الدين بطل حطين ـ د . عبداللطيف حمزة ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة سنة ١٩٧٢ م.

٧ ـ ضيف الرسول عليه السلام ـ لابراهيم رمزى ـ تحقيق وإعداد / عبدالعزيز توفيق جاويد ـ ط . الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ١٩٧٦ م.

٨ ـ عذراء البصرة ـ إبراهيم الابيارى ـ ط مكتبة الآداب ، القاهرة .

٩ ـ عمالقة الشمال ـ نجيب الكيلانى ـ مؤسسة الرسالة دار النفائس ، ط ٢ ، بيروت سنة ١٩٧٤ م .

١٠ ـ قاتل حمزة ـ نجيب الكيلانى ـ ط ٢ ١٣٩٥ ه ، ١٩٧٥ م مؤسسة الرسالة بيروت .

١١ ـ قاهر التتار ـ الكتاب الماسى ، محمد لبيب البوهى ط . الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة .

١٢ ـ قصص من التاريخ ـ على الطنطاوى ـ ط . المكتب الاسلامى

١٣ ـ قصص من التاريخ ـ محمد حسن الحمصى ـ ط . دمشق .

١٤ ـ مجموعة قصص لا تنسى ـ دماء وأشلاء محمد المجذوب ـ دار الاعتصام القاهرة ، سنة ١٩٧٨ م .

١٥ ـ نور الله ـ سلسلة روايات الدعوة الاسلامية نجيب الكيلانى ـ ط . مؤسسة الرسالة سنة ١٣٩٥ هـ . سنة ١٩٧٥ م .

سادسا : مسرحيات :

١ ـ الآيات الثلاث	ـ محمد المجذوب ـ ط . مؤسسة الرسالة سنة ١٣٩١ هـ ، سنة ١٩٧١ م .
٢ ـ الحسين ثائرا	ـ عبدالرحمن الشرقاوى ـ ط . سنة ١٩٦٨ م . دار الكاتب العربى ، القاهرة
٣ ـ الحسين شهيدا	ـ عبدالرحمن الشرقاوى ـ ط . سنة ١٩٦٩ م ، دار الكاتب العربى القاهرة .
٤ ـ خولة بنت الأزور	ـ د . أحمد شوقى الفنجرى ـ ط . دار القلم ، الكويت ، سنة ١٣٩٥ هـ . سنة ١٩٧٥ م .
٥ ـ صراع	ـ د . أحمد الشرباصى ـ دار الرائد العربى ، بيروت ، سنة ١٩٧١ م .
٦ ـ صقر قريش	ـ محمود تيمور ـ ط . مكتبة الآداب القاهرة سنة ١٩٧٣ م .
٧ ـ عالم وطاغية	د . يوسف القرضاوى ـ مؤسسة الرسالة ، بيوت ، ط . ، سنة ١٣٩٤ هـ سنة ١٩٧٤ م .
٨ ـ فى وجه الطوفان	ـ محمد عبدالحميد أحمد ـ ط ٢ ١٣٩٨ هـ ، سنة ١٩٧٨ م . دار الأنصار، القاهرة

٩ ـ مأساة الحلاج ـ صلاح عبدالصبور ـ منشورات دار الآداب ، بيروت ، سنة ١٩٦٩ م .

١٠ ـ محمد (علية السلام) ـ توفيق الحكيم ط . مكتبة الآداب القاهرة ، سنة ١٩٣٦

١١ ـ معجزة فى الضفة الغربية ـ د . عماد الدين خليل ـ نحو مسرح اسلامى معاصر ـ مؤسسة الرسالة ، الشركة المتحدة للتوزيع ، بيروت .

١٢ ـ الملحمة الاسلامية الكبرى ـ تسع عشرة مسرحية ـ على أحمد باكثير ـ دار المعارف ، سنة ١٩٧٣ م .

١٣ ـ من فوق سبع سموات ـ (سبع مسرحيات) على أحمد باكثير ـ ط . مكتبة مصر، سنة ١٩٦٣ ، القاهرة

فهرس الكتاب

فهرس الاعلام

الهمزة

ابراهيم الابيارى ١١٢
ابراهيم رمزى ١٠٦
أبوبكر (رضى الله عنه) ٣٠
أبوتمـــام ٣٤
أبوالحسن الندوى ٣١، ٣٦، ٤٠، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦
أبوالطيب المتنبى ٣٤
أبوالعلا المعرى ٩٥، ٩٦
ابونواس ٣٤
ابن باديس ١٤٥
ابن سناء الملك ٣٥
ابن العميد ١٤٦
ابن الفارض ٣٥
ابن قتيبة ٢٦
ابن كثير ٢٢
ابن مشرف ٤٢، ٤٣، ٤٦، ٤٧
ابن المقفع ١٤٦
ابنمطروح ٣٥
ابن هانىء ٣٤
البهاء زهير ٣٥
احسان النص (دكتور) ٣٢، ٣٣
أحمد الشرباصى (دكتور) ١٣٠، ١٣١
أحمد شوقى ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٥، ٥٦، ٥٧
٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١
٧٢، ٧٣، ٧٤
أحمد شوقى الفنجرى (دكتور) ١٣١
أحمد عبدالغفور عطار ١٠٦

أحمد محرم ٦٠ ، ٦٧
اسماعيل (الخديوى) ٦٠
الاصمعى ٢٦
الأعشى ٢٩
أنور الجندى ٣١، ٣٧، ٥٩

(ب)

البوصيرى ٣٥، ٤١

(ت)

توفيق الحكيم ١٢٩

(ج)

الجاحظ ٣٠، ١٤٦
جرير ٣٠
جمال الدين الأفغانى ٥٧، ٥٩، ١٠٦، ١٤٥، ١٤٧، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩

(ح)

حافظ ابراهيم ٦٠ ، ٦٦
حسان بن ثابت (رضى الله عنه) ٢٥، ٢٦
حسين مجيب المصرى (دكتور) ١٠
الحسين رضى الله عنه ١٣١
الحطيئة ٣٠
حماد عجرد ٣٤

(خ)

خالد بن الوليد (رضى الله عنه) ٥٠، ٥١، ٦٧

(ر)

رفاعة الطهطاوى ١٠٥

(س)

السلطان عبدالحميد ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢
السلطان محمد رشاد ٥٨، ٦٢
السلطان وحيدالدين ٦٧، ٦٨
سعيد بن جبير ١٣١

سيد حجاب (دكتور) ١٥١
سيد قطب ٣٦، ١٠٦
سيف الدين قطز ١١١
(ش)
الشريف حسين ٦٧
شوقى ضيف (دكتور) ٥٣
(ص)
صفيه بنت عبدالمطلب ٢٥
صلاح الدين الأيوبى ٣٥، ٥٠، ٥١، ٦٧، ١١١، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢
صلاح عبدالصبور ١٣١، ١٣٨
(ط)
طه حسين (دكتور) ٣٤، ٥١، ١٠٩
(ع)
عباس محمود العقاد ١٤٧
عبدالباسط بدر (دكتور) ٩
عبدالباسط عبدالمعطى ٣٩
عبدالحفيظ البلياوى ١٦٥
عبدالحميد الكاتب ١٤٦
عبدالرحمن الداخل (الامير) ١٣٠
عبدالرحمن رأفت الباشا (دكتور) ٤، ٨، ٩، ٣٧
عبدالرحمن الشرقاوى ١٣١
عبدالرحمن صالح العشماوى ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢
٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩
عبدالمجيد (الامير) ٦٨
عبداللطيف حمزه ١١١
عبدالغنى سنى ٦٩
عبدالله بن رواحه ٢٥
عبدالله الحامد (دكتور) ٢٨، ٤٢، ٤٣
عبدالله بن جحش رضى الله عنه ٢٥
عبدالله عبدالرحمن الجعيثن ٣٤
عبدالله عبدالمحسن التركى (دكتور) ٨، ٣٧

عبدالله النديم ١٤٧
عبدالقادر القط (دكتور) ٢٩
عبد الكريم الخطيب ١٠٥
عثمان بن مظعون ٢٥
على أحمد باكثير ١١١، ١٣٢
على جبر ٤٠
على الطنطاوى ١٠٧
على عبدالحليم محمود (دكتور) ٨، ١٠٥
على عبدالرزاق ٦٩
على عشرى زايد (دكتور) ٤١
على مبارك ١٠٥
عماد الدين خليل (دكتور) ٧، ٣٧، ١٣١، ١٣٣، ١٣٨، ١٣٩
١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣
عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) ٣٠
(ف)
الفرزدق ٣٠
(ك)
كعب بن مالك ٢٥
كمال خوجه ٥٩
(ل)
لويس التاسع (ملك) ٣٥
لبيد ٢٩
(م)
ماهر حسن فهمى (دكتور) ٣٥ ، ٦٣
مجاهد الصواف (دكتور) ١٠٨
محمد ابراهيم نصر (دكتور) ٢٩
محمد أحمد ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧
محمد أحمد شاكر ٢٦
محمد بلتاجى (دكتور) ١٥١
محمد بن عبدالوهاب ١٤٥، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤
محمد حرب عبدالحميد ٥٩

محمد حسن الزير ١٠٥
محمد حسن الحمصى ١٠٨
محمد الحسناوى ٥٤، ٥٥
محمد الحسنى ١٦٣
محمد حسين (دكتور) ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٦٠، ٦٦، ٦٩
محمد رشيد رضا ٦٩، ١٤٧
محمد عبدالمطلب ٦٦
محمد عبده ٥٧، ١٠٦، ١٤٥، ١٤٧، ١٥٧، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢
محمد على الهرفى (دكتور) ٣٥
محمد فريد ٥٩
محمد قطب ٢١، ٣٦
محمد لبيب البوهى ١١١
محمد المجذوب ١٠٥، ١٠٧، ١١٤، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٣٠
محمد المويلحى ١٠٦
محمد مستجاب ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٣٠
محمود تيمور ١٣٠
محمود قاسم (دكتور) ١٥٧
مصطفى صادق الرافعى ١٤٧
مصطفى صبرى ٦٩
مصطفى طوران ٥٩
مصطفى كامل ٥٨
مصطفى كمال أتاتورك ٥٠، ٥١، ٦٧، ٦٩
مصطفى لطفى المنفلوطى ١٤٧
مقبل العيسى ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣

(ن)

نجيب الكيلانى ٣٧، ١١٠، ١١٢

النعمان القاضى (دكتور) ٢٧، ٣١

(هـ)

هرتزل ٥٩

(و)

وليد الاعظمى ٤٧، ٤٨، ٤٩

ولى الدين يكن ٦٠

(ى)

يحيى جبورى (دكتور) ٢٥

يوسف القرضاوى (دكتور) ١٣١